حضارات العالم القديم

حضارة مصر القديمة
حضارة الحيثيين
حضارة الأناضول

المؤلف

د. محمد علي

إعداد

د. منى سعد المشكلط



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

علي محمد .

حضارات العالم القديم / د.محمد علي.

- القاهرة. مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٦م، ٢٠٨ ص؛ ٢٥سم.

١- مصر القديمة-الحيثيين-الاناضول

أ- العنوان

٩٣٢

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٤٩٨٣

الترقيم الدولى :٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-٠٥-٥

الطبعة الأولى: ٢٠١٦م



القاهرة : ميدان حليم- خلف بنك فيصل(الفرع الرئيسي) شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا

ت/: 27877574/ 0100104115/ 0100004046/ 0129961635

Email:tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة يوسف: ١١١

حضارات العالم القديم التي نشأت منذ ٣٠٠٠ ق.م. والتي كانت موجودة في العالم القديم (إفريقيا – آسيا – و أوروبا)؛ هي من أهدت للعالم تطوراً حضارياً واسعاً من خلال ما تمتعت به شعوب هذه الحضارات في حقبة من التاريخ من تطور في مجالات العلوم والفنون.

وهناك رأي يعتقد أن مهد الحضارة هو واحداً من خمسة بلاد، وهي "بلاد ما بين النهرين" ولكن هذا مجرد رأي متنازع عليه، إذ يعتقد معظم العلماء أن الحضارة لم تنشأ في مكان واحد، بل نشأت في أكثر من بلد في "مصر، بلاد ما بين النهرين، وادي السند، شانج، أمريكا الوسطى، الإنديز في أمريكا الجنوبية" لكن أهم هذه الحضارات هي التي نشأت في منطقة الشرق الأوسط بسبب ما تمتعت به من تطور مجتمعي، وعظم وروعة ما تركته للعالم من ميراث ثقافي وتاريخي وتقدم علمي وتقني.

ونظراً لأهمية هذه الحضارات العريقة فقد قدم الكاتب مجموعة مؤلفات في سلسلة كتب متتابعة على شكل بانوراما من خلال نظرة عامة مختصرة لأسباب ونشأة ومظاهر كل حضارة على حدة، كما أشار إلى مدى الترابط بينهم.

وكانت البداية من هذا الكتاب الذي يحتوي على ثلاثة من هذه الحضارات (الحضارة الفرعونية – الحضارة الحيثية – حضارة بلاد الأناضول)، وقد راعى في تناوله لها أن يكون العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القراء .

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه .

ويهدي هذا المُؤَلَّف إلى أرواح شهداء ليبيا الأبرار ، وإلى روح أبيه الطاهرة، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر .

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة هود: ٤٩

صدق الله العظيم

المُؤلف

د. محمد علي

تمهيد

الحضارات القديمة

❖ تعريف الحضارة :

تُعرَّف الحضارة على أنها الميراث الثقافي والتاريخي، ومقدار التقدم والتفوق العلمي والتقني لأحد الشعوب في حقبة تاريخية معينة. وتعتبر الحضارة من الطرق والأساليب التي يعيشها الفرد من طريقة العيش الصغيرة إلى طريقة العيش كدولة بأسسها ومبادئها. فالحضارة هي نظام إجتماعي يتعايش فيه مجموعة من النّاس ليشكّلوا مع بعضهم البعض حضارة. ويتألّف هذا النظام من أربعة عناصر هي : النظام الإقتصادي، والنظام السياسي، والنظام المعيشي: أي طريقة ومبدأ العيش في الحضارة وأخلاقياتها، والنظام الثقافي: يكون بالعلوم والفنون التي شكّلتها تلك الحضارة والتي صنعت أشياء واكتشفت أمور خلّفتها بعد حضارتها وما زالت آثارها موجودة؛ وهذه الفنون والعلوم لا تتم إلا بالحريّة المطلقة في تلك الحضارة التى كانت بعيدة كل البعد عن حكمها المستبد؛ وهي التي اشتهرت بها حضارات كثيرة كانت تمتلك هذه الصفة في طبيعة قومها دون غيرها الذين كانوا يُستعبدون.

ويمكن تعريف الحضارة بطريقة أخرى وهي كل شيء متعلّق بالميراث والتقاليد والفنون المتّبعة والتطوّر العلمي والتقنيات التي كانوا يستخدمونها. فالحضارة هي التي تميّز أمّة عن أمّةٍ أخرى وتُبيِّن اختلافها عن غيرها، والتقاليد من

أهم بروز الحضارات التي تؤدي إلى ذاك التمييز عن طريق الزي الذي كانوا يلبسونهُ وأسلوب العيش والقيم الدينيّة والأخلاقيّة التي يمارسونها. أما عن الطرق المتّبعة لتمييز حضارة عن غيرها فهناك أساليب يتّبعها الباحثون والمؤرّخون للتعرّف على الحضارات وهي :

•الوضع الإقتصادي : لأنّ الوضع الإقتصادي هو من أهم الأساسيات التي تحدد الحضارة والتي تكون من خلال معرفة ما هي الأمور التي كانوا يكتسبون الرزق فيها، فبعض الحضارات كانت مشهورة بالتجارة وأخرى بالصناعة وهكذا، فهي طريقة للتعرّف على إهتمامات النّاس الذين يعيشون في تلك البيئة.

•طريقة العيش والظروف المعيشيّة : وهي كيفيّة طبيعة العيش للأشخاص الذين كانوا في حقبة من الزمن والتي تحدّد ثقافة الأمّة، فبعض الحضارات كانوا يعيشون في الخيم مثل البدو، وبعضهم كانوا يعيشون في الكهوف والجبال، وبعضهم عن طريق البناء بأشكال تحدّد الثقافة التي يعيشونها.

•العلاقات بين النّاس : وهي العلاقات الإجتماعيّة بين الأفراد سواء كانوا من العائلة والأقارب وما شابه من العلاقات الموجودة في الأمّة وطريقة التعامل فيما بينهم.

•الحكم : وهو الحكم السائد في الحضارة الموجودة إن كان وراثي أو إنتخابات أو حكم عائلي وما غيرها، فمن طريقة الحكم تحدّد ثقافة الحضارة.

•الإنجازات : وهي الإنجازات التي حققتها الحضارة من بناء وعلم وثقافة وفنون قامت بنشرها لتصبح متعارف عليها من قبل الأمم والحضارات الأخرى، وبعض هذه الآثار بقيت إلى زمننا الحالي وسوف تبقى إلى الأبد.

يرجع اسم الحضارات القديمة إلى الحضارات التي تأسست في العالم

القديم (أوروبا – إفريقيا – آسيا) قبل اكتشاف قارة أمريكا؛ أي الحضارات التي تأسست منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وينتهي هذا المصطلح بسقوط روما العظمى سنة ٤٧٦ ميلادي.

وهذه الحضارات متعددة الديانات واللغات والعروق كالحضارة البابلية والفارسية والآشورية والإغريقية والفرعونية وحضارات الهند والجزيرة العربية ووسط أفريقيا وشمالها، وكانت كل هذه الحضارات تطل على البحر الأبيض المتوسط باستثناء حضارتي الصين والهند وذلك يربط بين الزمان والمكان.

أهدت هذه الحضارات توسعاً تاريخياً كبيراً وتطوراً حضارياً واسعاً في مجال العلوم والفنون وتطور المجتمعات؛ فقد شهد العالم مساهمة هذه الحضارات الواسعة في التاريخ الحديث والعصور المتوسطة من العلوم والحضارات والمعالم التاريخية البارزة التي ما زالت إلى يومنا هذا مقصد لكل السياح والعلماء؛ وأهم التطورات التي تبرز حضارات العالم القديم هي العمارة وأهمها الأهرامات المصرية التي لا زال العلماء يبحثون في كيفية بنائها، والتي أصبحت تصنف ضمن عجائب الدنيا السبع وهي الوحيدة التي لا تزال قائمة، وهيكل (معبد) الإلهة أثينا في أثينا معلم ضخم ويبهر الجميع حين رؤيته بالعين المجردة، وأيضاً حدائق بابل المعلقة، والكولوسيوم، وتاج محل، وسور الصين العظيم والكثير من الأبنية والعمارات، حتى أن علم الفنون قد كان مزدهراً بكثير من الحضارات القديمة كالنحت والرسم والمسرح القديم.

كما انتشر في الحضارات القديمة الكثير من الديانات والعبادات؛ كعبادة الإله آمون – عبادة إله الشمس – عبادة آلهة الإغريق – الديانة البوذية – الديانة الهندوسية – اليهودية.

❖ العبادات والديانات في الحضارات القديمة :

عبدت شعوب الحضارات القديمة عدة آلهة كما ظهرت عدة دعوات لعبادة إله واحد ، وتقسم هذه الديانات إلى :

١- الديانات الوثنية : ظهرت على سواحل البحر الأبيض المتوسط ديانات وثنية ترتكز على تقديس آلهة متعددة حيث عبد الإغريق والهنود والصينيون قوى طبيعية، وأوثان متعددة، أما الفرس فانتشرت بينهم الديانة الزرادشتية.

٢- الديانات السماوية : ظهرت هذه الديانات على يد النبي إبراهيم وهي الديانة الحنيفية. ثم تطورت على نحو ديانة لها كتاب مقدس وكانت أولها الديانة اليهودية بمصر ثم المسيحية وكتابها الإنجيل بفلسطين.

ومن أهم الحضارات القديمة التي برزت تطورها في التاريخ هي:

• قارة أفريقيا : ١. كانت البداية في العصر البرونزي حينما قامت أوّل حضارة في أفريقيا وهي حضارة المصريين القدماء أو الحضارة الفرعونيّة في العام ٣٢٠٠، إلى اندثارها عام ٣٤٣ ق.م.

٢. (مملكة كوش) والتي تكوّنت في منطقة السودان حاليّاً، وقد قامت في العصر الحديدي وكانت ممتدة من العام ١٠٧٠ ق.م إلى بروزها مع اندثار حضارة المصريين القدماء، واستمرّت إلى العام ٣٥٠م، أي بفترات قصيرة قبل بداية العصور الوسطى.

٣. مملكة أكسوم أو إمبراطورية اكسوميت، والتي كانت تعتبر محوراً تجاريّاً هامّاً في المنطقة من شمال أثيوبيا وإريتريا، كما لعبت دوراً هامّاً أيضاً في الحركة التجاريّة بين الإمبراطوريّة الرومانيّة والهنود القدامى، كما كانت أيضاً مسعى لهجرة المسلمين الأوائل حينما هاجروا من مكة إليها (الحبشة)، وقد امتدّت هذه المملكة في

العصور الوسطى من قيامها سنة ١٠٠ م إلى اندثارها سنة ٩٤٠ م.

♦ **قارة آسيا:** ١.**الهند** : حضارة وادي السند وشبه القارة الهندية (٣٥٠٠ق.م – وحتى الوقت الحاضر) • حيث قامت بها عدة حضارات إلى يومنا هذا، بدأت بحضارة وادي السّند في العصر البرونزي بين الحقبة الزمنيّة(٣٣٠٠-١٣٠٠)ق.م ولكنها قد وصلت لأوجه تطورها بين عامي ٢٦٠٠ ق.م نهاية بالعام ١٩٠٠ ق.م • بعدها جاءت الفترة الفيدية التي أسّس فيها أقدم الكتب الدينيّة للهندوسية، ولا يعلم لها تاريخ محدّد ولكن أغلب القول أنّها كانت بين الحقبة الزمنية (١٧٠٠ – ١١٠٠)ق.م • مملكة الهند الوسطى ٢٣٠ ق.م إلى القرن ١٣م .

٢.**الصين** : الحضارة الصينية (٢٢٠٠ ق.م – وحتى الوقت الحاضر) • في فترة الثلاثة أباطرة والملوك الخمسة بداية من العصر البرونزي (٢٨٥٢-٢٠٧٠) ق.م • ثم تلتها في نفس الحقبة الزمنيّة سلالة شيا (٢٠٧٠-١٦٠٠) ق.م • وبعدها سلاسة شانغ في (١٦٠٠-١٠٤٦)ق.م في العصر الحديدي • مباشرة بعدها سلالة تشو (١٠٤٦– ٢٥٦)ق.م • إلى قيام الإمبراطورية الصينية ٢٥٦ ق.م إلى يومنا هذا .

٣. **كوريا** : الحضارة الكورية (٩٠٠ ق.م – حتى الوقت الحاضر).

٤. **الشرق الأوسط:** ١. حضارات بلاد الرافدين ومنها حضارة سومر (٥٣٠٠– ٢٠٠٠)ق.م • الحضارة البابلية ما بين القرنين (١٨-٦)ق.م. وقد استمرت حضارة بلاد ما بين النهرين (٣١٠٠-٥٣٩)ق.م حين هزيمة البابليين.

٢. الإمبراطورية الفارسية : • حضارة عيلام في إيران اليوم (٢٧٠٠– ٥٣٩)ق.م • الحضارة الفارسية (٥٥٠ق.م– ٦٥٠م) • الإمبراطورية الأخمينية (٥٥٠– ٣٣٠)ق.م • الإمبراطورية السلوقية (٣١٢-٦٤) ق.م • الإمبراطورية البارثية (٢٤٧ق.م –٢٢٤م) • الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦-٦٥١)م

٤. اليمن : حضارة مملكة سبأ (١٢٠٠ ق.م-٢٧٥ م).

٥. حضارات بلاد الشام • حضارة الكنعانيين في سوريا (٢٣٥٠ ق.م – ١٠٠ م) • الحضارة الفينيقية.

٦. الخلافة الإسلامية (٦٢٣-١٩٢٤) م.

• أوروبا : ١.حضارة بحر إيجه (٣٠٠٠- ١٢٠٠) ق.م.

٢. حضارة فينيشيا (١٢٠٠- ٥٣٩) ق.م.

٣. الحضارة الإغريقية "اليونانية" (٢٠٠٠ – ١٤٦) ق.م حضارة اليونان القديمة (١١٠٠-١٤٦) ق.م.

٤.حضارة روما القديمة : حضارة الأتروسكان والرومان القدماء(من ٩٠٠ق.م إلى٥٠٠م) • المملكة الرومانية (٧٥٣- ٥٠٩)ق.م • الجمهورية الرومانية (٥٠٩-٢٧)ق.م • الإمبراطورية الرومانية (٢٧ق.م -٤٧٦م)

• ومن حضارات العالم القديم كذلك : حضارات "نورت شيكو" بكولومبيا (٣٠٠٠ – ١٦٠٠) ق.م، والحضارات الأولمية (١٢٠٠ – ٤٥٠) ق.م.

*****

الفصل الأول

❖ حضارات الشرق الأدنى :

قد يختلف علماء التاريخ حول مهد الجنس البشري بوجه عام غير أنهم لا يختلفون حول المهد الذي نشأت فيه أقدم التواريخ وأقدم الحضارات التي عرفها الإنسان؛ إنه "الشرق الأدنى".

♦ التعريف :

الشرق الأدنى القديم مصطلح يدل على الحضارات التي نشأت في ما يسمى اليوم بالشرق الأوسط، وتحديداً: بلاد الرافدين (حالياً باسم العراق والشمال الشرقي لسوريا)، مصر القديمة، وإيران القديمة (عيلام، وماد، وفارس)، أرمينيا، الأناضول (حالياً باسم تركيا)، الشام (حالياً سوريا، لبنان، الأردن، قبرص، فلسطين). ويستخدم هذا المصطلح غالباً في مجال علم الآثار في الشرق الأدنى والتاريخ القديم.

والشرق الأدنى مصطلح جغرافي أطلقته أوروبا في بادئ الأمر في أواخر القرن التاسع عشر؛ وبصورة غير محددة على هذا الجزء من جنوب شرقي أوروبا الذي كان ما يزال حينذاك تحت الحكم العثماني، ثم اقتبسته الولايات المتحدة وأضافت إلى رقعته الشرق العربي، وأصبح المصطلح أكثر تحديداً يشمل المنطقة الواقعة بين الخليج العربي شرقاً وحدود شمال أفريقيا غرباً، وأعالي آسيا الصغرى وأعالي بلاد النهرين شمالاً، وسواحل بحر العرب (أو المحيط الهندي) جنوباً.

لعبت منطقة الشرق الأدنى دوراً هاماً في التاريخ القديم كما أنها كانت

مركزاً لحضارات قديمة كان لها تأثيرها الفعَّال على حضارات العالم القديم.

يغطي هذا المصطلح حقبة بداية ظهور سومر في القرن الرابع قبل الميلاد، أما تاريخ انتهاء الحقبة فهي تتفاوت حسب الآراء؛ إما إنها تغطي العصر البرونزي والحديدي في المنطقة إلى حين دخول الأخميني للمنطقة في القرن ٦ ق.م؛ أو في عند دخول الإسكندر الأكبر في القرن ٤ ق.م؛ أو في زمن دخول الخلافة الإسلامية للمنطقة في القرن ٧ م.

♦ نبذة عن أقدم الحضارات القديمة :

اختلف المؤرخون في تحديد أقدم حضارة على وجه الأرض، والكثير منهم قال بأن أقدم حضارة في العالم هي حضارة بلاد الرافدين "حضارة السومر". عُرف عن تلك الحضارة بالعثور على شظايا من الألواح الطينية مكتوبة بالكتابة المسمارية. حيث عُرف منها أن السومريون كانوا في الألفية السادسة قبل الميلاد، وقد أقاموا حضارتهم في النصف الثاني في الألفية الرابعة قبل الميلاد، فكوَّن السومريون بعض المدن القديمة، وابتكروا النقش المسماري على الألواح الطينية، وكانت الكتابة المسمارية الكتابة الجيدة لديهم للتواصل مع الآخرين. وقد بقيت بعض الآثار التي تدل على تطور وإزدهار هذه الحضارة وهي : – تشريعات الملك حمورابي؛ والذي يعتبر أقدم قانون عرفته البشرية ويتكون من ١٨٢ مادة – حدائق بابل المعلقة – الزقورة (وهي عبارة عن معابد ومراصد فلكية).

وبطبيعة الحال فإن هناك عوامل مساعدة على قيام تلك الحضارة هي :

١– وفرة الأراضي الخصبة الواقعة على ضفتي نهري الدجلة والفرات.

٢– إنبعاث الزراعة ومعرفة أشهر التنظيمات الزراعية.

٣– إمتداد نهري الدجلة والفرات أدى إلى جذب السكان والإستقرار هناك.

ونظراً لأهمية تلك الحضارة فقد قام المؤلف باستعراض تفاصيل وافية عنها، بالإضافة إلى الحضارات العريقة الأخرى لبلاد الرافدين في كتاب منفصل.

♦ الشرق الأدنى القديم منبع الحضارات :

هذه الرقعة الجغرافية هي أولى المناطق التي يستخدم سكانها الزراعة المكثفة بها على مدار السنة، وأعطت العالم أولى نظم الكتابة، وبها اخترعت عجلة الفخّار ومن ثم عجلات النقل وعجلات الطاحون، وبها نشأت أولى الحكومات المركزية، وأولى القوانين المدونة، وأولى الإمبراطوريات، بالإضافة إلى أنها عرضت أولى مراحل التقسيم الاجتماعي الطبقي، والعبودية، والحروب المنظمة، كما أن سكان المنطقة وضعوا أساسات لميادين علوم الفلك والرياضيات.

❖ أهمية حضارات الشرق الادنى :

١- هي أقدم منطقة يتوفر فيها أقدم التواريخ والوثائق الأثرية التي تخص انسان العصر القديم، وأكثرها تنوعاً ولا يوجد رقعة جغرافية بالعالم مثلها، وعلى الرغم مما اكتشف بها فإن أرضها ما زالت تخبئ الكثير لم يُكتشف بعد، فإذا كانت مصر متحفاً، فإن الشرق الأدنى متحف عالمي مترامي الأطراف.

٢- هي نقطة نشوء الحضارات القديمة فقد ظهرت فيها أولى وأقدم الحضارات وسبقت حضارات أخرى كثيرة مثل: "الحضارة المينوية وحضارتي اليونان وروما والهند والصين". فإذا قارنا حضارة الشرق الأدنى بباقي الحضارات نجد أنها سبقت حضارات أوربا بما يزيد عن ألف عام وهذا من ناحية الجنوب الأوربي، أما عن شمالها فلم تظهر فيها حضارة منظمة إلا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس وظلت منغلقة على نفسها حتى عصر النهضة، ونفس الشئ في

حضارات الجنس الأسود في جنوب غرب القارة الأفريقية وشرقها حيث حضارات ذات منتجات بسيطة مقارنة بالشرق الأدنى. وبالنسبة للمنطقة الشرقية والتي يقطنها الجنس الأصفر "المغولي" لم تقم فيها الحضارات إلا بوقت متأخر، حيث يوجد اعتقاد خاطئ بأن الصين دولة قديمة الحضارة لكن الاكتشافات الأثرية أكدت أن أول قطعة معدنية تشير لإستخدام الصين للمعادن حوالي ١٢٠٠ق.م أي بعد استخدامها في مصر والشرق الأدنى بـ ٣٠٠٠ عام، ونفس الوضع ينطبق على الكتابة التي عرفت في مصر وبلاد النهرين وعيلام بإيران قبل أن يعرفها الصينيين بـ ٢٠٠٠ عام.

٣- خلف انسان الشرق الأدنى القديم للأجيال التالية تراثاً حضارياً غنياً بالنظم الإدارية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية والعلمية والفنية. والنجاح في العلاقات الخارجية والشواهد الأثرية خير دليل على ذلك؛ فكان انسان الشرق الأدنى أول من أنشأ الحياة المدنية ذات الحكومات وما يجب أن يكون بين الحاكم وشعبه، وأول من فكر في الديانة والمعتقدات الدينية، وأول من وضع النظم الاجتماعية فظهرت أول مجموعة قانونية متكاملة تنظم القيم الجماعية والتقاليد والعلاقات بين بلاد النهرين في عهد "حمورابي" (١٧٩٢-١٧٥٠) ق.م، وتشريعات حور محب بمصر، وهو أيضاً أول من وضع النظم الاقتصادية وطور معارفه بالزراعة والصناعة والتجارة، ويذكر المؤرخون أن اليمنيين أنشأوا عشرات السدود أشهرها سد مأرب، كما اشتهرت الصناعات ببلاد الشرق الأدنى كالبردي بمصر والنسيج بسوريا حيث برع الفينيقيون بصناعة النسيج والأقمشة الصوفية منذ الألف الثانية ق.م، وكان الفنيقيون أقدم الشعوب التي عملت بالملاحة البحرية في العالم القديم، وحملوا تلك المنتجات إلى مختلف أنحاء العالم القديم في موانئ

البحر المتوسط وأبعد من ذلك أيضاً. كما ظهرت أقدم الكتابات في عصور ما قبل التاريخ حوالي ٣٥٠٠ ق.م أمثال حضارة الوركاء بالعراق ونقادة بمصر وحضارة عيلام بإيران وأطلق عليها الكتابة العيلامية. وظهرت الكتابة في وقت واحد بمصر وببلاد النهرين ولذلك يصعب تحديد أيهما أقدم كما اهتم ملوك الشرق الأدنى بالثقافة أمثال "سرجون الثاني" ٧٢٢-٧٠٥ ق.م الذي أنشأ مكتبة في نينوي وكان أكثرهم اهتمام بالثقافات هو "أشور بانيبال" ٦٨٨-٦٢٦ ق.م .

كما أبدع الشرق الأدنى في مجال العمارة ويكفينا أن نعلم بأن ثلاثة من عجائب الدنيا السبع القديمة والتي عُرفت عند اليونانيين موجود في بلاد الشرق الأدنى وهي هرم خوفو وفنار الاسكندرية بمصر وحدائق بابل المعلقة بالعراق وكذلك اهتموا بالموسيقى والغناء. وعن العلاقات الخارجية فقد حققوا نجاحاً باهراً بها ونرى ذلك من صلات تجارة بين مصر وجيرانها ومن معاهدات الصداقة بين البلاد ورسائل تل العمارنة تثبت لنا ذلك وقد عقد الملك "حور محب" معاهدة مع "مورسيل الثالث" ملك الحيثيين وكذلك عقد "رمسيس الثاني" معاهدة سلام ودفاع ومساعدة مشتركة مع "خاستويل" عام ١٢٨٠ ق.م .

٤- إن لحضارات الشرق الأدنى القديم الفضل الكبير في نشأة الحضارة الأوربية القديمة حيث استمدت حضارتي اليونان وروما الكثير منها، بل إن ظهور حضارات في جزر البحر المتوسط كجزيرة كريت كان نتاج احتكاكهم بالفينيقيين لقرب المسافة بينهم، ولكن كان اقتباس اليونايين مظاهر الحضارة من الشرق الأدنى بصورة غير مباشرة من خلال شعوب أسيا الصغرى وبفضل الرحالة اليونانيين الذين توافدوا على إيران والعراق وسوريا ومصر منذ القرن الخامس وسجلوا الكثير عنها أمثال: "فيثاغورس" و"طاليس". ومن تلك المظاهر المستمدة الزراعة وصناعة

الحديد والنسيج واستئناس الحيوان، وزاد الاتصال بفضل حملة "الاسكندر الاكبر" على الشرق ولكن الظاهر أن تلك الحملة حملت التأثيرات اليونانية على الشرق لكن إذا دققنا النظر نلاحظ الروح الشرقية فيها.

◀ومن تأثيرات الفينيقيين في أوربا :

الحروف الهجائية فنحن نعرف أن اللغات الأوربية الحديثة أصلها اللاتينية، واللاتينية مأخوذة من الرومانية والرومان أخذوها عن اليونانية القديمة، واليونان أخذت حروفها من الفينيقية، ولكن لا ننسى أن الكثير من حروف الأبجدية الفينيقية مقتبسة من الخط الهيروغليفي.

◀ومن تأثيرات بلاد النهريين في أوربا :

مبادئ الرياضيات فيكفى أن نعلم أن الأصل الذي اقتبس منه عالم الرياضيات "فيثاغورس" نظرياته كان من العراق القديم ومكتوب على لوح من الطين المحروق ومحفوظ بمتحف الآثار ببغداد. كما استمد اليونانيين آراء الكلدانيين في علم الفلك والخرائط الجغرافية؛ فما استطاع "طاليس" أن يعرف كسوف الشمس عام ٥٨٥ ق.م. دون فضل البابليين. وفي مجال الأدب تبرز لنا ملحمة الأوديسة للشاعر "هوميروس" وهي منقولة من اينوما ايليش البابلية، وكذلك الأساطير اليونانية مقتبسة من الشرق الأدنى، ويتضح تأثير الفن الآشوري في الفن اليوناني.

٥- إن الشرق الأدنى القديم هو صاحب الإرث الروحي والرصيد الديني الذي لا يوجد له نظير في أي منطقة بالعالم، وقد تأثرت الكثير من ديانات الغرب بالمعبودات الشرقية لدرجة أنهم بنوا معابد خاصة لها كمعبد إيزيس بروما. وبعد ذلك جاءت فترة ظهور الأنبياء والرسل الذين خرج أغلبهم من الشرق الأدنى

برسالات الإيمان والتوحيد كسيدنا ابراهيم عليه السلام بالعراق، ونوح عليه السلام الذي وقفت سفينته في جنوبها، وأيوب عليه السلام بالجزيرة العربية، وهود عليه السلام بالأحقاف، وصالح عليه السلام بالحجر وشعيب عليه السلام بمدين، ويحيى عليه السلام بفلسطين، ولوط عليه السلام بالأردن، وكان ذلك تمهيداً لوضع الشرق الأدنى منبع الديانات والكتب السماوية حيث خرج منها موسى عليه السلام بالتوراه، وعيسى عليه السلام بالإنجيل وآخر الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام بالقران الكريم.

٦- إن معظم آثار الشرق الأدنى مازال قائماً حتى بإيران والعراق وسوريا ولبنان وتركيا والأناضول وغيرها من متاحف الدول الأجنبية.

كل هذه الأسباب التي ذكرت توضح لنا أن الشرق الأدنى جدير بالاهتمام فلم يكن عالماً غامضاً أو متخلفاً بل مجتمع ذو حضارة رائدة عظيمة استفاد الكثير منها.

❖ التشابه والتنوع في الشرق الأدنى القديم وتأثيرات البيئة في حياة أهله :

تعبير الشرق الأدنى القديم تعبير اصطلاحي تأثر إلى حد ما بالتعبير الأوروبي "The Ancient Near East" وقد امتدت معالم الحضارات القديمة فيه امتداداً عميقاً واسعاً، على الرغم من غلبة الطابع الصحراوي على معظم أراضيه. فانتشرت خلال عصور ازدهارها من أعالي الشام وأعالي العراق شمالاً حتى سواحل بحر العرب "أو المحيط الهندي" جنوباً، ومن شمال إفريقيا وشمال السودان غرباً حتى الخليج العربي شرقاً، وشغلت ما يشغله الشرق العربي في حدوده الحالية.

وبعد أن سايرت الحضارات الأولية الدهور الحجرية في هذا الشرق الأدنى بقية حضارات العالم المسكون التي عاصرتها، تميزت عنها بالسبق الحضاري منذ فجر تاريخها، أي منذ الألف السادس قبل الميلاد فصاعداً، حين تمايزت بين حضارات وديان أنهارها الكبرى حضارتان أصليتان توافر لهما أثر عميق على أغلب ما تعاقب بعدهما من حضارات، ونعني بهما حضارة مصر وحضارة العراق، اللتين بدأ فيهما الإنقلاب الرئيسي الثاني في مجالات الحياة المادية للإنسان القديم، وهو بدء حرفة الزراعة بعد معرفة سر إيقاد النار، كما بدأ فيهما التطور المعنوي الكبير الثاني لثقافات الشعوب القديمة وهو بدايات الكتابة بعد معرفة بدايات الفنون. ثم ظهرت في الشرق الأدنى مع نضج ثقافات القديمة تشريعات وضعية متكاملة، وعقائد أخروية واعية، وبذور الوحدانية، وأسس العلوم، كما أشرقت فيه ديانات سماوية ساهم بعض أهله في نشرها وكانت ولا تزال هدى للعالمين القديم والحديث. وظلت آثار حضارات الشرق المادية والفنية أوفر عدداً وأعظم ضخامة مما عداها من آثار بقية الحضارات القديمة. كما استمرت تطوراته أوسع وأوضح من تطوراتها حتى أواسط الألف الأول قبل ميلاد المسيح، حين أدت ظروفه وظروفها إلى انتقال موازين القوى وزعامة الحضارة من بلاده إلى أمة الفرس في شرقه وإلى بلاد الإغريق ومن تلاهم في شماله الغربي، وإن لم يكن هذا قد حرم الشرق الأدنى من أن يظل رمزاً باقياً للأصالة، برغم كل ما تعاقب عليه من نكبات وشدائد، كما لم يحرمه من النهوض بعد قرون طويلة عملاقاً قوياً في ثوب حضاري جديد بعد ظهور الإسلام على أرضه وبين أهله.

وربطت بين مواطن العمران الأولى في الشرق الأدنى القديم عدة روابط طبيعية وجنسية وحيوية بقيت آثارها المحسوسة حتى الآن. ومعروف ما للعوامل

المناخية والبيئية من تأثير في نفسيات الشعوب وملامحها ومعايشها وأخيلتها، لاسيما في عصورها التكوينية الأولى التي كان ارتباط الإنسان فيها ببيئته وخضوعه لإيحاءاتها أكبر مما هو عليه الآن بكثير، وظلت الظروف المناخية التي سادت العصور التاريخية للشرق الأدنى متشابهة المظاهر ومتشابهة النتائج إلى حد واضح. وكانت ولا تزال تميل إلى الجفاف في معظم أحوالها، فيما خلا مناطق قليلة اتصفت بمناخها الخاص على سواحل البحر المتوسط وإلى حد ما على سواحل البحر الأحمر وبحر العرب أو المحيط الهندي.

وظلت معابر الشرق الأدنى البرية التي استخدمها أهله القدماء في تنقلاتهم واتصالاتهم مفتوحة مطروقة في أغلب الأحيان إلى حيثما تطلبت المصالح الإقليمية زيادة تحصيناتها وتشديد الرقابة عليها في فترات الغزوات الخارجية والهجرات العنيفة. وترتب على هذين العاملين أن ظلت أغلب الجماعات ذات الأثر في عمران الشرق الأدنى وتحضره من السلالات التي عرفت اصطلاحاً باسم السلالات السامية الحامية، وقد انحدرت في بداية نشأتها من عائلة جنسية واحدة ذات أرومة لغوية متقاربة، ثم انضافت إلى هوامشها من حين إلى آخر هجرات شعوبية دخيلة وفدت من أواسط آسيا ومرتفعاتها ومن جزر البحر المتوسط، ولكنها وفدت في أغلب حالاتها قليلة الأعداد وعلى فترات متباعدة، وذلك مما شجع اللبانة السامية الحامية على أن تنتشر بها وأن تصبغها بصبغاتها ثم تذيبها تدريجيّاً في كيانها الجنسي واللغوي والفكري الكبير، وقد نتج عن ذلك أن استمرت مظاهر التشابه في لغات شرقنا الأدنى القديم واتجاهات عقائد شعوبه وأساطيرهم أكثر وأوضح من مظاهر الاختلافات الإقليمية بينها. ومن صور ذلك التقارب أنه أمكن التعرف على ما يقرب من مائتي كلمة مصرية قديمة لا تزال أمثالها حية في مفردات

اللغة العربية الفصحى، وهي مجرد قلة من كثرة اندثر بعضها، وانزوى بعضها الآخر في بطون المعاجم نتيجة للتطور الزمني والحضاري لمفردات الكتابة والحديث. ولعل الأكثر دلالة على صلة الرحم القديمة هو وجود صلات جوهرية بين قواعد النحو في كل من اللغة المصرية القديمة واللغة العربية بخاصة، على الرغم من اختلاف صور الكتابة بينهما، ومن ذلك وجود حروف الحاء والعين والقاف في اللغة المصرية القديمة، وشيوع المصدر الثلاثي بين أفعالها، وغلبة الفعل المعتل الآخر فيها، وما أخذت به من سبق الفعل للفاعل، وإلحاق الصفة بالموصوف، واستخدام صيغة المثنى، وإضافة تاء التأنيث في نهاية بعض أسمائها وصفاتها المؤنثة، واستخدام ياء النسبة، وتمييز البعض من الكل، واستخدام كاف المخاطب وميم المكان ونون الجمع، مثلها في ذلك مثل اللغة العربية، وذلك فضلاً عن كتابة الحروف الساكنة وشبه اللينة في كلماتها دون حروف الحركة، وتشابه عدد من ضمائرها مع ضمائر بعض لهجات اليمن ولهجات العراق ولهجات جنوب الشام في العصور القديمة، مع اختلاف في طريقة النطق بين كل واحدة والأخرى، ولا شك في أن التقارب في قواعد النحو بين اللغات لا يتأتى إلا عن طريق وحدة أصولها القديمة. غير أنه كان من البديهي أن يترتب على شدة اتساع رقعة الشرق الأدنى القديم، وتباعد المواقع الجغرافية لأطرافه، وتباين التكوينات التضاريسية لأجزائه، بعض التنوع الإقليمي في الأوضاع المعيشية والاجتماعية والسياسية لشعوبه ومجتمعاته. وتتضح بعض صور هذا التنوع فيما ستتناوله الصفحات التالية من اختلاف ظروف البيئات النهرية والصحراوية والساحلية، ومدى توافر فرص الاختلاط والاتصالات، على تكوين القوميات القديمة وخصائص الشعوب هنا وهناك.

◆ في وادي النيل :

إذا بدأنا بمصر؛ فلعل أقرب ما يتبادر إلى الخاطر من نصيبها في التمايز الإقليمي عن جيرانها هو أن جريان نهر النيل في أرضها قد خفف نتائج جفافها المناخي إلى حد كبير، على الرغم من دخولها في النطاق الصحراوي العظيم الذي يمتد في أغلب بقاع الشرق الأدنى من الخليج إلى المحيط. ثم استطاع أن يطبعها بطابع خاص من الكفاية والاستقرار، وأن يوجه معايش أهلها وجهة زراعية غالبة مترابطة منذ أن أنس أجدادهم إلى ضفافه وزاد استقرارهم عليها في فجر تاريخهم القديم، ومنذ أصبحوا يستغلونه ويقدرون جوانب نفعه أكثر ما يتهيبون مظاهر جبروته وطغيان فيضاناته. وأدت خاصية الامتداد الرأسي الطويل لنهر النيل من الجنوب إلى الشمال مع ندرة فروعه الطبيعية الجانبية في مصر إلى توزيع مواطن العمران فيها على جانبيه توزيعاً رأسياً أكثر منه أفقيّاً، وهي ظاهرة أدت فيما هو معروف إلى تكاثف سكانها في مناطق محدودة المساحات نسبيّاً، وإن سمحت في مقابل ذلك بتيسير الاتصالات المكانية ووسائل النقل المائية بينهم. وترتب على هذه الاتصالات البشرية والمكانية المتاحة بعض الأثر في الإيحاء إلى الحكام والمفكرين المصريين القدماء بواقع الترابط الطبيعي بين أجزاء أرضهم ومدى اتصال مصالحها ومقومات حياتها وقوميتها. وأفضى هذا الأثر أو هذا الإيحاء، مع غيره من مجريات الأحداث القديمة في مصر، إلى التبكير فيها بظهور أول وحدة سياسية كبيرة مستقرة معروفة في تاريخ البشرية كلها.

ولم تخل البيئة المصرية من مشكلات تطلبت أن يوجهها سكانها بالتحدي العملي والفكري حتى يتغلبوا عليها أو ييسروها ويقللوا من أخطارها. وغالباً ما كانت التحديات ولا تزال من أهم الحوافز إلى الرقي والإبداع الحضاري.

والواقع أن أمور النيل والزراعة لم تكن هينة دائماً في أوائل عصور التحضر المصري القديم، وإنما تخللتها مصاعب وظواهر ظلت تتطلب من أهلها كثيراً من الصبر والجهد المتصل، وإن يكن جهداً منتجاً في حد ذاته. ففيضانات النهر كانت على الرغم من جودها وانتظام مواسمها تستدعي اليقظة الجماعية لمواجهتها، وتتطلب التعاون لتقليل أخطارها، وتحتاج إلى كثير من بذل الجهد وتطوير المهارة لتيسير الانتفاع بها وتوصيلها إلى الأراضي المرتفعة عن مستوياتها. وبقيت بعض ضفاف النيل ومناطق دلتاه بخاصة؛ على الرغم من خصوبتها الفطرية موطناً للأحراج النباتية والمناقع المائية طوال دهور ما قبل التاريخ وخلال أوائل العصور التاريخية ذاتها، وبهذا ظلت هي الأخرى تحتاج إلى تكاتف بشري وجهد متصل في سبيل استصلاحها وتهذيبها واستغلالها. وأدت جهود المصريين في الحالين إلى تزكية إحساسهم الجماعي بضرورة الارتباط بحكم مركزي مستقر يشرف على جهودهم العامة وينسقها وينظم الانتفاع بنتائجها. وإذا كانت الصحراوات المصرية الواسعة قد شابهت غيرها من صحراوات الشرق الأدنى في مظاهر فقرها الطبيعي، وفي أن هذا الفقر كثيراً ما دفع بدوها المحليين إلى تعكير أمن حواف المناطق الزراعية وطرق التجارة البرية، وظلت نتيجة لذلك تستدعي اليقظة الدائمة من الحكومات المصرية القائمة لكسر شرة بدوها.

◆ في بلاد النهرين :

تشابهت تأثيرات الأنهار الكبيرة والصحراوات الواسعة في العراق القديم مع تأثيرات أمثالها في مصر في بعض أمورها واختلفت عنها في بعض آخر. فقد كفل نهرا دجلة والفرات لأهل العراق الأقدمين خصباً وكفاية، ووفرا لهم نصيباً كبيراً من الاستقرار في المعيشة والسكن، الأمر الذي ساعد حضاراتهم الأولى على أن

تنضج في عصور مبكرة لا تبعد كثيراً عن العصور التي نضجت فيها الحضارة المصرية الأولى. وعمل النهران وفروعهما على تيسير الاتصالات المكانية والمواصلات المائية وإتاحة فرص الارتقاء بصناعة السفن منذ فجر التاريخ العراقي القديم أو في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، ولكن الملاحة في النهرين لم تكن على الرغم من ذلك مأمونة دائماً، وذلك نتيجة لشدة انحدارهما وسرعة جريان تياراتهما في أجزائهما العليا بعامة، وبطء جريانها وكثرة مناقعهما في أجزائهما الدنيا بخاصة، وذلك بحيث ظلت عملية عبور النهرين في بعض أجزائهما تحتسب من الأمور الشاقة التي رددت النصوص العراقية القديمة مخاطرها حتى في العصور الآشورية المتأخرة ذاتها. يضاف إلى هذا أن فيضانات النهرين مع ما حملته للعراق من خصب ورخاء واستقرار ظلت قبل أن تخفف الجسور ومشاريع الري والصرف من وطأتها وحدتها عنيفة مخشية الجانب في غالب أمرها لعدم انتظام مواسمها ولشدة اندفاعاتها، وذلك إلى حد أن أصبحت عبارة "زوبعة الفيضان" مثلاً استخدمه أدباء العراق القدماء للتعبير عن كل أمر كاسح مدمر. وقد تشتد هذه الفيضانات في غير فترات الحاجة الملحة إليها، بحيث قد تعنف خلال مواسم الحصاد، أو تعنف في أوائل الصيف حيث تؤدي شدة الحر والبخر إلى سرعة تسرب ماء الري وجفافه من الأرض.

وأفضت خاصية الامتداد العرضي الكبير للأراضي التي تتوسط النهرين والأراضي الواقعة على جانبيهما والمترامية على روافدهما وفروعهما "مثل الزاب الأكبر والزاب الأصغر وديالي والكرخة وبالخ والخابور .."، فضلاً عن ظاهرة الامتداد الطولي الكبير للمناطق العراقية الواقعة بين الخليج العربي وبين جبال أرمينيا وزاجوراس، إلى إمكانية قيام وحدات سياسية وحضارية كثيرة متفرقة مستقلة

بعضها عن بعض، نعمت كل منها بأسلوب حكمها الخاص في ظل (دويلات المدن) لفترات طويلة، ولكن تفرقها هذا أدى من ناحية أخرى إلى قلة إحساس أهلها بالضرورة الملحة إلى التكاتف السياسي والترابط القومي فيما بينها، إلا بوحي المطامع الإقليمية الطارئة التي تمثلت في أغلب أحوالها في رغبة بعض دويلات المدن في تعويض شح مواردها على حساب جيرانها، وتأمين طرق تجارتها إذا سلكت سبلها في أقاليم أخرى قريبة منها. وعملت هذه الأوضاع مع غيرها، على ما شهد به تاريخ العراق القديم من أن سياسته العالمة لم تتطور من الإقليمية إلى مرحلة الوحدة السياسية الكاملة والقومية الشاملة والاتساع الخارجي إلا في عصور متأخرة نسبيّاً "منذ عصر الأكديين" وبغير استقرار سليم طويل، ثم ما شهد به من استمرار المشاحنات الداخلية بين أمثال البابليين وجيرانهم الآشوريين على الرغم مما كان بينهما من صلة الجنس وقرب الجوار ووحدة الديار.

واتصلت ببلاد النهرين من الغرب والجنوب صحراوات وبوادي واسعة لم تخل من نفع كبير ومن متاعب كثيرة في الوقت نفسه. فكان من وجوه الخير فيها أن قامت على أطرافها أسواق تجارية رائجة، وخرجت منها هجرات سامية كبيرة نزلت أراضي العراق القريبة منها على فترات متقطعة، وكانت تشتد على أهلها الزراع في بداية اندفاعها ثم لا تلبث أن تطمئن بعد ذلك إلى أسلوب معايشهم وتكفل التجديد في دمائهم وتؤدي إلى التنويع في حضاراتهم، بل ونجحت أحياناً في ضم شملهم وتوسيع حدودهم تحت راية زعمائها، كما فعل الأكديون الساميون الذين حققوا وحدة معظم العراق لأول مرة في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، ثم اتسعوا بنفوذه الخارجي لأول مرة في تاريخه. وقلدهم بعد ذلك البابليون الساميون. كما أن بعض من عاشوا في واحات البوادي المتناثرة بين العراق وبين

الشام ظلوا من أدوات الاتصال التجاري والتبادل الحضاري بين بلاد النهرين وبين ما أحاط بها من مواطن الحضارات القديمة الأخرى. ومعنى ذلك كله أن انكشاف حدود العراق للهجرات السامية الصحراوية لم يكن شرّاً كله "على خلاف ما تصفه به عادة أغلب المؤلفات التاريخية الحديثة". ولكن صحراوات العراق وبواديه ظلت من وجه آخر شحيحة في مواردها الطبيعية من المعادن والأحجار، ولم تَجُد بما جادت به الصحراوات المصرية منهما. كما ظلت حوافها المطلة على أرض الزراعة تتطلب جهداً عسكريّاً متصلاً لمراقبة تحركات وتحرشات قبائلها البدوية الرعوية التي لم تكن تنقطع.

وجاور بلاد العراق من الشرق شعب كبير قوي لا يقل عن شعبها قدماً وحضارة وطموحاً، ألا وهو شعب عيلام في هضبة إيران. وكان من منطق الحوادث ألا ينقطع التنافس بينهما لاتصال الحدود واختلاف الجنس وتضارب المصالح وشهوة الغلبة، وبلاد العراق بلاد قارية داخلية ليست لها سواحل بحرية غير سواحل الخليج العربي في مناطقها الجنوبية، وأدى هذا بها إلى أن تتطلع دائماً إلى مخرج غربي على ساحل البحر المتوسط يخدم مصالحها؛ سلماً أو حرباً.

وعوضت المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية سهول العراق القريبة منها ببعض ما أعوز غيرها من المواد الأولية لا سيما الأحجار، لولا أن شعابها كثيراً ما اجتازتها هي الأخرى هجرات آرية رعوية كاسحة، وكثيراً ما جاست في وديانها أقليات متفرقة خشنة عز على أفرادها أن ينسجموا في معايشهم وعاداتهم مع الزُرّاع العراقيين المستقرين على السهول، وعز عليهم التوطن بسهولة معهم. وترتب على ذلك أنه كثيراً ما فاجأت هذه الأقليات وتلك الهجرات دويلات العراق المتحضرة المعاصرة لها بين كل حين وآخر وقطعت عليها نضجها السياسي

وحرمتها نعمة الاستقرار الطويل. وينطبق ذلك على ما فعلته هجرات الجوتين والكاسيين والحوريين والميتانيين فضلاً عن غزوات العيلاميين والخاتيين "الحيثيين" على التوالي. ومرة أخرى لم تكن الهجرات الآرية التي نزلت أرض العراق شرًّا كلها، فقد توفرت لها جوانب أخرى نافعة، وقد لا يكون من قبيل المصادفة أن أقدم تشريعات آشورية معروفة حتى الآن يغلب الظن أنها ظهرت في عصر امتداد هجرات الحوريين الآريين إلى أرض آشور. ولعله كان لتعدد الجنسيات والهجرات التي نزلت العراق في عصوره القديمة بعض الأثر في ظهور تشريعات عراقية متعددة تنظم العلاقات بين الطوائف المختلفة من السكان، وظهور فكرة معاجم المفردات المقارنة باللغات القائمة في حينها لتيسير انتفاع الجماعات المتنوعة بها.

وأخيراً قد لا يكون من المستبعد أنه ترتب على ما تعوده أهل العراق القديم من الظواهر الغالبة لفيضاناتهم وصحراواتهم وجبالهم من حيث غلبة المشكلات فيها إزاء المنافع، فضلاً عن تقلبات المناخ وحدة الفوارق فيه؛ بعض الأثر في صبغ حياتهم القديمة بغير قليل من الحدة والتوتر، وهي صبغة توفرت لها مزاياها أحياناً، كما توفرت لها عثراتها أحياناً أخرى. بل وتوفر لها بعض الأثر كذلك فيما رددته أساطيرهم عن شدة عداء بعض أرباب بيئتهم لبعض ومنافسة بعضهم بعضاً، وبعض الأثر أيضاً في توجيه فنون النحت والتصوير في عصورها الأولى بخاصة إلى إيثار المبالغة، والميل إلى إشاعة الرهبة، ثم صرف معظم جهودهم الفكرية القديمة إلى توفية مطالب دنياهم والتشريع لمعاملاتها دون اهتمام صريح عميق بأمور الآخرة وفلسفات الحساب والثواب المعنوية على خلاف المصريين القدماء، وذلك رغم ما تدل عليه بعض الآداب العراقية من رغبة حكمائهم الملحة في تحصيل الخلود الدنيوي ودفع الموت والفناء بكل سبيل "في مثل قصص

جلجميش وغيرها" ، ومع ما تدل عليه نصوصهم الدينية من حرصهم على إرضاء أربابهم في دنياهم وطمعهم في أن يدع هؤلاء الأرباب أرواح موتاهم آمنة في عوالمها البعيدة الغامضة.

◆ في بلاد الشام :

توسطت بلاد الشام بين حضارة النيل وبين حضارة النهرين، فكانت من أدوات الوصل بينهما واستفادت منهما. وظلت مناطقها الشرقية والشمالية الشرقية أكثر تجاوباً مع حضارات بلاد النهرين، بينما ظلت مناطقها الساحلية الغربية ومناطقها الجنوبية أكثر تجاوباً مع حضارة النيل منذ مراحلها العتيقة الأولى. وأفضى هذا إلى نتيجة أخرى؛ وهي أن مناطق الاحتكاك في بلاد الشام كثيراً ما غدت ميداناً للتنافس السياسي بين جارتيها القويتين مصر والعراق. ووقعت أعالي سوريا في الوقت ذاته بين الكتلة السامية في الشرق الأدنى وبين المجموعة الآرية التي تحف بها في آسيا الصغرى وأعالي النهرين، فكانت ميداناً للاتصال الحضري بينهما واستفادت بذلك منهما، ولكنها بقيت في الوقت نفسه ميداناً للتنافس المسلح بينهما؛ فشقيت بذلك بهما.

وظلت بوادي الشام من أهم مناطق الجذب والدفع البشريين في الشرق الأدنى، ولم تهدأ الحركة فيهما في أغلب عصورها القديمة. وقد اكتسبت خاصية الجذب نتيجة لتميزها عن صحراوات شبه الجزيرة العربية المتصلة بها في جنوبها، بوفرة عشبها الطبيعي وفرة نسبية، وصلاحية بعض واحاتها للإقامة والتكاثر صلاحية نسبية، فترتب على ذلك أن أصبحت منطقة إغراء بالنسبة لقبائل هذه الصحاري كلما ازدادت كثافتهم عن طاقة مواردهم المحدودة، وكلما طالت موجات الجفاف واشتدت على مراعيهم، وكلما مزقت الخلافات الداخلية شمل قبائلهم وبطونهم

وأجبرتهم على ترك مواطنهم. واكتسبت هذه البوادي خاصية الدفع من ناحية أخرى نتيجة لوقوعها بين منطقتين غنيتين تمتازان عنها من مناطق الهلال الخصيب، وهما ضفاف الفرات شرقاً والسهول المطلقة على سواحل البحر المتوسط غرباً، وذلك مما جعل هاتين المنطقتين مطمحاً دائماً لأهلها، فتسربوا إلى دولهما في تحركات بطيئة صغيرة عديدة خلال عهود تماسكها السياسي وقوتها العسكرية، كما اندفعوا إليها في هجرات كبيرة غالبة في عهود تخلخلها السياسي وضعفها الحربي.

ولم تقم البادية وحدها بعمليتي الجذب والدفع البشريين في تاريخ الشام، وإنما شابهتها في ذلك إلى حد ما بعض المناطق الجبلية الساحلية، مثل مرتفعات لبنان. فقد حفلت هذه المرتفعات بغابات متسعة من أشجار الأرز والصنوبر استغلها السكان في تنشيط الملاحة البحرية وضمنوا بها مورداً تجاريّاً ضخماً في تعاملهم مع كل من مصر وبلاد النهرين، ولكن غناها النسبي هذا بمواردها الطبيعية جعلها مناطق إغراء في الوقت ذاته لطمع الهجرات والغزوات الهندوآرية ذات الصلة بأمثال الحوريين والميتانيين الذين اندفعوا عليها على فترات مختلفة عن طريق ثغرة حلب وجنوبي الأناضول، وذلك فضلاً عن إغراء السيطرة الاقتصادية أو السياسية عليها من الدول القوية المحيطة بها. واكتسبت نفس المناطق المرتفعة خاصية الدفع من جهة أخرى، نتيجة لأن غناها النسبي ليس من شأنه أن يوفر الحياة الرغدة لغير الأعداد المحدودة من السكان، بينما هو يعجز عن توفيرها بكفاية كلما تكاثفت أعدادهم وتضخمت فوق طاقة مواردها الطبيعية، فلا يكون أمام بعضهم حينذاك إذا شاءوا أن يستعيدوا رغد الحياة إلا أن يلتمسوا أسباب الرزق الواسع بالهجرة إلى أرض أخرى تستوعب طموحهم وترضيه.

وامتدت سواحل الشام امتداداً طويلاً على البحر المتوسط، ومثلت جزءاً

كبيراً من النهاية الغربية لمنطقة غرب آسيا. وأدى هذا الوضع الطبيعي إلى عدة نتائج حيوية، فكان له أثره في ازدهار عدة مواني طبقت شهرتها آفاق العالم القديم وأصبحت عصباً لدويلات مدن مستقلة ثرية. وكان له أثره في توجيه نشاط أهلها وجهة بحرية وتجارية غالبة وقيامهم بدور الوسيط الاقتصادي والثقافي بين المناطق الداخلية في غرب آسيا وبين جزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط من ناحية، وبين سواحل إفريقيا الشمالية من ناحية أخرى، كما كان له أثره في تشجيع بعض طوائفهم على الهجرة إلى الخارج عن طريق البحر المفتوح. ثم كان له أثره في استقبالهم هجرات كثيرة وفدت عليهم عن طريق البحر وكانت لها منافعها كما كانت لها أخطارها. وقد أدت هذه العوامل كلها إلى وضوح الاختلاط الجنسي بين أهل السواحل وتزويدهم بنصيب كبير من المهارة التجارية مع المرونة في التعامل وقدرة ملحوظة على التأقلم السريع بخصائص المجتمعات التي عاشروها أو التي اضطرتهم الظروف إلى الانتقال إليها والتماس الإقامة القصيرة أو الإقامة الطويلة فيها.

وأخيراً فليس من شك في أن التنوع البيئي والمعيشي والوجداني والسياسي الذي أوجزناه لأجزاء شرقنا الأدنى القديم داخل وحدته الجنسية واللغوية القديمة الكبيرة، كان مسؤولاً إلى حد كبير عن مظاهر التنافس السياسي والحربي التي نشبت بين شعوبه من حين إلى آخر وقطعت عليها سلامها واطمئنانها لفترات، وكان مسؤولاً كذلك عن سوء فهم فريق منها للفريق الآخر أحياناً، ليس على مستوى الشعوب وحدها بل وبين طوائف الشعب الواحد أيضاً في بعض الأحوال، لاسيما في مناطق العراق وبلاد الشام. ولكن ليس من ريب كذلك في أن ذلك التنوع لم يكن في الوقت نفسه بغير قيم وفوائد حيوية لشعوبه. فقد كان من شأنه

أن يحفظ لكل شعب منها شخصيته الإقليمية واضحة، وأن يكفل لكل شعب منها خبراته الخاصة التي اعتز بها واشتهر بها، وأن يطلق العنان لخيال أصحابه كي يشيدوا بعراقتهم وأصالة موطنهم كيفما شاءوا، وأن يؤدي إلى ثراء فنون المنطقة في مجملها، وإلى تعدد صناعاتها، باختلاف مقوماتها واختلاف أذواق أصحابها، وإلى فتح مجالات المنافسات الاقتصادية والفنية المشروعة بينها في الأسواق الداخلية والخارجية، وكان من شأنه كذلك أن يفتح مجالات الاتصال الحيوية بين حضارات أهله حين كان يلزم أصحاب كل حضارة بأن يستكملوا ما ينقص بيئتهم من المواد الأولية والكمالية ومن الخبرات الصناعية والفنية من أصحاب الحضارة الأخرى.

ولا زال مدى تأثير كل حضارة من الحضارات الشرقية في أختها، موضعاً لمجادلات تاريخية وأثرية طويلة ولكنها مجادلات لا تنفي إطلاقاً عمق صلات هذه الحضارات بعضها ببعض منذ فجر تاريخها البعيد. وذلك ما سوف تناقشه الصفحات التالية في سياق بحثها لمراحل التطور في ثلاثة من حضارات العالم القديم هي حضارة مصر القديمة وحضارة الحيثيين وحضارة الأناضول .

وقد تناولنا الحديث عن باقي حضارات العالم القديم في سلسلة من الكتب متتابعة صدرت للمؤلف.

*****

الفصل الثاني

الحضارة المصرية القديمة

هي حضارة قدماء المصريين والتي تركزت على ضفاف نهر النيل في الشمال الشرقي للقارة الإفريقيّة، بدأت تلك الحضارة في الألفية الثالثة قبل الميلاد عند توحيد مصر العليا والسفلى على يدي الملك "مينا"، ضمت تلك الحضارة المتطورة سلسلة من الممالك المتتابعة والمستقرة من الناحية السياسية، تخللتها فترات عدم استقرار. بلغت الحضارة أوجها في عصر الدولة الحديثة، وبسبب تعرضها للعديد من الهجمات الأجنبية أخذت في الإنحدار حتى انتهى حكم الفراعنة على يد الإمبراطوريّة الرومانيّة والتي جعلت من مصر إحدى مقاطعاتها.

السبب الرئيسي لنجاح الحضارة على ضفاف النيل والذي استمدت منه نجاحها وشهرتها واستمراريتها لسنوات طويلة هو قدرة الفراعنة على التكيّف مع الظروف القاسية المحيطة بوادي النيل، حيث توافرت كل مقومات الزراعة من تربة خصبة ومياه ومناخ، فكانوا يملكون القدرة على التنبؤ بالفياضانات، وابتكار الطرق للسيطرة عليها والعمل على الحد من أضرارها، وتسخيره في انتاج أنواعٍ من المحاصيل الزراعية الوافرة التي أسهمت في التنمية الاجتماعية والثقافية.

ومن أهم معالم الحضارة المصرية التي تبرز إنجازات الفراعنة وتشهد على زخم تلك الحضارة وعراقتها والتي لاتزال قائم إلى يومنا هذا الأهرامات والمسلات والتي تم تهريب بعضها لخارج الحدود المصرية، بالإضافة للمعابد الضخمة مثل

معبد أبو سمبل، والتماثيل، عدا عن الموروث الغني من : العلوم الرياضيّة والطبيّة، وأنظمة ري غاية في الدقة وتقنيات الإنتاج الزراعي، ويعود الفضل للمصريين في اختراع القوارب والسفن، أيضاً كان للحضارة الفرعونية تأثيراً كبيراً على الحضارات التي جاءت من بعدها حيث كانت حضارة ذات موروثاً غنياً.

الحضارة المصرية امتد وجودها منذ عام ٣١٥٠ قبل الميلاد إلى عام ٥٠ ميلادي، وقد شهدت تقدم عمراني كبير واشتهرت بالطب والعلاج بالسحر وحكمها عدة أسر أطلق عليهم اسم الفراعنة، واتبعوا عدة عبادات كعبادة الآلهة والتوحيد وعبادة الشمس.

تركزت حضارة القدماء المصريين على ضفاف نهر النيل في ما يعرف الآن بجمهورية مصر العربية. بدأت الحضارة المصرية في حوالي العام ٣١٥٠ ق.م عندما وحد الملك مينا مصر العليا والسفلى، وتطورت بعد ذلك على مدى الثلاث ألفيات اللاحقة. ضمت تاريخياً سلسلة من الممالك المستقرة سياسياً، يتخللها فترات عدم استقرار نسبي تسمى الفترات المتوسطة. بلغت مصر القديمة ذروة حضارتها في عصر الدولة الحديثة، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطئ. هوجمت مصر في تلك الفترة من قبل العديد من القوى الأجنبية، وانتهى حكم الفراعنة رسمياً حين غزت الإمبراطورية الرومانية مصر وجعلتها إحدى مقاطعاتها.

وقام الفراعنة ومع توافر المواد اللازمة بإستغلال المعادن الموجودة في منطقة الوادي والمناطق الصحراوية المحيطة به والصحراء المصرية في تنظيم عملية البناء الجماعي، وعملوا على تنظيم المشاريع الزراعية، واهتموا بالتجارة مع المناطق المحيطة بهم، بالإضافة لتلك المشاريع التي نهضت بحضارتهم قاموا بتعزيز القوة العسكرية للدفاع عن البلاد ضد أي اعتداء خارجي وتأكيد فرض الهيمنة الفرعونية،

بالإضافة إلى ابتكارها نظام كتابة مستقل خاص بهم. وقد كان تنظيم تلك الأنشطة وتحفيزها يتم من خلال نخبة من البيروقراطيين والزعماء الدينيين والإداريين تحت سيطرة الفرعون الذي حرص على التعاون والوحدة للمصريين في سياق نظام محكم للمعتقدات الدينية. تضمنت إنجازات قدماء المصريين استغلال المحاجر، المسح وتقنيات البناء التي سهلت بناء الأهرامات الضخمة والمعابد والمسلات، بالإضافة لنظام رياضيات عملي وفعّال في الطب، وأول من عرف القيشاني المصري وتكنولوجيا الرسم على الزجاج، وأشكال جديدة من الأدب، وأول معاهدة سلام معروفة. تركت مصر القديمة إرث دائم. وقد نُسخت وقُلدت الحضارة والفن والعمارة المصرية على نطاق واسع في العالم، ونقلت آثارها إلى بقاع بعيدة من العالم. وألهمت الأطلال والبقايا خيال المسافرين والكتاب لعدة قرون، وقد أدت الاكتشافات عن آثار وحفريات مصرية في مطلع العصر الحديث إلى أبحاث علمية للحضارة المصرية تجلت في علم أطلق عليه علم المصريات، وإلى مزيد من التقدير لتراثها الثقافي في مصر والعالم.

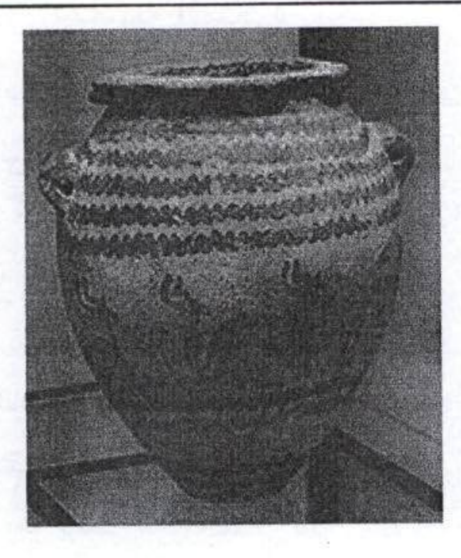
❖ فترة ما قبل الأسرات :

قبل بداية عصر ما قبل الأسر، كان المناخ المصري القاحل أقل قحلاً مما هو عليه اليوم. وغطت حشائش السافانا مناطق واسعة من مصر واجتازتها قطعان الرعي من ذوات الحوافر. كانت الثروة الحيوانية والنباتية أكثر غزارة من الآن في جميع المناطق، وساعد منطقة نهر النيل في تكاثر جماعات من الطيور المائية. كان الصيد شائعاً بين المصريين في تلك الفترة، التي أيضاً تم استئناس العديد من الحيوانات بها.

في نحو ٥٠٠٠ ق.م، عاشت قبائل صغيرة في وادي النيل ونمت وطورت

سلسلة من الثقافات التي كانت الزراعة وتربية الحيوانات تسيطر عليها، بالإضافة للمقتنيات من الفخار والممتلكات الخاصة التي عثر عليها. كانت أكبر تلك الحضارات هي حضارة البداري في مصر العليا، التي اشتهرت بالسراميك عالي الجودة، والأدوات الحجرية، واستخدامها للنحاس. في الشمال؛ تبعت البداري بحضارات أمراتيان وغيرزيان؛ التي أظهرت عدداً من التطورات التكنولوجية. وأثناء فترة حضارة الغيرزيان أثبتت أدلة مبكرة وجود اتصال مع كنعان وساحل جبيل.

وفي الجنوب؛ وازت حضارة النقادة حضارة البداري، وبدأت في التوسع على طول النيل بنحو ٤٠٠٠ ق.م. في وقت مبكر أثناء حضارة النقادة استورد المصريين القدماء حجر السج من إثيوبيا الذي استخدم في نقل الريش بالإضافة لأشياء أخرى. على مدى فترة حوالي ١٠٠٠ سنة، تطورت حضارة النقادة من مجتمعات زراعية صغيرة إلى حضارة قوية كان لقادتها السيطرة الكاملة على الناس والموارد في وادي النيل. وسعى قادة النقادة على بسط سيطرتهم على مصر شمالاً على طول نهر النيل بتأسيس مراكز قوة في هيراكونبوليس ثم في أبيدوس. وتاجروا مع النوبة في الجنوب، وواحات الصحراء الغربية في الغرب، وثقافات شرق البحر المتوسط في الشرق.



جرة تقليدية استخدمتها شعوب النقادة في عصر ماقبل الأسرات.

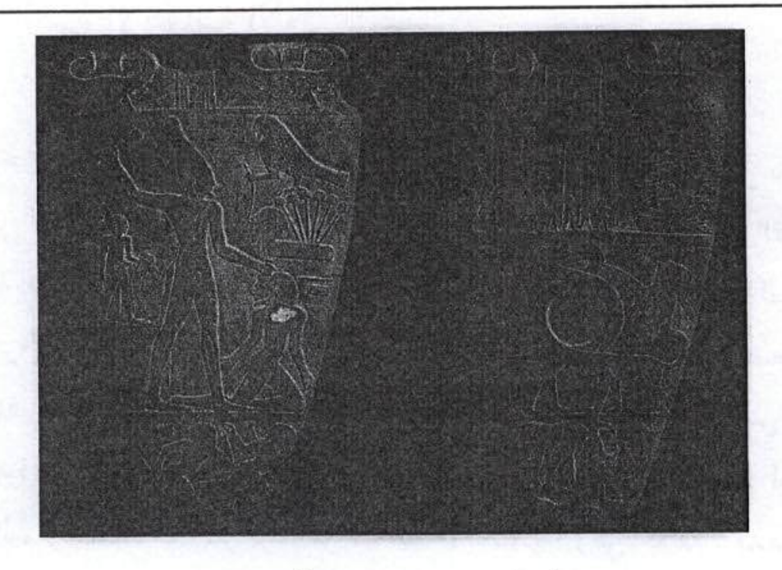
صنعت شعوب النقادة مجموعة متنوعة من السلع الثمينة، في انعكاس لزيادة الطاقة والثروة في طبقة النخبة، والتي شملت طلاء الفخار والمزهريات الحجرية المزخرفة ذات الجودة العالية، واللوحات الفنية والمجوهرات المصنوعة من الذهب والالبيد والعاج. وقاموا أيضاً بتطوير السيراميك الصقيل المعروف بالقيشاني والذي كان يستخدم في العصر الروماني لتزيين الكؤوس والتمائم والتماثيل. وقبيل نهاية عصر ما قبل الأسرات، بدأت شعوب النقادة استخدام رموز كتابية كان من شأنها في نهاية الأمر التطور إلى نظام كامل للغة الهيروغليفية لكتابة اللغة المصرية القديمة.

بداية عصر الأسرات

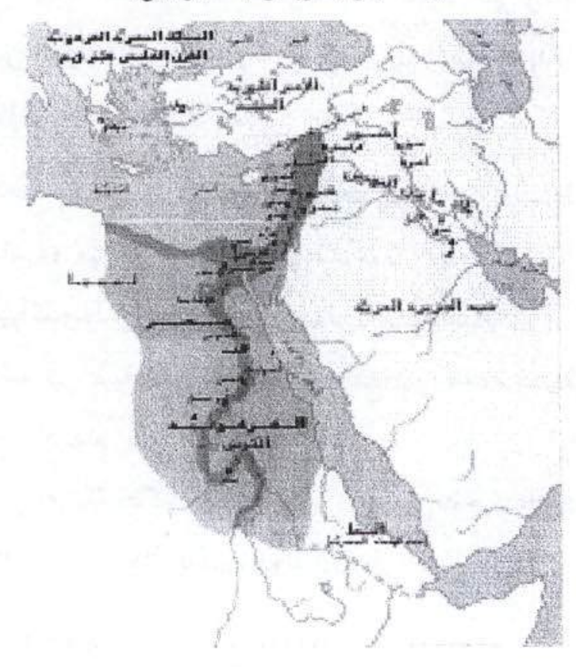
❖ عصر الأسر المصرية المبكرة :

قام كاهن مصري في القرن الثالث قبل الميلاد بتصنيف الفراعنة بدايةً من مينا وحتى عصره إلى ٣٠ أسرة حاكمة، وهو نفس التصنيف الذي ما يزال يستعمل حتى اليوم. واختار أن يبدأ تصنيفه الرسمي بالملك ميني (أو مينا باليونانية) الذي يسود الإعتقاد أنه وحّد مملكتي مصر العليا والسفلى معاً في حوالي العام ٣٢٠٠ق.م. وقد حدث الانتقال إلى دولة واحدة موحدة تدريجياً، بشكل أكبر مما كان الكتاب المصريون القدماء يعتقدوا، وليس هناك أي سجلات معاصرة عن مينا. ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين الآن أن مينا الأسطوري هو نفسه الفرعون نارمر، الذي صُوّر وهو يرتدي الزي الملكي على لوحة نارمر الإحتفالية في خطوة رمزية للتوحيد.

في عصر الأسر المبكرة حوالي ٣١٥٠ ق.م، بسط أول فرعون سيطرته على مصر السفلى عن طريق إنشاء عاصمة في ممفيس، التي أمكن من خلالها السيطرة على القوة العاملة والزراعة في منطقة الدلتا الخصبة، بالإضافة إلى السيطرة على حركة التجارة المتجهة إلى الشام. وقد عُكست سلطة ونفوذ الفراعنة في ذلك الوقت على وضع مقابرهم وهياكلها، والتي كانت تستخدم للإحتفال بالفرعون بعد وفاته. وقد طورت الملكية وقوتها بإضفاء الفراعنة لعامل الشرعية في سيطرة الدولة على الأرض والعمل والموارد التي لا غنى عنها لبقاء ونمو الحضارة المصرية القديمة.



لوحة نارمر يصور توحيد الأرضين.



أقصى الحدود الإقليمية لمصر القديمة (القرن ١٥ قبل الميلاد)

❖ الفترة الانتقالية الأولى :

بعد إنهيار الحكومة المركزية في مصر في نهاية عصر المملكة القديمة، أصبحت الإدارة غير قادرة على تدعيم اقتصاد واستقرار البلاد. ولم يكن باستطاعة حكام الأقاليم الاعتماد على الملك للمساعدة في وقت الأزمات، وفي الفترة التي تلتها أدى نقص الغذاء والنزاعات والخلافات السياسية إلى زيادة حدة المجاعات والحروب الأهلية صغيرة الحجم. وعلى الرغم من تلك المشاكل الصعبة؛ قام القادة المحليين مستهترين بالفرعون؛ باستغلال استقلالهم الجديد لتأسيس حضارة مزدهرة في المحافظات. وبالسيطرة على موارد المقاطعات الخاصة، أصبحت الأقاليم والمقاطعات أكثر ثراءاً من الناحية الاقتصادية؛ وهي حقيقة شهدها جميع فئات المجتمع. وقد اعتمد وتكيف الحرفيون المحليون على زخارف كانت ممنوعة سابقاً في عصر الدولة القديمة، بالإضافة لأساليب أدبية جديدة اتجه إليها كانت تعرب عن التفاؤل وأصالة هذه الفترة.

بدأ الحكام المحليين التنافس مع بعضهم البعض للسيطرة على الأراضي والسلطة السياسية؛ مبتعدين عن ولائهم للفرعون. وبحلول ٢١٦٠ ق.م سيطر الحكام في هيراكليوبولس على مصر السفلى، بينما سيطرت أسرة إنتيف إحدى العشائر المنافسة في طيبة على مصر العليا. ومع نمو سلطة وسيطرت الإنتيف إلى الشمال أصبح الصدام بين العشيرتين أمراً حتمياً. وقامت قوات طيبة بقيادة منتوحوتپ الثاني بهزيمة حاكم هيراكليوبولس؛ معيدين توحيد الأرضين وبداية عصر نهضة ثقافية واقتصادية عرفت باسم الدولة الوسطى.

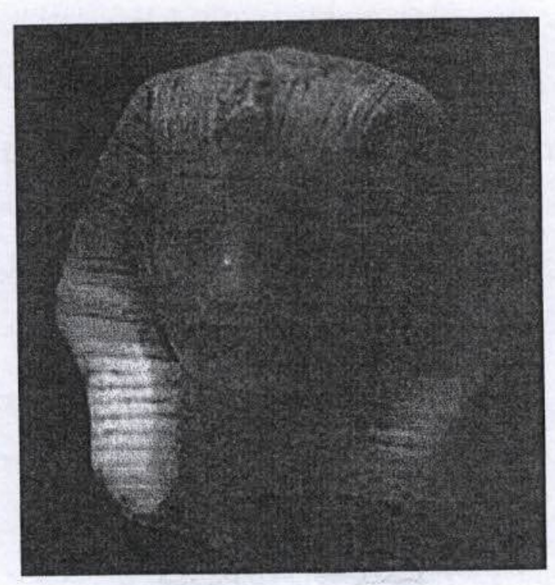
❖ الدولة الوسطى :

استعاد فراعنة الدولة الوسطى رخاء البلاد واستقرارها، مما أدى لتحفيز

الفن والأدب ومشاريع البناء الضخمة. حكم منتوحوتب الثاني وخلفائه من الأسرة الحادية عشر البلاد من طيبة كعاصمة للبلاد، ولكن سرعان ما تغير الأمر عند تسليم الوزير أمنمحات الأول الملكية للأسرة الثانية عشر في ١٩٨٥ ق.م، عندما غيّر العاصمة وجعلها لتجتاوي (اللشت) التي تقع في الفيوم الآن. ووضع فراعنة الأسرة الثانية عشر خطة بعيدة الأمد لاستصلاح الأراضي ونظم الري لزيادة الإنتاج الزراعي في البلاد. وأكثر من ذلك؛ استعاد الجيش منطقة النوبة الغنية بالمحاجر والذهب، وعمل العمال على بناء هيكل دفاعي في شرق الدلتا أطلق عليه اسم "جدران الحاكم" لصد الهجمات الخارجية. وازدهرت البلاد في الفن والدين في ظل الأمن العسكري والسياسة والأمن الزراعي. وعلى عكس موقف نخبة الدولة القديمة تجاه الآلهة؛ شهدت الدولة الوسطى زيادة في التعبير عن "التقوى الشخصية" أو ما يمكن أن يسمى "ديموقراطية الحياة الآخرة"؛ التي تعطي لكل فرد روحاً من الممكن أن تكون مرحباً بها بجوار الآلهة بعد الموت. كما تميز الأدب في المملكة الوسطى بالمؤلفات متطورة المواضيع والشخصيات المكتوبة في أسلوب بليغ وجرئ، والنحت النافر، والتصويري لفترة الاعتقالات الخفية كانت تفاصيل فردية وصلت إلى مستويات جديدة من الكمال التقني.

سمح آخر حكام الدولة الوسطى أمنمحات الثالث للمستوطنين الآسيويين بالعيش في منطقة الدلتا، لتوفير قوة عاملة كافية لا سيما في التعدين النشط وبناء المدن. ولاحقاً أدت أعمال البناء الطموحة تلك، وأنشطة التعدين، بالإضافة إلى عدم كفاية فيضانات النيل في مُلكه إلى توتر اقتصادي عجّل من الاضمحلال وأدى إلى بداية الفترة الانتقالية الثانية خلال عصر الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر. وخلال هذا الاضمحلال بدأت الطائفة الأجنبية الآسيوية في السيطرة على منطقة

الدلتا؛ مما أدى لاحقاً وفي نهاية المطاف إلى بسط سلطتهم على مصر وعرفوا بالهكسوس.



أمنمحات الثالث، آخر حاكم كبير من عصر الدولة الوسطى

❖ الفترة الانتقالية الثانية والهكسوس :

في حوالي ١٦٥٠ ق.م ومع ضعف سلطة فراعنة الدولة الوسطى؛ سيطر المهاجرون والمستوطنون الآسيويون الذين يعيشون في منطقة شرق الدلتا في بلدة زوان على المنطقة وأجبرت الحكومة المركزية على التراجع إلى طيبة، حيث كان يعامل الفرعون كتابع ويدفع الجزية. قلد الهكسوس -("الحكام الأجانب" أو "الملوك الرعاة")- نماذج الحكم والحكومة المصرية، فنصبوا أنفسهم فراعنة، وبالتالي دمجت العناصر المصرية في ثقافة العصر البرونزي. ووجد ملوك طيبة أنفسهم بعد انسحابهم محاصرين بين الهكسوس من الشمال وحليفة الهكسوس؛ مملكة كوش من الجنوب. وبعد مرور ما يقارب ١٠٠ عام على سيطرة الهكسوس

على الحكم الذي كان يتصف بالتراخي والخمول الثقافي، استطاعت قوات طيبة من جمع ما يكفي من القوة لتحدي الهكسوس لصراع استمر لمدة ٣٠ عام، وذلك قبل حلول العام ١٥٥٥ ق.م، وقد تمكن الفرعونان "سقنن رع الثاني" و"كامس" من هزيمة النوبيين في الكوش، لكن يرجع فضل القضاء على الهكسوس نهائياً في مصر لخليفة "كامس" الفرعون "أحمس الأول".

في عصر الدولة الحديثة التي تلت ذلك، أصبحت العسكرية أولوية رئيسية بالنسبة إلى الفراعنة الذين سعوا إلى توسيع لحدود مصر وتأمين هيمنة كاملة لها في الشرق الأدنى.

❖ الدولة الحديثة :

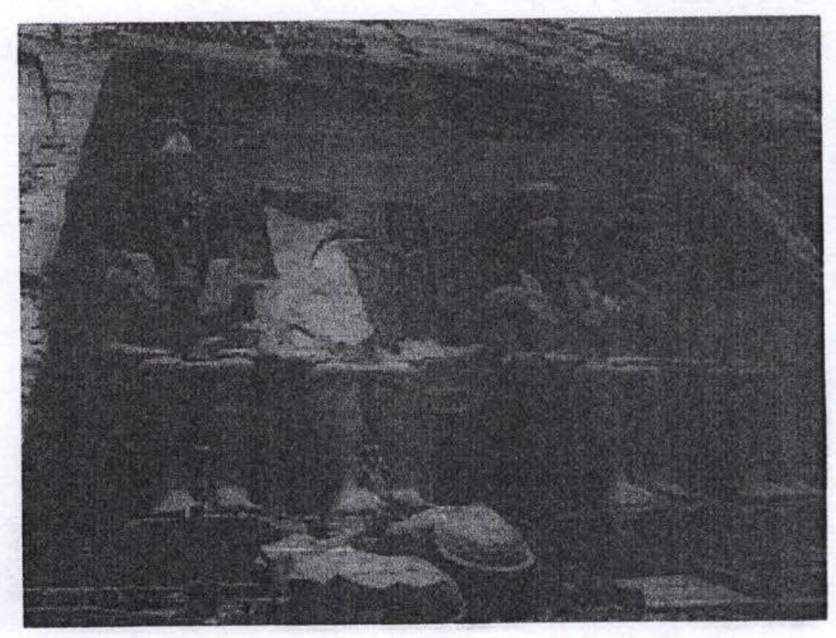
أنشأ فراعنة المملكة الجديدة فترة ازدهار غير مسبوقة بتأمين حدودها وتعزيز العلاقات الدبلوماسية مع جيرانها. شُنّت الحملات العسكرية تحت قيادة تحتمس الأول وحفيده تحتمس الثالث فمدت نفوذ الفراعنة في سوريا وبلاد النوبة، تدعيماً للولاء وفتح فرص الحصول على الواردات الحساسة مثل البرونز والخشب. وبدأ ملوك وفراعنة الدولة الحديثة حملة بناء واسعة النطاق لتعزيز الإله أمون الذي ازدادت عبادته وكانت مقراً في معبد الكرنك. كما أنهم شيدوا الصروح لتمجيد الإنجازات الخاصة بهم، سواء كان حقيقيةً أو تخيلاً. وقد استخدمت الملكة الأنثى حتشبسوت مثل هذه الدعاية لتضفي شرعية على دعواها إلى العرش. وتميز عصرها الناجح بالبعثات التجارية إلى بنط، ومعبد جنائزي أنيق، بالإضافة إلى زوج من المسلات الضخمة ومعبد في الكرنك. وعلى الرغم من إنجازاتها، سعى ربيب حتشبسوت؛ تحتمس الثالث لمحو إرثها قُبيل نهاية حكمة، الأمر الذي قد يكون بدافع الانتقام لاغتصابها عرشه.

حوالي العام ١٣٥٠ ق.م، هُدِدَ استقرار الدولة الجديدة عندما وصل أمنحوتب الرابع إلى العرش، الذي وضع سلسلة من الإصلاحات الفوضوية والجذرية. بتغير اسمه إلى إخناتون (أي عبد أتون)، روج أمنحوتب الرابع إله الشمس أتون على أنه الإله الأعلى، وعلى أنه واحدٌ لا شريك له، ووحد عبادة جميع الآلهة في عبادة أتون، حيث قمع ومنع عبادة آلهة أخرى غير أتون، وهاجم سلطة وقوة المؤسسة الكهنوتية في ذلك الوقت. بالإضافة لنقله العاصمة إلى مدينة أخناتون الجديدة (تل العمارنة حالياً)، ولم يكترث للشئون الخارجية، وانكب على استيعاب نفسه في دينة الجديد وأسلوبه الفني. بعد وفاته تم التخلي سريعاً عن عبادة أتون، وقام كلٌ من "توت عنخ أمون" و"خبر خبرو رع آي" ، و"حورمحب" بمسح جميع التفاصيل العائدة لبدعة "إخناتون"، أو كما تعرف باسم فترة تل العمارنة.

وعند تولي رمسيس الثاني العرش، والمعروف أيضاً برمسيس العظيم، وذلك في حوالي ١٢٧٩ ق.م، عمل على بناء المزيد من المعابد، وإقامة المزيد من التماثيل والمسلات، بالإضافة لإنجابه أطفال أكثر من أي فرعون في التاريخ. وقاد بجراءة في معركة قادش ضد الحيثيين؛ والتي أسفرت وبعد قتالٍ عنيف دام لأكثر من ١٥ عاماً عن أول وأقدم معاهدة سلام عرفها التاريخ، وكان ذلك في العام ١٢٥٨ ق.م.

وكانت ثروة مصر ونمائها الاقتصادي والاجتماعي سبباً جعل مصر وأرضها أرضاً مغرية للغزو من القوى الأجنبية، خاصةً الليبيين وشعوب البحر. تمكن الجيش في بداية الأمر من صد هذه الغزوات وردعها، ولكن مع زيادة وتكثيف الغزوات فقدت مصر السيطرة على أراضي سوريا وفلسطين. وزاد تأثير التهديدات الخارجية

مع تفاقم المشاكل الداخلية مثل الفساد وسرقة المقابر والاضطرابات المدنية. وقام كبار الكهنة في معبد أمون في طيبة بجمع مساحات شاسعة من الأرض والثروة، وأدت قوتهم المتزايدة إلى انشقاق البلاد خلال الفترة الوسطى الثالثة (عصر الاضمحلال الثالث).



أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس الثاني الجناح مدخل معبد أبو سمبل له.

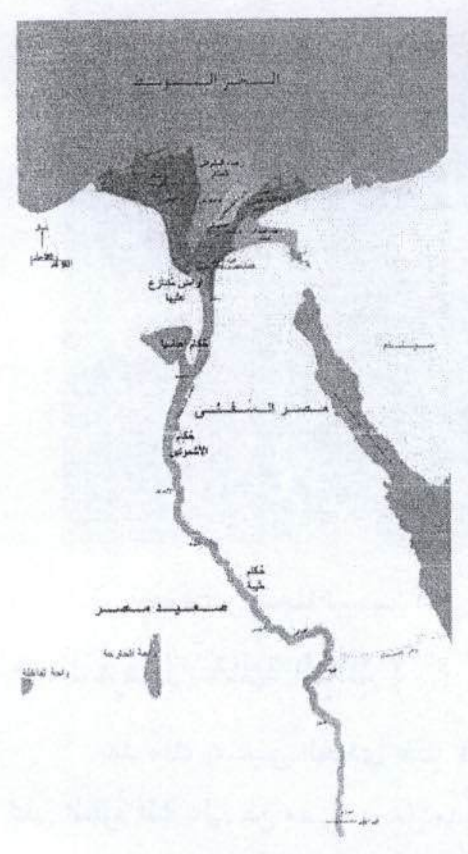
❖ الفترة الانتقالية الثالثة :

بعد وفاة رمسيس الحادي عشر في ١٠٧٨ ق.م، فرض سمندس السلطة على الجزء الشمالي من مصر، وجعل مدينة تانيس مقر حكمه. أما الجنوب، فقد كان واقع فعلياً تحت سيطرة "كهنة آمون في طيبة"، الذين اعترفوا بحكم سمندس بالاسم فقط. وخلال هذا الوقت، استقر الليبيون ضمن قبائل في منطقة غرب الدلتا، وبدأ شيوخ تلك القبائل في زيادة سلطتهم تدريجياً. وسيطر أمراء ليبيا على

الدلتا تحت إمارة شيشنق الأول في ٩٤٥ ق.م، وأسس ما يسمى أسرة بوباستيس التي حكمت لنحو ٢٠٠ عاماً. كما سيطر شيشنق أيضاً على جنوب مصر من خلال وضع أفراد من أسرته في مراكز كهنوتية هامة. ولكن بدأت سيطرة الليبيون في التآكل مع نشأت سلالات منافسة في منطقة دلتا وتهديد أسرة مملكة الكوش من الجنوب. وبحلول ٧٢٧ ق.م، غزا الملك الكوشي بعنخي الشمال، وسيطر في نهاية المطاف على طيبة والدلتا.



خريطة مصر القديمة، تبين المدن الرئيسية وأماكن من عصر الأسر ٣١٥٠ – ٣٠ ق.م



حوالي ٧٣٠ قبل الميلاد الليبيين من الغرب كسر الوحدة السياسية للبلد.

انهارت هيبة مصر بعيدة المدى انهياراً كبيراً نحو نهاية الفترة الوسطى الثالثة. حيث قل حلفائها الأجانب في إطار نفوذ الإمبراطورية الآشورية وبحلول ٧٠٠ ق.م أصبحت الحرب بين البلدين أمراً حتمياً. بدأ الآشوريين هجومهم وغزوهم على مصر في الفترة بين ٦٧١ و ٦٦٧ ق.م. وقد امتلأت منطقة كل من الملكي الكوشيين طهارقة وخليفته تنتامانى بصراع مستمر مع الآشوريين ضد الحكام النوبيين الذين تمتعوا بالعديد من الانتصارات. في نهاية المطاف دفع الآشوريين الكوشيون وأجبروهم على العودة إلى النوبة، واحتلوا ممفيس، وعزلوا معابد طيبة.

❖ العصر المتأخر :

مع عدم وجود خطط دائمة للغزو ترك الآشوريون السيطرة على مصر لسلسلة من التوابع التي أصبحت تعرف باسم ملوك سايت من الأسرة السادسة والعشرين. وبحلول ٦٥٣ ق.م تمكن ملك السايت إبسماتيك الأول من طرد الآشوريين بفضل المرتزقة اليونانية الذين تم تجنيدهم لتشكيل أول بحرية مصرية. ثم امتد تأثير اليونان بشكل كبير حيث أصبحت مدينة نيكراتيس وطن اليونانيين في منطقة دلتا. واستقر ملوك سايت في مقرهم الجديد في العاصمة سايس لفترة وجيزة لكونها شهدت نشاط في الاقتصاد والثقافة، ولكن في ٥٢٥ ق.م، بدأ الفرس ذو النفوذ بقيادة قمبيز الثاني غزوهم لمصر، وفي النهاية أسر الفرعون بسماتيك الثالث في معركة الفرما. ثم تولى قمبيز الثاني لقب فرعون رسمياً، لكنه حكم مصر من مسقط رأسه شوشان، وترك مصر تحت حكم أحد الساتراب. وقد شهد القرن الخامس قبل الميلاد نجاح بعض الثورات ضد الفرس، ولكن مصر لم تكن قادرة على الإطاحة الدائمة بالفرس. وبعد ضم مصر من قبل الفرس، انضمت مصر مع

قبرص وفينيقيا في الساتراب السادس من الإمبراطورية الأخمينية الفارسية. انتهت الفترة الأولى من الحكم الفارسي على مصر، والمعروفة أيضاً بالأسرة السابعة والعشرين في ٤٠٢ق.م، وفي الفترة ما بين ٣٨٠-٣٤٣ ق.م، حكمت الأسرة الثلاثون كآخر الأسر الملكية المحلية في مصر، والتي انتهت مع حكم الملك ناختورب الثاني. حدثت بعد ذلك محاولة متواضعة لاستعادة الحكم الفارسي، والتي تعرف أحياناً باسم الأسرة الحادية والثلاثين، بدأت في ٣٤٣ ق.م، وانتهت بعدها في ٣٣٢ ق.م بتسليم الحاكم الفارسي مازاسيس مصر إلى الإسكندر الأكبر من دون قتال.

❖ أسرة البطالمة :

غزا الإسكندر الأكبر مصر في ٣٣٢ ق.م، ووجد مقاومة لا تذكر من الفرس، في حين رحب به من قبل المصريون باعتباره المخلص من الحكم الفارسي. استندت الإدارة التي أنشئها البطالمة خلفاء الأسكندر على النموذج المصري للحكم، واتخذت من مدينة الإسكندرية الجديدة عاصمة لها. وكان الغرض الأساسي لها هو عرض قوة وسيادة الحكم اليوناني، وأصبحت مقراً للتعليم والثقافة، وتركزت في مكتبة الإسكندرية الشهيرة. وأضاءت منارة الإسكندرية الطريق لكثير من السفن التجارية التي تتدفق عبر المدينة، حيث جعل البطالمة التجارة والمشاريع المُدِرَّة للدخل، مثل صناعة ورق البردى على رأس الأولويات.

ولم تحل الثقافة اليونانية محل الثقافة الوطنية المصرية، حيث أيد البطالمة التقاليد الاجتماعية والدينية المتبعة على مر الزمان في محاولة لضمان ولاء السكان. وقاموا ببناء معابد جديدة على غرار الطراز المصري لدعم المعتقدات الدينية التقليدية، وصوروا أنفسهم كالفراعنة. من جهة أخرى؛ اندمجت بعض

التقاليد المصرية واليونانية معاً، حيث وُلِفت الآلهة المصرية مع اليونانية في إطار ديني واحد مثل سيرابيس، وأعمال الزخرفة اليونانية التي جسدت وتأثرت بالزخارف المصرية التقليدية. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتهدئة المصريين اعترض البطالمة تمرد محلي كان من الأسر المحلية المنافسة، وتجمع الإسكندرية أصحاب النفوذ الذي تشكل بعد وفاة بطليموس الرابع. بالإضافة إلى ذلك، ومع ازدياد اعتماد روما على واردات الحبوب من مصر، أولى الرومان اهتماماً كبيراً للحالة السياسية للبلاد. وأدى تواصل الثورات المصرية، والطموح السياسي لدى البعض والمعارضين السوريين الأقوياء إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية، مما أجبر روما على إرسال قوات لتأمين البلاد باعتبارها مقاطعة من الإمبراطورية.

❖ الهيمنة الرومانية :

أصبحت مصر محافظة من الإمبراطورية الرومانية في العام ٣٠ ق.م، بعد هزيمة ماركوس أنطونيوس والملكة البطلمية كليوباترا السابعة من قبل أغسطس قيصر في معركة أكتيوم. واعتمد الرومان بشكل كبير على شحنات الحبوب القادمة من مصر، وقمعت الفيالق الرومانية التمرد والمتمردين، وساعدت في تحصيل الضرائب الكبيرة، وكافحت ظاهرة قطاع الطرق والتي كانت منتشرة بكثرة في ذلك الوقت. وأصبحت الإسكندرية مركزاً متزايد الأهمية على طريق التجارة مع الشرق، في الوقت الذي زاد فيه الطلب في روما على وسائل الرفاهية والكماليات. على الرغم من أن الرومان كانوا أكثر عداءاً تجاه المصريين من اليونانيين، استمرت بعض التقاليد مثل التحنيط وعبادة الآلهة التقليدية. وازدهر فن تصوير المومياء، وصور بعض من الأباطرة الرومان أنفسهم كالفراعنة، ولكن ليس بنفس القدر في عصر البطالمة. وأصبحت الإدارة المحلية رومانية في الأسلوب ومغلقة أمام المصريون.

منذ منتصف القرن الأول الميلادي، ترسخت وانتشرت الديانة المسيحية في الإسكندرية لأنها كانت تعد عبادة أخرى يمكن أن تكون "مقبولة". غير أنه دين لا يقبل الوثنية ويسعى إلى الحصول على المهتدين من الوثنية ويهدد التقاليد الدينية الشعبية. وأدى ذلك إلى اضطهاد المتحولين إلى المسيحية، وبلغ هذا الاضطهاد ذروته في عمليات التطهير الكبيرة في عصر ديوكلتيانوس بدءاً من عام ٣٠٣م، إلا أنه وفي نهاية المطاف استطاعت المسيحية أن تنتشر بعد اعتناق إمبراطور مصر لها. وفي سنة ٣٩١ ميلادي أصدر الإمبراطور المسيحي ثيودوسيوس الأول تشريعاً يحظر الطقوس الوثنية وأغلق المعابد. وبذلك أصبحت الإسكندرية مسرحاً لأعمال شغب مناهضة للوثنية وتدميراً للرموز الدينية الخاصة والعامة. ونتيجة لذلك استمرت ثقافة مصر الوثنية في الانحدار والاندثار. في حين واصل السكان الأصليين التحدث بلغتهم، واختفت ببطء القدرة على قراءة الكتابات الهيروغليفية حيث تضاءل دور كهنة وكاهنات المعابد المصرية. وتم تحويل بعض المعابد إلى كنائس، وتهجير أخرى.



جسدت لوحات مومياوات الفيوم تداخل الثقافة الرومانية مع الثقافة المصرية الفرعونية.

❖ موجز تاريخ مصر القديم :

• **منذ ٢٥٠ ألف سنة ق.م.** في عصور ما قبل التاريخ كانت مصر موئلاً للإنسان البدائي الذي كان يصيد الحيوانات حيث كانت المنطقة في أقصى الجنوب عند النوبة غنية بالحشائش.

• **منذ ٢٥ ألف سنة ق.م.** تعرضت هذه المنطقة للتصحر الذي توقف بهطول الأمطار مما أوجد مجتمعات زراعية بمصر الوسطي والدلتا بالشمال. وقامت أول حضارة مصرية في منطقة البداري بالصعيد تقوم على الفلاحة والصيد وتربية الطيور والمواشي وصناعة الفخار والتعدين.

• **في سنة ٤٠٠٠ ق.م.** ظهرت نظم الري وأصبحت مصر ممالك قبلية صغيرة وكان الوجه القبلي يرمز له بالتاج الأبيض والوجه البحري يرمز له بالتاج الأحمر ووحد الملك مينا من الجنوب القطرين منذ ٣٢٠٠ ق.م وجعل العاصمة منف (ممفيس). وهذا التوحيد جعل مصر بلداً آمناً مما جعلها ركيزة وباكورة الحضارة الإنسانية بلا منازع وهذا يتضح من خلال سجلاتها الكثيرة الذي حافظ عليها مناخها الجاف لتكون رسالة محفوظة عبر الأزمان المتلاحقة وما نقش علي جدران معابدها العظيمة وما كتب علي ورق البردي. وهناك تاريخ دقيق مثبت لمسيرة هذه الأمة عبر الأزمان والقرون فنجد، مثل ذلك الذي كتبه مانيتو في العهد البطلمي.

• تقسيم تاريخ مصر لثلاثين أسرة حتي دخول الإسكندر الأكبر مصر وهذا التاريخ فيه ثغرات أغفلت فيها فترات حكم العديد من حكام مصر.

• ظل حاكم مصر يضفي عليه الألوهية منذ توحيد مصر عام ٣٢٠٠ ق.م. وحتي دخول الرومان مصر وأطلق عليه لقب فرعون.

• **٢٧٧٢ ق.م.** عرف المصريون أن تقويم السنة ٣٦٥ يوم.

- ٢٧٠٠ ق.م. الملك زوسر شيد هرمه المدرج .
- ٢٥٦٠ ق.م. بني الملك خوفو الهرم الأكبر الذي ظل أعلى بناية في العالم حتي القرن ١٩.
- ٢٠٥٠ ق.م. أصبحت طيبة أثناء الدولة الوسطى عاصمة مصر.
- ٢٠٠٠ ق.م. مصر روضت القطط لإصطياد الثعابين والتقدم في الفلك والتنبؤ بميعاد الفيضان.
- ١٧٨٦ ق.م. الهكسوس الذين قدموا إلى مصر كتجار وأجراء في القرن المضطرب السابق، يحتلون شمال مصر ويستقدمون الحصان والعجلة وقوي نفوذهم بسبب المشاكل الداخلية بمصر.
- ١٦٠٠ ق.م. ثورة ضد الهكسوس في مصر العليا إنتشرت بكل أنحاء مصر .
- ١٥٦٠ ق.م. أحمس طرد الهكسوس وباقي القبائل الآسيوية، مؤسساً الدولة الحديثة وأصبحت مصر دولة إستعمارية، وقد أدخلوا فنون حرب الهكسوس في الجيش وبلغوا أعالي الفرات.
- ١٥٦٠ – ١٢٥٩ ق.م. خروج موسى واليهود مع فلول الهكسوس والآسيويين من مصر.
- ١٥٠٠ ق.م. استعمل الشادوف.
- ١٣٧٥ ق.م. دعوة إخناتون للتوحيد ونقل العاصمة من طيبة لتل العمارنة ومنع عبادة الشمس.
- ٧٥٠ ق.م. الملك كاشتا ملك النوبة يستولي على مصر ويصبح فرعون بها.
- ٦٧١ ق.م. الآشوريون يهزمون مصر.
- ٦٦١ ق.م. الإمبراطورية الآشورية تتقلص وتصبح مصر مستقلة لمدة قرن.
- ٥٢٥ ق.م. الفرس يغزون مصر وحكموها لسنة ٤٠٥ ق م.

- ٣٤٣ ق.م. الفرس يحكمون مصر مرة ثانية حتي ٣٣٢ ق.م.
- ٣٣٢ ق.م. الإسكندر الأكبر يغزو مصر ويؤسس الإسكندرية.
- ٣٠٥ ق.م. بداية حكم البطالمة.
- ٣٠ ق.م. كليوباترا تنتحر – نهاية حكم البطالمة وبداية حكم الرومان.
- ٣٣٠ م حكم البيزنطيين الروم لمصر.
- ٦٣٩ م دخول الإسلام مصر بعد ٢٠ سنة من ظهوره بمكة.

❖ تاريخ الأسرات :

◆ الأسر الفرعونية عبر العصور في مصر القديمة :

منذ عشرات الآلاف من السنين كانت الصحراوان : الغربية والشرقية المحيطتان بوادى النيل عامرتين بالحياة النباتية والحيوانية. وتتجول فيهما جماعات من البشر يعيشون حياة بدائية تقوم أساساً على عمليات "جمع الطعام" من الأشجار وصيد الحيوان. وعندما حل عصر الجفاف وانقطاع الأمطار ونضوب مصادر المياه اضطرت الجماعات الانسانية إلى النزوح إلى مصادر أخرى للماء والغذاء. وكان أقربها إليهم وادى النيل. وعاش هؤلاء المصريون الأوائل حياة أخرى مختلفة تقوم على عمليات "إنتاج الطعام". فمارسوا "الزراعة" وأنشأوا القرى والمدن على طول مجرى النيل من الجندل الأول حتى أحراش الدلتا، ورسخت بالتالى أسس الحياة الاجتماعية المستقرة، وتكونت مملكة مستقلة فى الوجه القبلى ومملكة مستقرة فى الوجه البحرى.

وفى نحو عام ٣٢٠٠ ق.م خرج الملك مينا ملك الوجه القبلى من مدينة ثنى (القريبة من مدينة جرجا بمحافظة سوهاج حالياً) وقام بتوحيد الوجهين القبلى والبحرى فى دولة واحدة جعل عاصمتها مدينة منف (ميت رهينة بمحافظة الجيزة

حالياً) وأنشأ بذلك أول أسرة ملكية من الأسر الواحدة والثلاثين التى حكمت مصر طوال تاريخها الفرعونى القديم. وقد اتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ مصر الفرعونية إلى عصور وأسر ملكية نجملها فيما يلى :

◆ **العصر العتيق:** من نحو ٣٢٠٠ إلى ٢٦٩٠ ق.م ويشمل :

◆ **الأسرة الأولى** : تتكون من ٨ ملوك هم : مينا / عحا / دجر / جت / ديمون / عدج ايب / سنمو / قع.

◆ **الأسرة الثانية** : تتكون من ٩ ملوك هم : حبت سخموى / نب رع / نى نتر/ اونج / سندى / برايب سن / خع سخموى / دجا دجا.

◆ **عصر الدولة القديمة:** من نحو ٢٦٩٠ إلى ٢١٨٠ ق.م، ويعرف هذا العصر باسم عصر بناة الأهرام، ويمتد من بداية الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة.

◆ **الأسرة الثالثة** : تتكون من ٥ ملوك هم : زوسر "صاحب الهرم المدرج بسقاره" / سانخت / خع با / نفر كا / حونى.

◆ **الأسرة الرابعة** : تتكون من ٧ ملوك هم : سنفرو / خوفو "صاحب الهرم الأكبر بالجيزة / جددف رع / خفرع / منكاورع / شبسسكاف / خنت كاوس.

◆ **الأسرة الخامسة** : تتكون من ٩ ملوك هم : أوسر كاف/ ساحو رع / نفر اير كارع / شبسكا رع / نفر اف رع / نى اوسر رع / منكاو حور / جد كا رع / اسيسى / اوناس.

◆ **الأسرة السادسة:** تتكون من ٥ ملوك هم : تيتى/ أوسر كا رع / ببيى الأول/ مرى إن رع / ببيى الثانى.

◆ **عصر الأنتقال الأول:** من نحو **٢١٨٠ إلى ٢٠٦٠ ق.م**، **ويتميز هذا العصر بالتدهور الاقتصادى والثورة الاجتماعية ضد الإقطاع وضد الحكومة، وبالرغم من ذلك فقد ازدهر الأدب المصرى القديم. ويمتد هذا العصر من بداية الأسرة السابعة حتى نهاية الأسرة الحادية عشرة. وتكونت هذه الأسر من ملوك غير معروفين ولم يتركوا فى التاريخ المصرى أثراً يذكر.**

◆ **عصر الدولة الوسطى:** من نحو **٢٠٦٠ إلى ١٧٨٥ ق.م**، **ويتكون من الأسرتين الحادية عشر والثانية عشرة. ويتميز هذا العصر باعادة توحيد أقاليم الدولة والرخاء الاقتصادى والاستقرار الاجتماعى.**

◆ **الأسرة الحادية عشرة** : تتكون من ٨ ملوك هم : أمنمحات الأول / سنوسرت الأول / امنمحات الثانى / سنوسرت الرابع / سنوسرت الثالث / امنمحات الثالث / امنمحات الرابع / سبك نفرو رع.

◆ **عصر الانتقال الثانى:** من نحو **١٨٧٥ إلى ١٥٨٠ ق.م**، **ويضم الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة. وقد حدثت فيه فوضى واضطرابات بعد احتلال الهكسوس لمصر لمدة ١٥٠ سنة تقريباً. وفى هذا العصر عرفت مصر صناعة العجلات الحربية وازدهرت الروح العسكرية واستعدت مصر للقضاء على الهكسوس فى عصر الأسرة السابعة عشر التى تكونت من ٤ ملوك شجعان هم : تاعا / تاعا الأكبر / سقنن رع / كامس.**

◆ **غزو الهكسوس:** بدأ دخول الهكسوس لمصر في نهاية حكم ملوك **الأسرة الرابعة عشرة؛ والهكسوس قوم أتوا من الشرق وشيدوا عاصمتهم في شرق الدلتا في أواريس ولم يكن جنوب البلاد تحت سيطرتهم. وكان أمراء الجنوب يرسلون لهم الجزية. ومكث الهكسوس في شمال مصر حوالي قرن ونصف من**

الزمان إلي أن تم طردهم علي أيدي حكام الجنوب الذين تمكنوا من إقامة جيش قوي ومحاربتهم وطردهم وحطموا كل ما يمت لهم بصلة حتي يتم محو ذكراهم من النفوس ولا يبقي لهم ذكري؛ لذلك فإن أسماء ملوكهم لا يمكن ترتيبها ترتيباً تاريخياً متيقناً وقد ساعد وجود الهكسوس علي أن يجعل من الشعب المصري للمرة الأولي في تاريخه شعباً محارباً ومنتصراً في سبيل الحرية. وكان من أثر ذلك أن بدأ يتخطي بهذه القوة العسكرية حدوده فأخضع البلاد المجاورة. وقد بدأت ثورة مصر ضد الهكسوس من أمراء مدينة طيبة ملوك الأسرة السابعة عشرة :

♦ **أهم ملوك الأسرة السابعة عشرة**: من ١٦٨٠ إلى ١٥٨٠ ق.م

تا عا / تا عا الكبير / تا عا قن (أي تا عا الشجاع) / سقنن رع / كامس (وادج خبر رع). وقد بدأ الكفاح ضد الهكسوس من الملك سقنن رع الذي من المرجح أنه قتل في ساحة القتال وتبعه ابنه كامس في معاركه ضد الهكسوس ولعله قتل هو الآخر في المعركة ولكنه ترك أخاً أتم الرسالة علي أكمل وجه وهو أحمس أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

♦ **عصر الدولة الحديثة (عصر الإمبراطورية)**: من نحو ١٥٨٠ إلى ١٠٨٥ ق.م؛ فى هذا العصر حدث تطور حربى عظيم بعد تحرير البلاد من الهكسوس وتكونت الإمبراطورية المصرية بعد فتح فلسطين والمناطق السورية جنوباً حتى الشلال الرابع بالسودان. وعاشت مصر أزهى عصور الرفاهية والثراء، وحدث تقدم عظيم فى الفنون والعلوم والتجارة الخارجية، وبنيت المعابد الكبرى كالكرنك والأقصر. وأعلنت مصر وحدانية الإله فى عهد أخناتون. ويتكون هذا العصر من ثلاث أسرات هى:

♦ **الأسرة الثامنة عشرة**: من ١٥٨٠ إلى ١٣١٤ ق.م؛ تتكون من ١٤ ملكاً

هم : أحمس الأول / **أمنحوتب الأول** / تحوتمس الأول / تحوتمس الثانى / حتشبسوت / **تحوتمس الثالث** / **أمنحوتب** الثانى / تحوتمس الرابع / أمنحوتب الثالث / أخناتون / **سمنخ كارع** / **توت عنخ أمون** / آى / حور أم محب.

◆ **الأسرة التاسعة عشرة:** من ١٣١٤ إلى ١٢٠٠ق.م؛ تتكون من ١١ ملكاً هم : رمسيس الأول / **سيتى الأول** / رمسيس الثانى / مرنبتاح / آمون مس / مون بتاح سبتاح / **سيتى الثانى** / رمسيس سبتاح / ستخ نخت / رمسيس العاشر / رمسيس الحادى عشر.

◆ **الأسرة العشرون:** من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق.م؛ تتكون من ٧ ملوك هم : رمسيس الثالث / والرابع / والخامس/ والسادس / والسابع / والثامن / والتاسع .

◆ **عصر الانتقال الثالث (العصر المتأخر):** من ١٠٨٥ إلى ٣٣٢ق.م؛ يبدأ هذا العصر ببداية الأسرة الحادية والعشرين وينتهى بنهاية الأسرة الحادية والثلاثين. وفيه اضمحلت أحوال البلاد وانفصلت الدول التى كانت تابعة للإمبراطورية، وطمع فيها الليبيون والنوبيون فحكموا مصر بعض الوقت. كما احتلها الفرس إلى أن غزاها **الإسكندر الأكبر**.

◆ **الأسرة الحادية والعشرون:** من ١٠٨٥ إلى ٩٥٠ ق.م؛ تتكون من ٧ملوك هم : سندس / حريحور / بسيب خنو الأول / باى نزم الأول/ أمنم اوبت / سيامون / بسيب خنو الثانى .

◆ **الأسرة الثانية والعشرون:** من ٩٥٠ ق.م إلى ٧٣٠ ق.م؛ تتكون من ٩ملوك من الليبين وهم : ششنق الأول/ أوسركون الأول/ تاكلوت الأول/ أوسركون الثانى / ششنق الثانى / **تلكلوت الثانى** / ششنق الثالث / باماى / ششنق الرابع.

♦ **الأسرة الثالثة والعشرون:** من ٨١٧ إلى ٧٣٠ ق.م؛ تتكون من ٦ ملوك هم : بادى باست / ششنق الخامس / أوسركون الثالث / تاكلوت الثالث / أمنرود/ أوسركون الرابع.

♦ **الأسرة الرابعة والعشرون:** من ٧٣٠ إلى ٧١٥ ق.م؛ تتكون من ملكين هما : شبسس رع / بوكريس .

♦ **الأسرة الخامسة والعشرون:** تتكون من ٥ ملوك من النوبيين هم: بعنخى/ شباكا/ سباتاكا/ طهرقا/ باكارع.

♦ **الأسرة السادسة والعشرون:** من ٦٦٣ إلى ٥٢٥ ق.م؛ تتكون من ٦ملوك من المصريين الذين استعادوا حكم البلاد بعد طرد النوبيين. وفى عصرها ازدهرت الحضارة وانتعشت التجارة الخارجية. وهم : بسماتيك الأول/ نكا الثانى / بسماتيك الثانى / واح إيب رع / أحمس سانيت / بسماتيك الثالث.

♦ **الأسرة السابعة والعشرون:** من ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق.م؛ تتكون من ٥ ملوك من الفرس هم : قمبيز / دارا الأول / جزركسس الأول/ ارتكز ركسس / دارا الثانى.

♦ **الأسرة الثامنة والعشرون:** من ٤٠٤ إلى ٣٩٨ ق.م؛ تتكون من ملك مصرى واحد هو أميرتى الذى انتزع السلطة من الفرس.

♦ **الأسرة التاسعة والعشرون:** من ٣٩٨ إلى ٣٧٨ ق.م؛ تتكون من ٤ ملوك هم : نايف عاو ورد / هجر / بساموت / نايف عاو ورد الثانى.

♦ **الأسرة الثلاثون:** من ٣٧٨ إلى ٣٤١ ق.م؛ تتكون من ٣ملوك هم : نكتانبو الأول / جد جر / نكتانبو الثانى (وهو آخر الفراعنة المصريين الذين حكموا مصر).

◆ **الأسرة الحادية والثلاثون** : من ٣٤١ إلى ٣٣٢ ق.م؛ تتكون من ٣ملوك من الفرس، وهم : ارتكزرسس الثالث / ارسيس / دارا الثالث.

انتهى حكم الفراعنة رسمياً لمصر سنة ٣١ ق.م بعد معركة أكتيوم البحرية التي هزمت فيها كليوباترا ملكة مصر وآخر الفراعنة وبعدها احتل الرومان مصر وحولوها لأول مرة في تاريخها لمجرد مقاطعة أو أقليم تابع للإمبراطورية الرومانية.

❖ الحضارة المصرية :

حضارة قدماء المصريين فلتة حضارية في عمر الزمن. لأن حضارتهم كانت متفردة بسماتها الحضارية وإنجازاتها الضخمة وأصالتها. وهذا ما أضفي عليها مصداقية الأصالة بين كل الحضارات. مما جعلها أم حضارات الدنيا بلا منازع. وهذه الحضارة أكثر مكوثاً وانبهاراً وشهرة بين حضارات الأقدمين. فلقد قامت حضارة قدماء المصريين **The Ancient Egyptians Civilization** بطول نهر النيل بشمال شرق أفريقيا منذ سنة ٥٠٠٠ ق.م. إلي سنة ٣٠ ق.م. فهي أطول حضارة استمرارية بالعالم القديم. يقصد بالحضارة المصرية القديمة من الناحية الجغرافية تلك الحضارة التي نبعت بالوادي ودلتا النيل حيث كان يعيش المصريون القدماء. ومن الناحية الثقافية تشير كلمة الحضارة للغتهم وعباداتهم وعاداتهم وتنظيمهم لحياتهم وإدارة شئونهم الحياتية والإدارية ومفهومهم للطبيعة من حولهم وتعاملهم مع الشعوب المجاورة.

ويعتبر نهر النيل الذي تدور حوله حضارة قدماء المصريين وينبع من فوق هضاب الحبشة بشرق أفريقيا ومنابع النيل بجنوب السودان متجهاً من السودان شمالاً لمصر ليأتي الفيضان كل عام ليغذي التربة بالطمي؛ هو العامل الأساسي في ظهور هذه الحضارة. فهذه الظاهرة الفيضانية الطبيعية جعلت إقتصاد مصر في تنام

متجدد معتمداً أساساً علي الزراعة. ومما ساعد على ظهور الحضارة أيضاً خلو السماء من الغيوم وسطوع الشمس المشرقة تقريباً طوال العام لتمد المصريين القدماء بالدفء والضوء. كما أن مصر محمية من الجيران بالصحراء بالغرب والبحر من الشمال والشرق ووجود الشلالات (الجنادل) جنوباً بالنوبة على النيل مما جعلها أرضاً شبه مهجورة.

في هذه الأرض ظهر اثنان من عجائب الدنيا السبع. وهما الأهرامات بالجيزة ومنارة الإسكندرية. ومن براعة قدماء المصريين في مجال علوم الفلك نجد أنهم قد أقاموا أقدم مرصد في العالم وقبل عصر بناء الأهرامات منذ فترة زمنية لحساب حركة الأجرام ورصد الشمس والنجوم حيث أقاموا الشواهد الحجرية ميجاليثات Megaliths. وهي عبارة عن دائرة من الحجر أقيمت منذ ٧٠٠٠ سنة في الصحراء الجنوبية بمصر. قبل إقامة مواقع الميجاليثات بإنجلترا وبريطانيا وأوروبا بألف سنة كموقع ستونهنج الشهيرة. وقد أكتشف موقع نبتة منذ عدة سنوات وكانت نبتة أقدم موقع أثري بالنوبة. ويتكون من دائرة حجرية صغيرة. وبه عظام ماشية وخمس خطوط من الحجارة المائلة والبلاطات الحجرية التي كشف عنها مائلة على بعد ميل من الموقع وبعضها بارتفاع ٩ قدم. وكل بلاطة مدفونة بالتربة وهي فوق صخرة منبسطة. وهذا الموقع يتجه للجهات الأصلية الأربعة ويحدد الإعتدال الشمسي. وبالموقع دائرة حجرية صغيرة بها عظام الماشية وخمسة خطوط من ميجوليثات مائلة. وكان هذا الموقع قد بني علي شاطيء بحيرة يتجمع بها ماء المطر صيفاً وقتها. وكانت هذه الدائرة الصغيرة قطرها ١٢ قدم تضم أربعة مجموعات من البلاطات القائمة حيث يمكن رؤية الأفق. وكانت مجموعتان تتجها ناحية الشمال والجنوب والمجموعتان الأخريتان تتجها ناحية أفق

الإعتدال الشمسي الصيفي. وكانت منذ ٦٠٠٠ سنة منطقة رعوية تسقط بها الأمطار الصيفية ترعي بها الماشية حتي منذ ٤٨٩٩ سنة عندما إنحسرت عنها الأمطار. اكتشف بها الدوائر الحجرية. وقد قام بالمنطقة مجتمعات سكانية من بينها قرية كان يمدها ١٨ بئر بالمياه تحت سطح بلاطات بناء ميجوليثي كبير عبارة عن تمثال يشبه بقرة نحت من صخرة كبيرة. وكانت تتكون القرية من ١٨ بيتاً. وبها مدافن كثيرة للمواشي حيث عثر علي هياكلها في غرف من الطين. وهذا يدل علي أن السكان كانوا يعبدون البقر. ووجد مواقد كانت تستعمل. وعظام غزلان وأرانب برية وشقف فخار وقشر بيض نعام مزخرف. لكن لايوجد مدافن أو مخلفات بشرية في نبتة. وهذا يدل أن البدو كانوا رحلاً يأتون لنبتة كل صيف حيث الماء والكلأ. والزواج والتجارة وإقامة الطقوس الدينية. وكان هذا الموقع قد بني علي شاطيء بحيرة يتجمع بها ماء المطر صيفاً وقتها. حيث كانت قطعان المواشي تُقاد إلى نبتة في العصر الحجري الحديث منذ ١٠ آلاف سنة. وكان البدو الرعاة يفدون إليها في موسم أمطار حتي منذ ٤٨٠٠ سنة حيث إنحسرت الرياح الموسمية باتجاه جنوب غلاب لتصبح المنطقة جرداء. وسلالة هؤلاء بعد ٢٠٠٠ سنة قد نزحوا إلى وادي النيل وأقاموا الحضارة المصرية القديمة ولاسيما بعدما أقفرت هذه المنطقة الرعوية وتغير مناخها. واستقروا سنة ٤٠٠٠ ق.م. بمصر العليا ولاسيما في نيخن القديمة ونقادة وأبيدوس.

وهذا الإستقرار المكاني جعل قدماء المصريين يبدعون حضارتهم ومدنيتهم فوق أرضهم. فأوجدوا العلوم والآداب والتقاليد والعادات والكتابات والقصص والأساطير، وتركوا من بعدهم تسجيلات جدارية ومخطوطة على البردي لتأصيل هذه الحضارة المبتكرة. وشيدوا البنايات الضخمة كالأهرامات والمعابد والمقابر

التي تحدث الزمن. علاوة علي المخطوطات والرسومات والنقوشات والصور الملونة والتي ظلت حتي اليوم. وكانوا يعالجون نبات البردي ليصنعوا منه أطماره الرقيقة وكتبوا عليها تاريخهم وعلومهم وعاداتهم وتقاليده لتكون رسالة لأحفادهم وللعالم أجمع. فكانوا يكتبون عليها باللغة الهيروغليفية وهي كتابة تصويرية التي فيها الرمز يعبر عن صورة معروفة. وابتدعوا مفاهيم في الحساب والهندسة ودرسوا الطب وطب الأسنان وعملوا لهم التقويم الزمني حسب ملاحظاتهم للشمس والنجوم. وكان لقدماء المصريين تقويمهم الزمني منذ مرحلة مبكرة وكان يعتمد علي ملاحظانهم للشمس والنجوم بالسماء ومواعيد فيضان النيل في كل عام. وكانوا يستعملون تقويمهم في تسجيل الأحداث التاريخية وجدولة أعيادهم وتأريخ القرارات الملكية. وكان أول محاولة لصنع تقويم عام ٨٠٠٠ ق.م عندما صنع الدوائر الحجرية في ركن بأقصي جنوب غربي مصر حالياً، وكانت تستخدم لمراقبة النجوم وحركاتها. وقسموا اليوم ٢٤ ساعة (١٢ نهار و١٢ ليل) والأسبوع ١٠ أيام والشهر ٣ أسابيع أو ٣٠ يوم. والسنة ١٢ شهر. وكانت تقسم لثلاثة فصول كل فصل ٤ شهور. وكانت السنة تعادل ٣٦٠ يوم. وكان قدماء المصريين يضيفون بعدها ٥ أيام كل يوم من هذه الأيام الخمسة تشير لعيد ميلاد إله. وبهذا تكون السنة الفرعونية كاملة ٣٦٥ يوم. وهي تقريبا تقارب السنة الشمسية حالياً ماعدا ربع يوم الفرق في كل سنة شمسية.

ورغم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون آلهة عديدة إلا أن دعوة التوحيد الإلهي ظهرت علي يد الملك إخناتون كسمة عقائدية. كما أنهم أول من صوَّر وابتدع عقيدة الحياة الأخروية. وهذه المفاهيم لم تكن موجودة لدي بقية الشعوب. وبنوا المقابر المزينة والمزخرفة وقاموا بتأثيثها ليعيشوا بها عيشة أبدية. وكانت مصر

القوة العظمي بالعالم القديم وكان تأثيرها السياسي في أحيان كثيرة يمتد نفوذه لدول الجوار شرقاً في آسيا وغربا بأفريقيا. وجنوباً بالنوبة وبلاد بونت **Punt** بالصومال. وكان قدماء المصريين يطلقون علي أرضهم كيمت **Kemet** أي الأرض السوداء لأن النيل يمدها بالطمي وكان يطلق عليها أيضاً ديشرت **Deshret** أي الأرض الحمراء إشارة للون رمال الصحراء بها التي تحترق تحت أشعة الشمس.

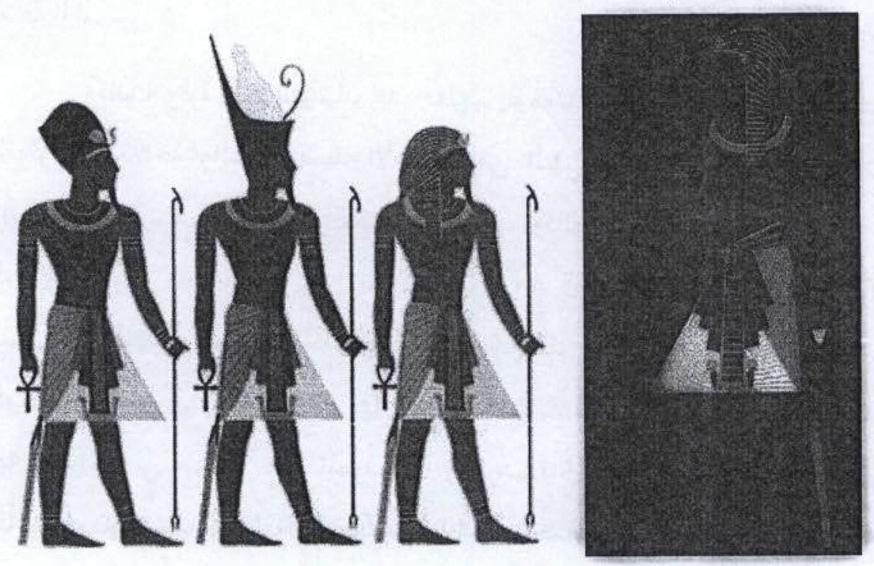
وكانت وفرة مياه الفيضان قد جعلهم يقيمون شبكة للري والزراعة وصنعوا القوارب للملاحة والنقل وصيد الأسماك من النهر. وأعطتهم الأرض المعادن والجواهر النفيسة كالذهب والفضة والنحاس. وكانوا يتبادلون السلع مع دول الجوار. وتاريخ مصر نجده يبدأ منذ سنة ٨٠٠٠ ق.م. في منطقة جنوب شرق مصر عند الحدود السودانية الشمالية الشرقية. وقد جاءها قوم رعاة وكانت هذه المنطقة منطقة جذب حيث كان بها سهول حشاشية للرعي ومناخها مضياف وكان بها بحيرات من مياه الأمطار الموسمية. وآثارهم تدل علي أنهم كانوا مستوطنين هناك يرعون الماشية. وخلفوا من بعدهم بنايات ضخمة في سنة ٦٠٠٠ ق.م .

❖ الحكومة والاقتصاد :

◆ الإدارة والتجارة :

كان الفرعون – من الناحية النظرية على الأقل – العاهل المطلق للبلاد، ويملك السيطرة الكاملة على الأرض ومواردها. وكان الملك القائد الأعلى للجيش ورئيس للحكومة، والذي اعتمد على مسؤولين بيروقراطيين في إدارة شئونه. الرجل الثاني في القيادة والمسؤول عن الإدارة هو الوزير؛ الذي يعد نائب الملك وممثله، حيث نسق عمليات مسح الأراضي، والخزانة، وبناء المشاريع، والنظام القانوني

والمحفوظات. وعلى الصعيد الإقليمي، كانت البلاد مقسمة إلى ما يصل إلى ٤٢ منطقة إدارية تسمى كل منها قطاعات يحكمها رئيس القطاع، الذي كان مسؤولاً أمام الوزير عن نطاق سلطته. وشكلت المعابد العمود الفقري والبنية الأساسية للاقتصاد. حيث لم يقتصر دورها على أنها دور العبادة فقط، ولكن كانت مسؤولة أيضاً عن جمع وتخزين الثروة الوطنية في نظام من مخازن الحبوب والخزانات التي يديرها المشرفين ثم يقوموا بإعادة توزيعها.



تمثال الفرعون كان يصور عادة ارتداء الرموز الملكية والسلطة.

كان جزء كبير من الاقتصاد يُنظم مركزياً ومحكم برقابة صارمة. على الرغم من أن المصريين القدماء لم يستخدموا العملات حتى العصر المتأخر، إلا أنهم استخدموا نوع من نظام مقايضة المال، باستخدام أكياس قياسية من الحبوب و"الديبن"، ذات وزن تقريبي ٩١ جراماً من النحاس والفضة. حيث تقاضى العمال أجورهم بالحبوب؛ فالعامل البسيط قد يكسب خمسة حصص ونصف (ما يقارب

٢٠٠ كجم) من الحبوب شهرياً، في حين أن كبير العمال قد يكسب سبعة حصص ونصف (٢٥٠ كجم). كانت الأسعار ثابتة في جميع أنحاء البلاد ومسجلة في قوائم لتسهيل التجارة، على سبيل المثال كانت تكلفة القمصان خمسة ديبن من النحاس، في حين أن تكلفة البقرة ١٤٠ ديبن. كما أمكن تبادل الحبوب مع السلع الأخرى، وفقاً لقائمة الأسعار الثابتة. وخلال القرن الخامس قبل الميلاد، اخترع المال وقدم إلى مصر من الخارج. في البداية استخدمت العملات كقطع موحدة من المعدن النفيس بدلاً من المال الحقيقي، ولكن سرعان ما اعتمد التجار الدوليون على العملات في القرون التالية.

◆ الحالة الاجتماعية :

كان المجتمع المصري مجتمع طبقي بدرجة عالية، وكانت الفئة الاجتماعية عنصر مهم في كيان وشخصية المرء. احتل المزارعون النصيب الأكبر من السكان في ذلك الوقت، إلا أن المنتجات والأراضي الزراعية كانت مملوكة من قبل الدولة أو المعبد أو في بعض الأحيان تكون مملوكة من قبل أحد الأسر النبيلة. كما خضع المزارعون لضريبة العمل، وكانوا يعملون في مشاريع البناء أو الري بنظام السُخرة. أما الفنانين والحرفيين، فقد كانوا بمركز أعلى وأرقى من فئة المزارعين، إلا أنهم كانوا أيضاً تحت سيطرة الدولة المباشرة، حيث كانوا يعملون في معابد الدولة، ويتلقون رواتبهم مباشرةً من خزينة الدولة. وشكل الكُتاب والمسؤولون الطبقة العليا في مصر القديمة، أو ما يسمى "طبقة التنورة البيضاء" في إشارة إلى الملابس البيضاء التي كانت بمثابة علامة على مكانتهم. وصور الأدب والفن بشكل واضح وضع الطبقة العليا من الشعب، حيث حظوا بنصيبٍ وافرٍ من الذكر والإشارة في مجالات الثقافة المختلفة. واحتل الكهنة والأطباء والمهندسين المدربين على

اختصاصات معينة المرتبة ما قبل مرتبة النبلاء. وقد عرفت مصر القديمة العبودية في ذلك الوقت، لكن لا تزال المعلومات والدلائل عليها ذات نطاق ضيق. وكانت فئة الكتبة تمثل النخبة وتتلقى تعليماً جيداً حتى تتمكن من تقييم الضرائب، والاحتفاظ بالسجلات، وكانت مسؤولة عن الإدارة.



الكاتب المصرى بمتحف اللوفر



تمثال الكاتب المصري القديم



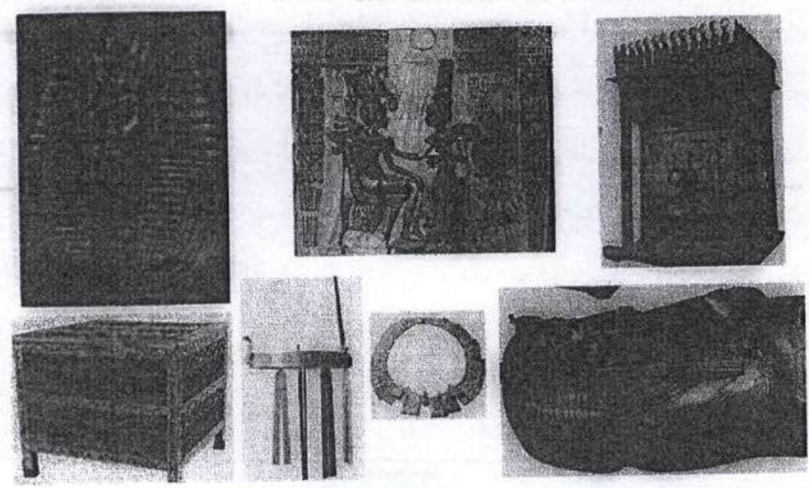
(كتبة يباشرون عملهم)

ساوى قدماء المصريون قانونياً بين جميع الطبقات الاجتماعية من الرجال والنساء إلا العبيد؛ حيث كان لأقل الفلاحين التقدم بالالتماس إلى الوزير وحاشيته

طلباً للعدل. وجعل لكلٍّ من الرجال والنساء الحق في امتلاك وبيع الممتلكات، وتنظيم العقود والحق في الزواج والطلاق، بالإضافة للحق في الميراث وإنشاء محاكم للفض بين المنازعات القانونية. وقد أمكن للمتزوجين التملك معاً وبصورة مشتركة. بالإضافة إلى حماية المرأة عند الطلاق؛ حيث تنص عقود الزواج على الالتزامات المالية للزوج على زوجته وأولاده حتى بعد الطلاق. وبمقارنة النساء مع نظرائهم في اليونان القديمة بل وحتى مع حضارات أكثر حداثة كانت للمرأة المصرية في ذلك الوقت حرية اختيار، وفرص متاحة للتحقيق أكثر من أي امرأة أخرى في تلك الحقبة. فأصبحت نساء مثل حتشبسوت وكليوباترا من الفراعنة، في حين أن البعض الآخر مارس سلطة كبيرة مثل زوجات آمون المقدسة. وعلى الرغم من كل تلك الحريات لم تشارك المرأة المصرية القديمة في الأدوار الرسمية الرئيسية، وخدمت كعنصر ثانوي في المعابد، وعموماً لم تكن المرأة تحصل على نفس القدر من التعليم مقارنةً مع الرجال.

تميزت الحضارة الفرعونية بلسحر والذهب

{ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } يونس : ٨٨



◆ النظام القانوني :

رأس الفرعون النظام القانوني رسمياً، وكان مسؤولاً عن سن القوانين وتحقيق العدالة، والحفاظ على القانون والنظام، وهو مفهوم لدى المصريين القدماء ويشار إلى بالإله ماعت. وعلى الرغم من عدم وجود أي قوانين باقية حتى الآن من مصر القديمة، أظهرت وثائق إحدى المحاكم أن القانون المصري كان قائماً على وجود نظرة عامة حسية بالصواب والخطأ، حيث كان يشدد على ضرورة التوصل إلى اتفاقات وتسويات سلمية للنزاعات والصراعات. وكان مجلس الشيوخ المحلي؛ المعروف باسم الكينبيت في الدولة الجديدة المسؤول عن البت في القضايا والخلافات الصغيرة التي تعرض على المحكمة.

أما عن النزاعات والصراعات الأشد خطورة، مثل القتل، واختلاس أراضي الدولة، والسطو على المقابر فكانت تحال إلى ما يسمى الكينبيت الكبير الذي يترأسه الوزير أو الفرعون نفسه في بعض الحالات. وكان من المتوقع أن يمثل المدعون والمدعى عليهم بأنفسهم ويُطلب منهم قسم اليمين على قول الحقيقة. وفي بعض الحالات، أخذت الدولة دور كل من المدعي العام والقاضي، وكان تعذيب المتهم بالضرب للحصول على اعتراف وأسماء أي من المتآمرين أمراً لا بآس به. ولا يهم إذا ما كانت التهم تافهة أو خطيرة، حيث يقوم كتبة المحكمة بتوثيق الشكوى، والشهادة، والحكم الصادر في القضية للرجوع إليها في المستقبل عند الحاجة. ينطوى العقاب في الجرائم البسيطة إما على فرض الغرامات، أو الضرب، أو التشويه في الوجه، أو النفي، وهذا يتوقف على شدة الجريمة. أما الجرائم الخطيرة مثل القتل وسرقة المقابر فكانت عقوبتها الإعدام، والتي تتم بقطع الرأس، أو الإغراق، أو وضع الجاني على عمود ليخترق جسمه. وقد تمتد العقوبة

لتشمل عائلة الجاني. وبداية من المملكة الجديدة، لعب الأوراكل (أشخاص على اتصال بالآله) دوراً رئيسياً في النظام القانوني، وإقامة العدل في القضايا المدنية والجنائية. حيث كانوا يقومون بسؤال الإله سؤال يكون جوابه "نعم" أو "لا" بشأن صحة وحقيقة قضيةً ما. ثم يصدر الإله الحكم، ويقوم به عدد من الكهنة، عن طريق اختيار واحدة أو أخرى مباشرةً، أو التحرك إلى الأمام أو الخلف، أو الإشارة إلى واحد من الأجوبة المكتوبة على قصاصة من ورق البردي أو قطعة حجر.

◆ نظام الحكم والإدارة والجيش فى مصر الفرعونية :

يُقصد بنظام الحكم والإدارة فى مجتمع ما: السلطات المختلفة فى هذا المجتمع لإدارة شئونه، والعلاقة التى تربط بين الحكام وأفراد هذا المجتمع، وحقوق وواجبات كل منهما. ومنذ أن تم توحيد مصر سنة ٣٢٠٠ ق.م أصبح لها نظام حكومى ثابت؛ هذا النظام الحكومى كان يتكون من: الفرعون، والوزير، والإدارة المركزية، وحكام الأقاليم، والجيش والأسطول.

ا – فرعون (الملك) وسلطاته :

اعتنق المصريون فكرة الملكية المقدسة، فكان فرعون فى نظرهم ابن الإله على الأرض، يدير شئون المملكة، وهو الحاكم الذى تتركز فى يده كل السلطات، وكانت له هيبة كبيرة وطاعة عمياء. وكان على الملك عدة واجبات، مثل الدفاع عن الوطن وحماية حدوده، ونشر العدالة بين جميع الناس، وتأمين وسائل الحياة لشعبه، وإقامة المعابد للآلهة، وتقديم القرابين لها. أما القصر الملكى فكان مركزاً رئيسياً لإدارة شئون الحكم ومقره العاصمة، ويحيط بالملك حاشية كبيرة تتكون من عظماء أمته وضباط جنده، يستشيرهم فى أمور الدولة، ويستعين بهم على تدبير شئون الشعب.

ب – الوزير واختصاصاته :

عندما زادت أعباء فرعون، اتخذ له وزيراً من الذين يُعرفون بالعدل والحكمة والعلم، وكان الوزير يرأس الإدارة المركزية، ويلى الملك فى الدولة والأهمية، وهو حلقة الاتصال بين الملك وموظفيه. كان الوزير أيضاً يتولى الإشراف على إيرادات ومصروفات الدولة، ودور القضاء، وهو الرئيس الفعلى للحكومة. ومن أشهر وزراء الدولة القديمة الوزير "إيمحوتب". وبعد أن أصبحت مصر إمبراطورية واسعة الأرجاء فى الدولة الحديثة، وزادت موارد البلاد الاقتصادية، صار للدولة وزيران، أحدهما للوجه القبلى يقيم فى "طيبة"، والآخر للوجه البحرى يقيم فى "هليوبوليس" (عين شمس).

ملحوظة : يقصد بكلمة "إمبراطورية" الأملاك التى تمتلكها وتسيطر عليها دولة ما خارج حدودها، مثل الإمبراطورية المصرية فى عهد "تحتمس الثالث"، والتى امتدت من أعالى الفرات شمالاً حتى الجندل الرابع جنوباً، وضمت سوريا، وأعالى الفرات، وبلاد النوبة.


(الوزير يقدم تقريره إلى فرعون)

عن صفات الحاكم، يقول الوزير "بتاح حتب" ناصحاً ابنه "إذا كنت حاكماً تصدر الأوامر للشعب، فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة، حتى تستمر أوامرك ثابتة، إن الحق جميل وقيمته خالدة ... وقد تذهب المصائب بالشرور، ولكن لا يذهب الحق، بل يمكث إلى الأبد..."

ج – الإدارة المركزية :

كان يعاون الوزير رؤساء الإدارات العامة، كإدارة الخزانة العامة، وإدارة المخازن، وإدارة الزراعة، ومخازن الغلال، والسجلات، والقضاء، والأشغال ، وكان الموظفون طبقات، منهم الرؤساء والمديرون والوكلاء والكتبة والمحاسبون. كانت مهمة الكاتب تفوق معظم المهن الأخرى لمزاياه العظيمة.

د – حكام الأقاليم :

كان حكام الأقاليم يعينون بواسطة الملك، وينوبون عنه فى إدارة الأقاليم، ويخضعون لإشراف الوزير. وتتبع كل حاكم إقليم مجموعة من الموظفين فى الإدارات المختلفة لتنفيذ مصالح الناس. كان حكام الأقاليم يدفنون فى مقابر على مقربة من مقبرة الملك بالعاصمة.

هـ – الجيش :

فى عصر الدولة القديمة لم يكن هناك جيش نظامى، فكان لفرعون حرسه الخاص به ولكل إقليم جيشه. أما فى عصر الدولة الحديثة فقد تم تكوين جيش نظامى ثابت بعد أن طرد "أحمس" الهكسوس من البلاد، كذلك بدأ بناء أسطول بحرى قوى يؤمِّن سواحل البلاد ضد الغزاة.

◄ أسلحة الجيش :

استخدم المصريون فى الجيش أسلحة متعددة كالأقواس والسهام والسيوف والحراب والفئوس والبُلط، كما استخدموا الخوذات والدروع لحماية رءوسهم وأجسادهم، وكان الجنود يلبسون الملابس القصيرة التى تسهل لهم سرعة الحركة. أما العجلات الحربية التى تجرها الخيول، فقد نقلها المصريون عن الهكسوس،

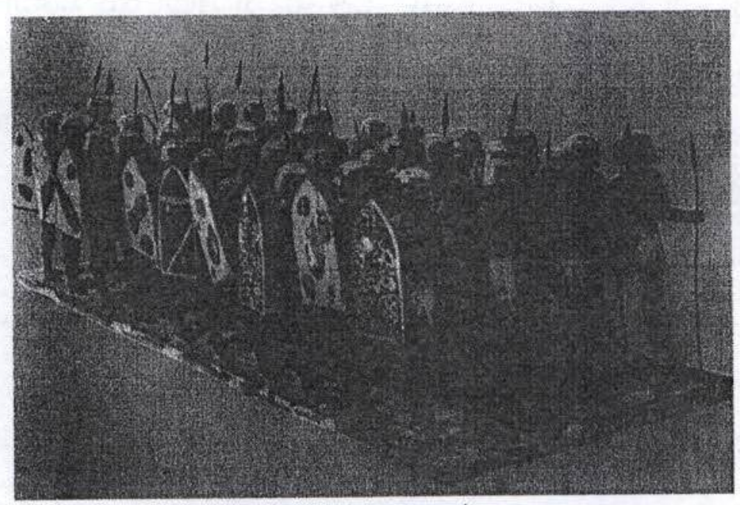
أيضاً اهتم الفراعنة بتأمين حدود مصر الخارجية؛ فبنوا الحصون ووضعوا بها الحاميات. والمصريون القدماء أول من قسموا الجيش إلى فرق، ثم إلى فيالق، وإلى قلب وجناحين. عن الجيش فى مصر الفرعونية، كتب أحد المؤرخين "إن المصريين القدماء كانوا شعباً مسالماً طالما كان ينعم بالاستقرار والسلام، وتكونت مؤسسة عسكرية سيطرت على مقاليد البلاد، وسلحت الجيش بأحدث الأسلحة، وعملت فى ولاء تام تحت قيادة فرعون، فرفعت اسم الوطن عالياً ...".



صورة للعجلة الحربية أحد الأسلحة المستخدمة في الحرب قديماً



"رمسيس الثانى "يقود عجلته الحربية فى معركة "قادش."



كتيبة مصرية من أربعين جندياً حاملى الرماح والدروع وعلى رؤوسهم خوذات.

◆ الحياة العسكرية عند الفراعنة :

١- العسكرية في الدولة القديمة :

أنشيء أول جيش نظامي في العالم في مصر، حيث تأسس حوالي سنة ٣٢٠٠ق،م. وقد كان ذلك بعد توحيد الملك مينا لمصر. فقبل ذلك العام كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية جيشاً خاصاً به يحميه، ولكن بعد حرب التوحيد المصرية أصبح لمصر جيشاً موحداً تحت إمرة ملك مصر. وقد كان الجيش المصري أقوى جيش في العالم وبفضله أنشأ المصريون أول إمبراطورية في العالم وهي الإمبراطورية المصرية الممتدة من تركيا شمالاً إلى الصومال جنوباً ومن العراق شرقاً إلى ليبيا غرباً، وقد كان ذلك هو العصر الذهبي للجيش المصري.

كان المصريون هم دائماً العنصر الأساسي في الجيش المصري. وكان الجيش المصري يتكون من الجيش البري (المشاة والعربات التي تجرها الخيول والرماحين وجنود الحراب والفروع الأخرى)، والأسطول الذي كان يحمى سواحل

مصر البحرية كلها إضافة إلى نهر النيل. وقد قدمت العسكرية المصرية القديمة العديد من القواد كالإمبراطور (تحتمس الثالث) أول إمبراطور في التاريخ وهو الذي أنشأ الإمبراطورية المصرية وفي رصيده العديد من المعارك والحروب أشهرها معركة مجدو. وكان الجيش المصري في جميع الأسرات من أقوي الجيوش وبالذات في الدولة الحديثة حيث هزم المصريين الحيثيين والرومان والإغريق في سلسلة حروب للملك المصري رمسيس الثاني. ومن أسباب قوة الجيش المصري أنه لم يكن يعتمد علي المرتزقة الأجانب لكنه كان يعتمد علي الاستدعاء والخدمة الإلزامية أثناء الحرب؛ فكان الجيش المصري بكامله مصريين ولا يحتوي علي أي عناصر أجنبية أخرى.

مصر كانت بمنأي عن الحروب الخارجية في هذه الفترة القديمة لمناعتها الطبيعية. ولأن المجتمع المصري بطبعه، ليس عدوانياً ضد الغير. وجيشها كان خدمة إلزامية أثناء الفتن والحروب الداخلية. وكان الجنود ينقلون عبر النيل في قوارب لمناطق الصراع والأزمات المحلية أيام الدولة القديمة. حمت البعثات العسكرية رحلات التعدين إلى سيناء خلال عصر الدولة القديمة وخاضت الحروب الأهلية خلال الفترات الانتقالية الأولى والثانية. وبداية من عصر بناء الأهرامات كان المصريون مجندين إجبارياً في بناء وتشييد المباني موسمياً أيام الفيضان والأغنياء كانوا يدفعون البدلية لإعفائهم. كان الجيش المصري القديم المسؤول عن الدفاع عن مصر ضد الغزو الأجنبي، والحفاظ على مصر في الشرق الأدنى القديم. وكان الجيش مسؤولاً عن الحفاظ على التحصينات على طول الطرق التجارية الهامة، مثل تلك التي وجدت في مدينة بوهين على الطريق إلى بلاد النوبة. وشُيدت الحصون أيضاً لتكون بمثابة القواعد العسكرية مثل قلعة في سيل التي

كانت قاعدة لعمليات البعثات إلى بلاد الشام. وكان تسليح الجنود في المملكة القديمة بدائياً وعبارة عن الهراوات والعصي التي في أعلاها مثبت بها حجرة والخناجر والحراب من النحاس.

٢- الجيش في عصر الدولة الحديثة :

تغيرت العقيدة القتالية المصرية من الدفاع إلي الهجوم والغزو، وذلك بعدما إتضح لهم أن جيرانهم من الشعوب الأخرى يريدون احتلال أرضهم ولذلك يجب الدفاع عن مصر بخلق بُعد إستراتيجى لها في أراضى أخرى مما جعل المملكة الحديثة التي أسسها كاموس أخو أحمس تؤسس جيشاً نظامياً محترفاً ومدرباً لأول مرة في مصر وقد حدث من أسلحته. مما جعلهم يوسعون حدود مصر ويقيمون أكبر إمبراطورية في العالم آنذاك من الأناضول شمالاً إلى القرن الأفريقى جنوباً ومن الصحراء الليبية غرباً إلى الفرات شرقاً، وهذا الجيش الجديد كان يعاونه الأسلحة المشتركة وأسطول بحري.

أُستخدم الجيش المصري لمهاجمة وقهر كوش وأجزاء من بلاد الشام. وكانت المعدات العسكرية نمطية مثل الأقواس والسهام والرماح، والدروع التي لم يكن الفراعنة يعرفونها من قبل لحماية الجسم والرأس فأدخلوا القلنسوة فوق الجمجمة والخوذات المعدنية فوق الرأس، وأدخلوا الحصان والعربة الحربية. كما بدأ الجيش باستخدام العربات التي كانت في وقت سابق قد عرفت من قبل الغزاة الهكسوس؛ الذين أدخلوا القوس المركب الذي كان مداه أبعد من القوس العادي المصري الذي كان يُستعمل من قبل. واصلت الأسلحة التحسين فبعد اعتماد البرونزية صنعت الدروع من الخشب الصلب مع مشبك من البرونز. الفرعون كان يصور عادة في الفن والأدب وهو على رأس الجيش،

مثل سقنن رع تاو الثاني وأبنائه، على الرغم من أنه أيضاً قيل أن ملوك هذه الفترة لم يتصرفوا كقادة حرب ولكن قاتلوا جنباً إلى جنب مع قواتهم.

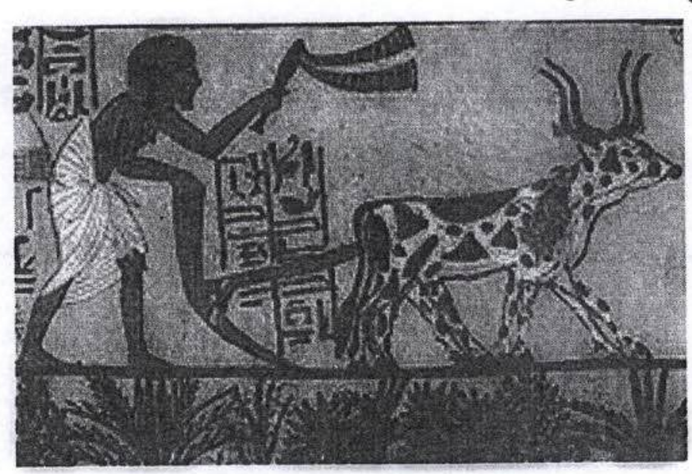
تم تجنيد جنود من عامة السكان، وبعد المملكة الجديدة، تم توظيف المرتزقة من كوش النوبة، وليبيا للقتال من أجل مصر. فمنذ أيام أمنحتب الثالث بالمملكة الحديثة كان جيشه يتكون من القواد المصريين والمجندين إلزامياً وأسري الحرب والمصريين الذين احترفوا العسكرية والمرتزقة من الليبيين والنوبيين ولاسيما في أواخر عهدها حيث أصبح المرتزقة يشكلون معظم وحدات الجيش المصري. ولاسيما من الليبيين الذين حكموا مصر.

◆ الزراعة في مصر القديمة :

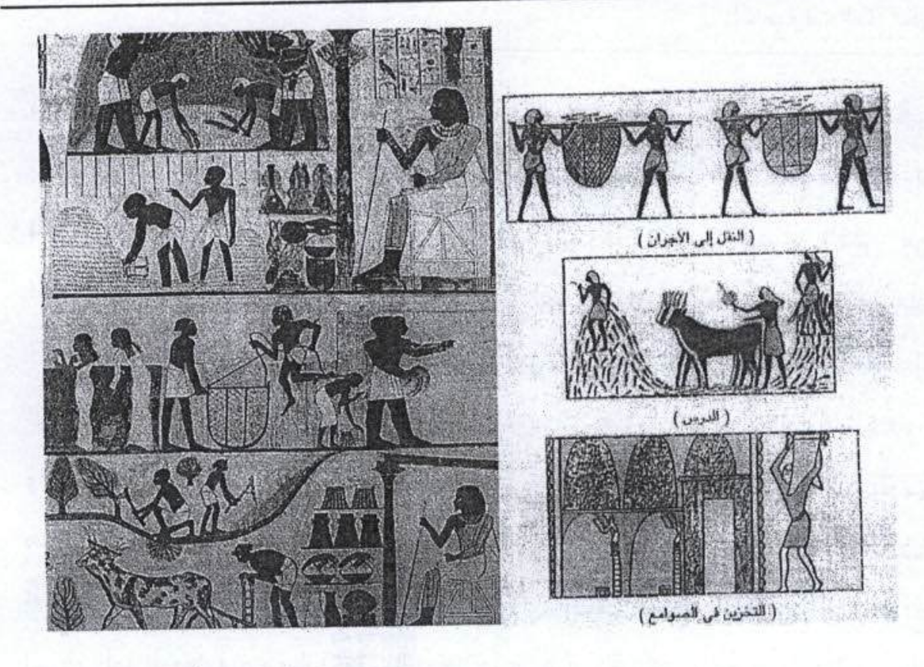
ساهمت مجموعة من المعالم الجغرافية المواتية في نجاح الثقافة المصرية القديمة، والتي من أهمها كانت التربة الخصبة الغنية والناجمة عن الفيضان السنوي لنهر النيل. ولذلك كان المصريون القدماء قادرون على إنتاج كمية وافرة من الغذاء، والتي تسمح للسكان بتكريس مزيد من الوقت والموارد للأنشطة الثقافية والتكنولوجية والفنية. كما كانت إدارة الأراضي أمر بالغ الأهمية في مصر القديمة بسبب الضرائب المقررة على أساس مساحة الأراضي المملوكة للشخص.

اعتمدت الزراعة في مصر على دورة نهر النيل. عرف المصريون ثلاثة فصول في السنة؛ أخت (الفيضان)، بيريت (الزراعة)، شيمو (الحصاد). ويستمر موسم الفيضانات من يونيو وحتى سبتمبر، حيث يرسب على ضفاف النهر طبقة من الطمي الغنية بالمعادن المثالية لزراعة المحاصيل. بعد انحسار مياه الفيضان، يبدأ موسم النمو من أكتوبر وحتى فبراير. ثم يزرع ويحرث المزارعون البذور في الحقول، والتي كانت تُروى من المصارف والقنوات. وكان اعتماد المزارعين على

مياه النيل بشكل أساسي لكون نصيب مصر السنوي من الأمطار قليلٌ نسبياً بالمقارنة بحجم الفيضان. وفي الفترة من مارس إلى مايو، يستخدم المزارعون المنجل لحصد محاصيلهم، ثم تدخل الحبوب في عملية لفصل القش من الحبوب، بعد ذلك تقشر الحبوب وتخمر لصنع الجعة أو تخزن لاستخدامها لاحقاً. قام المصريون القدماء بزراعة قمح ايمر والشعير، وعدد آخر من محاصيل الحبوب، والتي تستخدم لصنع مكونان الغذاء الرئيسيان، الخبز وشراب الشعير. واقتلعوا نباتات الكتان قبل ازدهارها، والتي تزرع من أجل ألياف سيقانها. ثم تنقسم هذه الألياف على مدى طولها وتنسج إلى خيوط والتي تستخدم في نسج أقمشة الكتان لصنع الملابس. كما استخدام البردي النامي على ضفاف النيل لصنع الورق. أما الخضروات والفاكهة، فقد كانت تزرع في حدائق مخصصة، بالقرب من منطقة سكنية ومرتفع، وكانت لابد أن تسقى باليد. وشملت الخضراوات الكراث والثوم والبطيخ والقرع والبقول والخس وغيرها من المحاصيل، بالإضافة إلى العنب الذي صُنع منه الخمر.



تصوير جداري يوضح حرث المصري القديم بالمحاريث حقوله مع زوج من الثيران



تصوير جداري يوضح عمال الإغاثة أثناء حراثة الحقول، حصاد المحاصيل، ودرس الحبوب تحت إشراف أحد المشرفين.

◆ الحيوانات :

اعتقد المصريون أن العلاقة المتوازنة بين الناس والحيوانات عنصراً أساسياً في النظام الكوني، ومن ثم أعتقد أن الإنسان والحيوان والنبات أعضاء من كيان واحد. ولذلك كانت الحيوانات؛ سواء المستأنسة أو البرية، تشكل مصدراً حيوياً للروحانية، والرفقة، ومؤازرة القدماء المصريين. وشكلت الماشية أهم الموارد الحيوانية. وكانت الحكومة تجمع الضرائب على الثروة الحيوانية في إحصاءات رسمية منتظمة، وعكس حجم القطيع مكانة وأهمية النبلاء أو المعبد التي تملكها. وربى المصريون القدماء أيضاً الأغنام والماعز والخنازير. أما الطيور المستأنسة مثل البط والإوز والحمام فقد حجزت في شباك ورُبيت في مزارع، حيث غُذيت بالإكراه

بالعجين لغرض تسمينها. وكان النيل مصدراً وفيراً من الأسماك والثروة السمكية. واستأنس النحل منذ – على الأقل– عصر الدولة القديمة، وزودت المصريين بالعسل والشمع. وكانت الكلاب والقطط والقرود حيوانات أليفة لدى العامة، في حين أن الحيوانات الأكثر تطرفاً وغرابة على المصريين مثل الأسود كانت تستورد من وسط أفريقيا وتمتلك من قبل النبلاء والملوك فقط. وقد لاحظ هيرودوت أن المصريين هو الشعب الوحيد في ذلك الوقت الذي ربى الحيوانات داخل منازلهم. وخلال الفترتين، فترة ما قبل الأسر والعصر المتأخر، انتشرت بشكل كبير وشعبي للغاية عبادة الآلهة في شكل وهيئة حيواناتهم، مثل القط باستت، وأبو منجل تحوت، وقد ربيت هذه الحيوانات في المزارع بأعداد كبيرة لغرض طقوس التضحية. كما استخدم الحيوانات في الزراعة لتريحه من عبء العمل كما أنها كانت مصدراً من مصادر الغذاء. فكان استخدام الحمير والثيران إما لغرض الحمل والنقل أو الحرث وتنسيق التربة. وأيضاً ساهمت الثيران – الخَصبة تحديداً – بلحومها وكانت جزءاً أساسياً من طقوس القرابين. وأدخل الهكسوس الخيول في المرحلة الانتقالية الثانية إلى البلاد، ولم تظهر الإبل كحيوانات عاملة إلا في العصر المتأخر رغم اكتشافها منذ الدولة الحديثة. وهناك أيضاً أدلة تشير إلى أن الفيلة استخدمت لفترة قصيرة في العصر المتأخر، ولكن تم الاستغناء عنها إلى حد كبير بسبب نقص المراعي البرية التي تحتاجها.

◆ الموارد الطبيعية :

◂ قطاع التعدين في مصر :

مصر هي منطقة غنية بأحجار البناء والديكور مثل خام النحاس والرصاص والذهب، والأحجار شبه الكريمة. أتاحت هذه الموارد الطبيعية لقدماء المصريين

بناء النصب التذكارية، ونحت التماثيل، وصناعة الأدوات وأنماط المجوهرات. وفي التحنيط؛ استخدم المحنطون الملح من واد النطرون لصنع المومياء، والجبس لصنع الجص. وتم العثور على تكوينات صخرية تحمل معادن خام في أماكن، حيث وجدت في صحراء سيناء، والوديان البعيدة في الصحراء الشرقية، مما تطلب بعثات استكشافية كبيرة الحجم تحت سيطرة الدولة لجلب والحصول على الموارد الموجودة هناك. كما كان هناك مناجم ذهب كثيفة في النوبة، وتعد واحدة من أولى الخرائط المعروفة في العالم هي لمنجم ذهب في هذه المنطقة. كما كانت منطقة وادي الحمامات أبرز مصادر الجرانيت والأحجار الرملية والذهب. وكان حجر الصوان أول معدن جمع واستخدم في صنع الأدوات، وتعتبر الفأس اليدوية المصنوعة من الصوان هي أقرب شواهد السكن في وادي النيل. وقد قشرت العقيدات من المعادن بعناية لجعل الشفرات والنصال معتدلة الصلابة والمتانة حتى بعد استخدام النحاس لهذا الغرض. واستخرج المصريون الرصاص من منطقة جبل الرصاص، وعمدوا على إدخال صناعته إلى التماثيل الصغيرة وأثقال شبكة الصيد. وكان النحاس هو أكثر المعادن الهامة لصنع الأدوات في مصر القديمة، وكانت تصهر في أفران من المرمر الخام المستخرج من سيناء. وجمع العمال الذهب بغسل كتل الذهب لتصفيته من الشوائب وأخذ الرواسب، أو – في بعض الأحيان – عن طريق تكرير عملية طحن كتل الذهب وغسلها لتفريقها عن الكوارتز. أما رواسب الحديد فتم العثور عليها في مصر العليا، ولم تستخدم إلا في العصر المتأخر. وكانت أحجار البناء عالية الجودة توجد بوفرة في مصر؛ كما وجد المصريون القدماء الحجر الجيري على طول وادي النيل، والجرانيت من أسوان، والبازلت والحجر الرملي من أودية الصحراء الشرقية. انتشرت رواسب أحجار الزينة مثل الرخام السماقي والأحجار الرملية، والمرمر والكارملين في أنحاء

الصحراء الشرقية، وجمعت حتى قبل نشأة الأسرة الأولى. وفي الفترتين البطلمية والرمانية، استخرج عمال المناجم الزمرد في منطقة وادي سيكات، وحجر الجمشت الكريم من وادي الهدي.

◆ التجـارة :

تعامل المصريون القدماء بالتجارة مع الدول الخارجية المجاورة للحصول على السلع الغريبة النادرة التي لا توجد في مصر. وبدأت التجارة مع النوبة في عصر ما قبل الأسر لجلب الذهب والبخور. أقاموا أيضاً نشاطاً تجارياً مع فلسطين، حيث اتضح من نمط أباريق الزيت الفلسطينية التي وجدت في قبور فراعنة الأسرة الأولى. واستمرت مستعمرة مصرية في جنوب كنعان حتى قبل الأسرة الأولى بقليل. وقام الملك نارمر بتصدير الفخار المصري المنتج في كنعان إلى مصر. ومع بداية حكم الأسرة الثانية، تاجر المصريين في جبيل وأصبحت مصدراً حيوياً لنوعية الأخشاب غير الموجودة في مصر. وبعد تولي الأسرة الخامسة الحكم، وفرت بلاد بنط للمصرين الذهب، والراتنجات المعطرة وخشب الأبنوس والعاج، وبعض الحيوانات البرية مثل القردة والرباح. واعتمدت مصر في القصدير على الأناضول، حيث وردت لهم كميات كبيرة من القصدير وامدادات ضرورية من النحاس اللذان يعتبران ضرورياً لصنع البرونز. وقد اهتم المصريون بحجر اللازورد الأزرق وقدروا قيمته، غير أنه تطلب الحصول عليه جلبه من أفغانستان البعيدة. وشملت قائمة شركاء المصريين في البحر الأبيض المتوسط اليونان وكريت، اللذان قدما سلع وإمدادات كان أهمها زيت الزيتون. وفي مقابل الواردات الفاخرة والمواد الخام التي استوردتها مصر، صدرت مصر بشكل رئيسي الحبوب، والذهب، والكتان، وورق البردى، إضافة إلى السلع تامة الصنع كالمواد المصنوعة من الحجارة والزجاج.



المنظر من مقبرة "خنوم حتب الثانى "حاكم اقليم بنى حسن بالمنيا ،خلال عصر الأسرة الثانية عشرة (الدولة الوسطى) يوضح زيارة بعض الفلسطينيين للاقليم بقيادة شخص يدعى ابشاى بغرض التبادل التجارى

◆ اللغة المصرية :

◂ التطور التاريخي :

تصنف اللغة المصرية كلغة شمال أفرو آسيوية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبربرية واللغات السامية. ولها تاريخ أطول من أي لغة على وجهه الأرض، حيث كُتبت من ٣٢٠٠ ق.م إلى العصور الوسطى والمتبقية، وظلت تنطق لفترة أطول بعد توقف كتابتها. وقد تطورت اللغة المصرية ومرت بمراحل عدة، فبدايةً كانت اللغة المصرية القديمة، ثم أصبحت المصرية الوسطى، وبعد ذلك ظهرت اللغة المصرية المتأخرة، ثم الديموطيقية والقبطية. ولا تُظهر الكتابات المصرية أي اختلافات قبل القبطية، ولكنها كانت على الأرجح منطوقة في جميع أنحاء ممفيس وطيبة.

وكانت تعتبر المصرية القديمة لغة اصطناعية، إلا أنها تحولت لاحقاً وأصبحت أكثر تحليلية. ثم طور المصريون القدماء المواد السابقة المحددة وغير المحددة التي تحل محل تصريف اللواحق القديمة. وقد حدث بالإضافة لما سبق تغيّر في ترتيب الجمل فمن "فعل فاعل مفعول به" إلى "فاعل فعل مفعول به".

◆ الكتابة :

◀ الهيروغليفية المصرية :

تعود الكتابة الهيروغليفية إلى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد، وتتألف من خمسمائة رمز تطورت مع الزمن، ويمكن للرمز الهيروغليفي الواحد أن يمثل صوتاً أو كلمة أو أو شيء محدد صامت. أو قد يخدم ايضاح أمور أخرى في سياقاتٍ مختلفة. وكانت الهيروغليفية كتابة رسمية مستخدمة على النصب التذكارية الحجرية للفراعنة وفي قبورهم، وفي النصوص الدينية. وكانت على درجة عالية جداً من الدقة في الوصف فكان في قواعدها المثني والجمع. أما في اليوميات فقد استخدمت الأحرف الهيراطيقيّة لسهولتها وسرعتها، بينما كانت الهيروغليفية رسمية.

◀ هيرغليفية مصرية هيراطيقية :

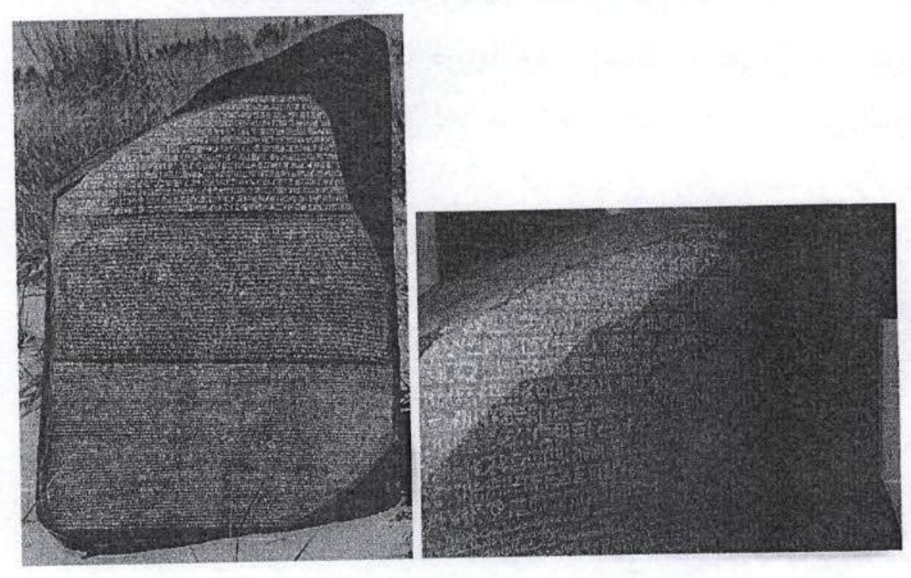
في الكتابات اليومية؛ استخدم الكُتاب شكل الأحرف المطبعية المتصلة في الكتابة وتدعى الهيراطيقية؛ وهي أسرع وأسهل. وبينما يمكن قراءة الكتابة الهيروغليفية الرسمية ضمن صفوف أو أعمدة وفي أي من الاتجاهين (على الرغم من جرت العادة بالقراءة من اليمين إلى اليسار)، كانت الهيراطيقية دائماً مكتوبة من اليمين إلى اليسار، وعادة في صفوف أفقية. ثم ظهر لاحقاً شكل جديد من أشكال الكتابة أطلق عليها الشعبية أو "الديموطيقيّة"، وأصبح أسلوبها هو أسلوب الكتابة السائد، – بالإضافة إلى الهيروغليفية الرسمية – التي صاحبت النص اليوناني على حجر رشيد. في حوالي القرن الأول الميلادي، بدأت الأبجدية القبطية تستخدم جنباً إلى جنب مع الكتابة الشعبية. والقبطية هي أبجدية إغريقية مع إضافة بعض العلامات والرموز الديموطيقية. وعلى الرغم من أن الهيروغليفية كانت مستخدمة في دورٍ شرفي حتى القرن الرابع الميلادي، لم يكن يقرأها سوى عددٌ قليلٌ من

وتحولت واستبدلت في نهاية المطاف الهيروغليفية المصرية والهيراطيقية والكتابات المحلية إلى أبجدية أكثر صوتية هي الأبجدية القبطية. ولا يزال يستخدم القبط هذه الأبجدية في قداسات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، بل وتركت أثراً في اللهجة العربية المصرية.

الأصوات وقواعد اللغة :

لدى اللغة المصرية القديمة ٢٥ ساكناً مماثلاً لجميع سواكن اللغات الأفرو-آسيوية. وقد شملت الحروف الساكنة المشددة والحلقية، والأوقاف الصوتية والغير صوتية، بالإضافة للحروف الاحتكاكية بغير صوت والأصوات الساكنة والغير صوتية. كما تشمل ثلاث أحرف علة طويلة وثلاث قصيرة، والتي توسعت لاحقاً إلى نحو تسعة. ويتشابه أصل الكلمة الأساسية المصرية بالسامية والبربرية، وهو جذر ثلاثي أو ثنائي الحروف الساكنة وشبه الساكنة وتضاف اللواحق لتُكون الكلمات. واقتران الفعل يتوافق مع شخص؛ على سبيل المثال؛ الهيكل الثلاثي الساكن (س – م – ع) هو الجوهر الدلالي لكلمة 'سمع' ؛ الاقتران الأساسي هو 'يسمع'. إذا كان الفاعل هو اسماً فلا تضاف اللواحق إلى فعل: 'تسمع المرأة'. وقد اشتقت الصفات من الأسماء في عملية أطلق عليها علماء المصريات اسم نيسباشين لتشابها مع النحو العربي. وتكون الكلمة على نظام يكون فيه (المُسند – الفاعل) في الجمل اللفظية والوصفية، و(الفاعل – المُسند) في الجمل الاسمية والظرفية. ويمكن أن يُنقل الفاعل إلى بداية الجملة إذا كان طويل ويليها الضمير العائد. تبطل الأفعال والأسماء بحرف ن، في حين يستخدم (ن – ن) في الجمل الظرفية والوصفية. ويقع التشديد أو النبر على المقطع اللفظي الأخير أو قبل الأخير.

الكهنة. وفي الوقت الذي تم فيه حل المؤسسات الدينية التقليدية، فُقدت تقريباً المعرفة بالكتابة الهيروغليفية. وترجع محاولات فك تلك النصوص إلى التاريخ البيزنطي والعصر الإسلامي في مصر، ولكن كانت القفزة النوعية في سنة ١٨٢٢، بعد اكتشاف حجر رشيد الذي أدى لسنوات من البحث من قبل توماس يونج وجان فرانسوا شامبليون تم حل طلاسم الهيروغليفية كاملة تقريبا.



حجر رشيد كتب ١٩٦ قبل الميلاد، تمكن بواسطته شامبليون فك الكتابة الهيروغليفيفية

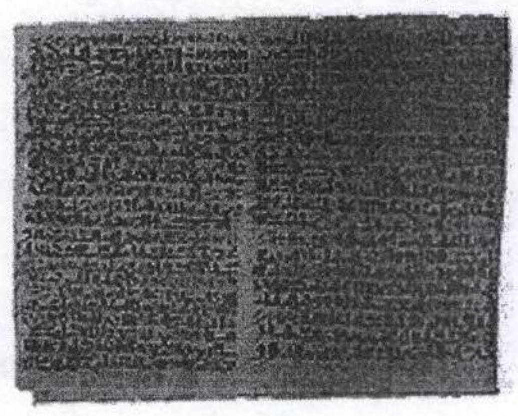
◆ الأدب

◄ أدب مصري قديم :

ظهرت الكتابة لأول مرة مع الملكية؛ على العلامات والتسميات للمواد التي وجدت في المقابر الملكية. كان هذا في المقام الأول هو مهنة الكُتاب، الذين عملوا من مؤسسة مفتاح الحياة أو دار الحياة. وقد ضم الأخير مكاتب ومكتبات سميت (دار الكتب) ومعامل ومراصد فلكية. وكانت أشهر قطع الأدب

المصري القديم مثل نصوص الأهرام ونصوص التوابيت مكتوبة بالكلاسيكية المصرية. من الأدب المصري القديم ظهر الحكيم بتاح حتب الذي كتب وصايا في الأخلاق والتعامل، يعتبر كتابه في الحكمة (تعاليم بتاح حتب) أول كتاب في تاريخ البشرية عن الأخلاق وحسن السلوك. عاصر بتاح حتب الملك جد كا رع (٢٤١٤-٢٣٧٥ قبل الميلاد ، من الأسرة الخامسة) وعمل وزيراً له. استمرت الكتابة الهيروغليفية الكلاسيكية بكونها لغة وطريقة الكتابة حتى حوالي ١٣٠٠ ق.م. وبالنسبة لقواعد اللغة فقد وصلت ذروتها خلال الدولة الوسطى؛ ومعها كثرت الكتابة على البردي باستخدام شكل أخر من اللغة المصرية والذي بدأ في الدولة الحديثة وفيما تلى، وقد تمثل هذا الشكل الحديث في وثائق راميسيد الإدارة، وقصائد الحب والقصص، بل وحتى النصوص الشعبية والقبطية. وخلال هذه الفترة، تطورت تقاليد الكتابة إلى السيرة الذاتية الشخصية على القبور، مثل تلك التي في حرخوف ووينى. وقد وضع النوع المعروف باسم سابيت (تعاليم) لرصد التعليمات والتوجيهات من أشهر النبلاء؛ وتعد بردية إيبوير قصيدة بُكائية التي عهدت على وصف الكوارث الطبيعية والاضطرابات الاجتماعية مثال شهير على هذا النوع. وتعد قصة سنوحى التي كتبت باللغة المصرية الوسطى، من كلاسكيات الأدب المصري القديم. وشهدت هذه الفترة أيضاً كتابة بردية وستكار، وهي عبارة عن مجموعة من القصص تُروى إلى خوفو من أبناؤه بخصوص الكهنة والمعجزات على يدهم في هذا الوقت. كما تعد تعاليم أمينموبي تحفة من الأدب الشبه شرقي. وقبيل نهاية عهد الدولة الحديثة؛ استخدمت اللغة المصرية الحديثة التي كانت بمثابة لغة عامية لسابقتها في كتابة نصوص شعبيه شهيرة مثل قصة وينامون وتعاليم آني. وتحكى قصة وينامون عن نبيل سُرق وهو في طريقه لشراء خشب الأرز من لبنان، وعن صراعه من أجل العودة إلى مصر. وابتداءاً من القرن السابع قبل

الميلاد تقريباً، أصبح سرد القصص والتعاليم كتعاليم أونكشوشونكي الشهيرة، وكذلك الوثائق الشخصية والتجارية بالطريقة الديموطيقية المصرية. وكانت العديد من القصص المكتوبة بالديموطيقية خلال الحقبة (اليونانية – الرومانية)؛ كانت تتحدث عن فترات تاريخية سابقة عندما كانت مصر دولة مستقلة يحكمها أشهر الفراعنة مثل رمسيس الثاني.



إدوين سميث على ورق البردي الجراحية (حوالي ١٦ قبل الميلاد القرن) المكتوب يصف التشريح والتداوي .

◆ الثقافة :

◆ الحياة اليومية :

حفظ المصريون القدماء تراثاً ثقافياً غنياً مارسوه في الأعياد والمهرجانات المصحوبة بالموسيقى والرقص. فقد اشتهر المصريون في العصر الفرعوني بحبهم للموسيقى والإقبال عليها واستخدامها في تربية النشئ وفى الاحتفالات الخاصة والعامة خاصة في الجيش، كذلك استخدموها في الصلاة ودفن الموتى.

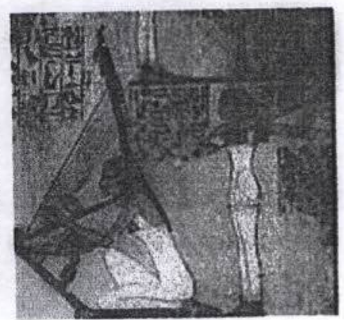
معظم المصريين الفراعنة كانوا يمتهنون الرزراعة وكانوا مرتبطين بالأرض

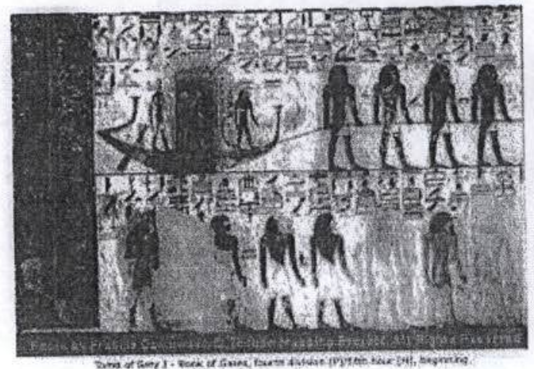
وكانت لهم علاقات وثيقة بكل ما يتعلق بها من نبات وحيوان، وكانوا يسكنون منازل وبيوت شديدة الخصوصية، تقتصر فقط على أفراد الأسرة الواحدة، استخدم في بنائها الطوب اللبن من أجل الإبقاء عليها باردة في حرارة النهار. واتسمت بأن لكل منزل مطبخ مفتوح السقف، يتضمن غالباً أدوات منها "حجر الرحى" لطحن الحبوب لعمل الدقيق، وفرن صغير لصنع الخبز. طليت جدران تلك البيوت باللون الأبيض ، وكانت تغطيها أغلب الأوقات ستائر من الكتان، وتغطى الأرضيات بحصيرٍ من القصب، أما الأثاث في حين يتألف الأثاث من كراسى خشبية وأسرَّة ترفع من الأرض ومائدة فردية؛ جميعها مصنوعة من الخشب. اهتم المصريون القدماء بدرجة كبيرة بالنظافة والمظهر. وكانت مياه نهر النيل هي حوض الاستحمام الرئيسي لديهم؛ مستخدمين صابوناً مصنع من الطباشير والدهن الحيواني والزيوت العطرية. واعتاد الرجال حلق كل أجسادهم بغرض النظافة، واستخدموا الزيوت العطرية لتغطية روائح الجسد. وكانت جميع الملابسه مصنوعه من الكتان البسيط، ويلغب عليها اللون الأبيض. وقد لجأ كلّ من رجال ونساء الطبقة الحاكمة إلى ارتداء الشعر المستعار والمجموهرات ومستحضرات التجميل كنوعاً من التجمُل. بينما لم يرتد الأطفال الملابس حتى بلوغ الثانية عشر من العمر؛ وهو سن البلوغ والنضوج لدى قدماء المصريين، ويتم أيضاً إجراء مراسم الختان والبدء في حلق شعر الرأس لدى الذكور في هذا السن. وكانت الأم هي المسؤولة عن رعاية الأطفال، بينما تقع مسؤولية الأب على تزويد الأسرة بالمال.

وكانت الموسيقى والرقص ترفيهاً شعبياً ومنتشر لأفراد الطبقة المتوسطة ومافوقها. وشملت الأدوات الموسيقية بدايةً المزامير والعيدان، قبل أن تتطور لاحقاً وتنتشر الأبواق وأنابيب القرع وتصبح أدوات شعبيه ومنتشرة. في عصر

الدولة الحديثة؛ استخدم المصريون الجرس والصنج والدف والطبلة والعود في العزف، واستوردوا القيثارة من آسيا. وكانت الآلات الشبه جلجلية مثل الصلاصل تستخدم بشكل مهم في المراسم والإحتفالات الدينية. تمتع المصريون القدماء بمجموعة متنوعة من الأنشطة الترفيهية، بما فيها الألعاب والموسيقى. فكانت لعبة سينيت من أوائل الألعاب لدى المصريين القدماء، وظهرت بعدها لعبة أخرى تدعى ميهين، وكلاهم ألعاباً لوحية تلعب على لوح. أما ألعاب الزهر والألعاب الكروية فكانت شائعة عند الأطفال، وتم أيضاً توثيق المصارعة كلعبة كما وجد في قبر بني حسن. بينما استخدم أغنياء المجتمع المصري القديم الصيد وركوب القوارب كنوع من الترفيه.

ساعدت الحفريات والاكتشافات في القرية العمالية دير المدينة بصعيد مصر، على الحصول على معلومات دقيقة عن الوضع الاجتماعي لدى قدماء المصريين في تلك القرية والتي استمر لأكثر من ٤٠٠ سنة. حيث أسهمت تلك الحفريات ودراستها عن معلومات في الجانب الاجتماعي والتنظيم والعمل وظروف المعيشه لم تكتشف في جميع الحفريات والاكتشافات الأخرى بهذا التفصيل الدقيق. وفيما يلي صور توضح المظاهر المختلفة للحياة اليومية للمصريين القدماء:





Tomb of Sety I - Book of Gates, fourth division (P)/5th hour (H), beginning

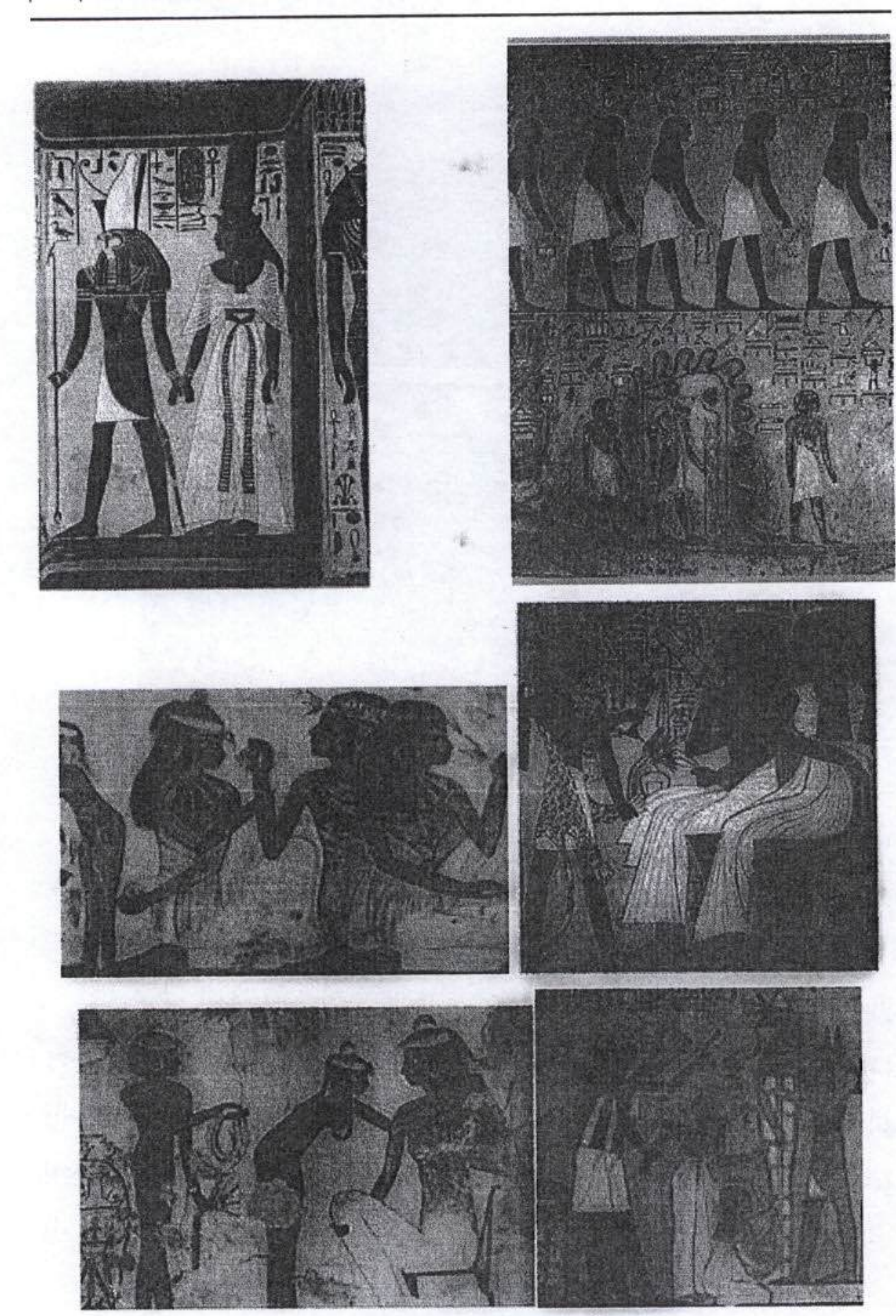


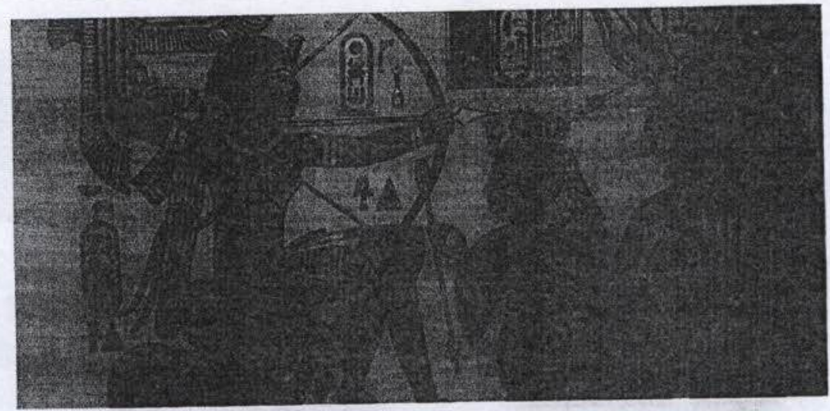
مصريات بآلات موسيقية

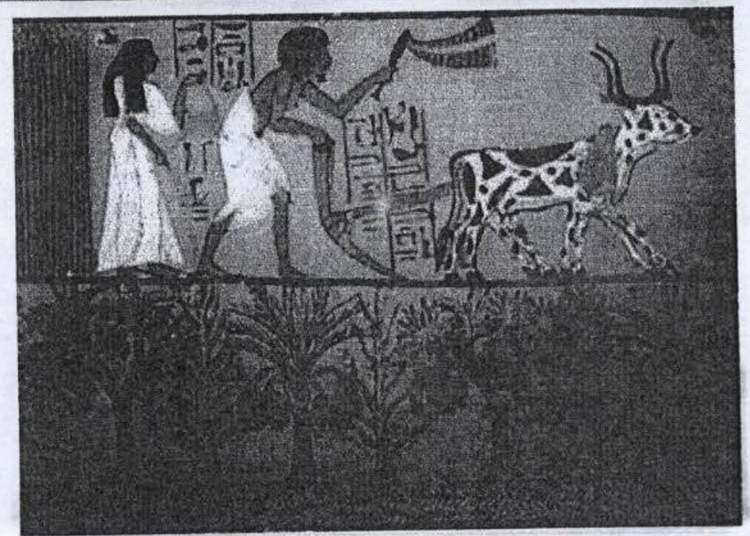


حافظ المصريون القدماء تراثاً ثقافياً غنياً الكامل

مع الأعياد والمهرجانات المصحوبة بالموسيقى والرقص.







◄ الملابس والزينة :

عرف المصريون التزين بالحلى، وتميزت مصنوعاتهم بالدقة الفنية العالية وجمال التشكيل، واستمدت العناصر الزخرفية من الطبيعة مثل نبات البردى والنخيل وزهرة اللوتس والأحجار الكريمة، واستخدموا التمائم التى اعتقدوا أنها تحميهم من قوى الشر، وحرصت المرأة بصفة خاصة على الإهتمام بزينتها واستخدمت الكحل والأساور والعقود والخواتم والقلائد والحنة.

كما اختلفت الملابس فى مصر الفرعونية من طبقة إلى أخرى، وكانت الملابس تصنع من الكتان الناعم أو من الأقمشة الحريرية المستوردة من بلاد سوريا القديمة، كما تنوعت الملابس باختلاف المناسبات.

◂ المطبخ المصري القديم :

حافظ المطبخ المصري القديم على استقرار نسبي لفترات طويلة على مر الزمن، حتى أنه ما زالت توجد تشابهات بين المطبخين الحديث والقديم. تألف النظام الغذائي الشعبي من الخبز وبيرة الشعير، وتكون الخضروات مثل البصل والثوم، والفاكهة مثل التمر والتين كإضافات. وينتشر النبيذ واللحم في الأعياد الدينية فقط عند العامة، بينما اعتادت الطبقة الحاكمة عليهم بشكل أكثر انتظاماً. وأكل السمك واللحم والدجاج بأكثر من طريقة؛ حيث جففت وطبخت وشويت على شوايات.

❖ الفنون المصرية القديمة :

عند الحديث عن الفن في مصر القديمة يجب علينا أن نطلع عليه من الجوانب التالية: – العمارة – النحت في الدولة القديمة والدولة الوسطى والإمبراطورية. وفي عهد الملوك الساويين – النقوش الغائرة – التصوير – الفنون الصغرى – الموسيقى.

فقد كان الفن أعظم عناصر هذه الحضارة؛ فنحن نجد في هذه البلاد، وفي عهد يكاد يكون عهد بداية الحضارات؛ فناً قوياً ناضجاً أرقى من فن أية دولة حديثة، ولا يضارعه إلا فن اليونان. لقد كان ما إمتازت به مصر في أول عهودها من عزلة وسلم، ثم ما تدفق فيها بعدئذ من مغانم الظلم والحرب في عهد تحتمس

الثالث ورمسيس الثاني؛ مما أتاح لها الفرصة المواتية والوسائل الكفيلة بتشييد المباني الضخمة، ونحت التماثيل المتينة، والبراعة في عدة فنون أخرى صغيرة، كادت تبلغ حد الكمال في هذا العهد السحيق. وإن المرء ليقف حائراً مشدوهاً لا يكاد يصدق ما وضعه الباحثون من نظريات لتطور الرقي البشري إذا نظر إلى منتجات الفن المصري القديم.

وكانت العمارة أفخم الفنون المصرية على الإطلاق، وذلك لما تجمّع فيها من روعة وضخامة وصلابة وجمال ومنفعة. وقد بدأ هذا الفن بداية متواضعة بتزيين المقابر ونقش الوجهة الخارجية لجدران المنازل. وكانت كثرة المساكن تبنى من الطين تتخللها في بعض الأحيان أعمال بسيطة من الخشب (كالنوافذ الشبكية اليابانية أو الأبواب الجميلة الحفر)، والسقف المقامة على جذوع النخل السهلة العلاج. وكان يحيط بالدار عادة سور يضم فناء، تصعد منه درج إلى سطح البيت؛ ومنه ينزل السكان إلى الحجرات. وكان للموسرين من الأهلين حدائق خاصة يعنون بتنسيقها؛ وكان في الحواضر حدائق عامة للفقراء، ولا يكاد يخلو بيت من أزهار الزينة. وكانت جدران المنزل تزين من الداخل بحُصر ملوّنة، وتفرش أرضه بالطنافس؛ إذا كان رب الدار ذا سعة. وكان السكان يفضلون الجلوس على هذه الطنافس عن الجلوس على الكراسي. وكان المصريون في عهد الدولة القديمة يتناولون الطعام وهم جالسون مرتبعون وأمامهم موائد لا يزيد إرتفاعها على ست بوصات كما يفعل اليابانيون في هذه الأيام، وكانوا يأكلون بأيديهم على طريقة شكسبير؛ فلما كان عهد الإمبراطورية وقل ثمن العبيد أصبح أفراد الطبقات العليا يجلسون على كراسي عالية ذات وسائد، ويقدم لهم خدمهم أصناف الطعام صنفاً بعد صنف.

◆ العمارة المصرية القديمة :

العمارة في مصر القديمة هي الهندسة المعمارية المستخدمة في البناء والتشييد في نواحي عدة من تصاميم هندسية وأدوات وطرق مستخدمة في عملية البناء بمصر القديمة فقد أجمع المؤرخين وعلماء المصريات أن المصريين القدماء هم البناة الأوائل، وأبنيتهم هي من علمت الإنسانية كيفية تصميم وتشيد المباني، وأرست بذلك الأسُس الحضارية للإنسان. فقد وصل قدماء المصريين إلي مستويات عالية لا مثيل لها في التصميم المعماري وهندسة البناء. حتى الآن لا يزال من الصعب تصور كيف يمكن أن تكون كل هذه المباني والمنشآت التي أقيمت علي مستوى عال من الكمال والدقة باستخدام أدوات بدائية لا تضاهى الآلات والمعدات الحديثة. وقد شملت العمارة المصرية القديمة على بعض المعالم الأكثر شهرةً في العالم، أهمها كانت أهرامات الجيزة ومعبد الكرنك في طيبة. وكانت الدولة هي المسؤول والممول لمشاريع البناء، إما للأغراض الدينية والاحتفالية أو لتعزيز وإظهار سلطة وقوة الفرعون. احترف المصريون القدماء حرفة البناء، واستطاع المعماريون ببناء بنايات حجرية ضخمة ذات تفاصيل دقيقة باستخدام أدوات بسيطة وفعالة في نفس الوقت.

◆ خصائص العمارة :

إنبثقت الهندسة المعمارية في مصر القديمة من خاصية ذات أهمية كبير وهي الخلود بعد الموت لأن المصري القديم كان يؤمن بالبعث والعودة بعد الموت، فأهتم ببناء المقابر والمعابد الجنائزية علي مر العصور الفرعونية. وقد عاش الفلاحون في منازل بسيطه، في حين أن القصور الكبيرة ذات التفاصيل المعمارية الدقيقة كانت للطبقة الحاكمة والنخبة. استطاع عدد قليل من قصور الطبقة

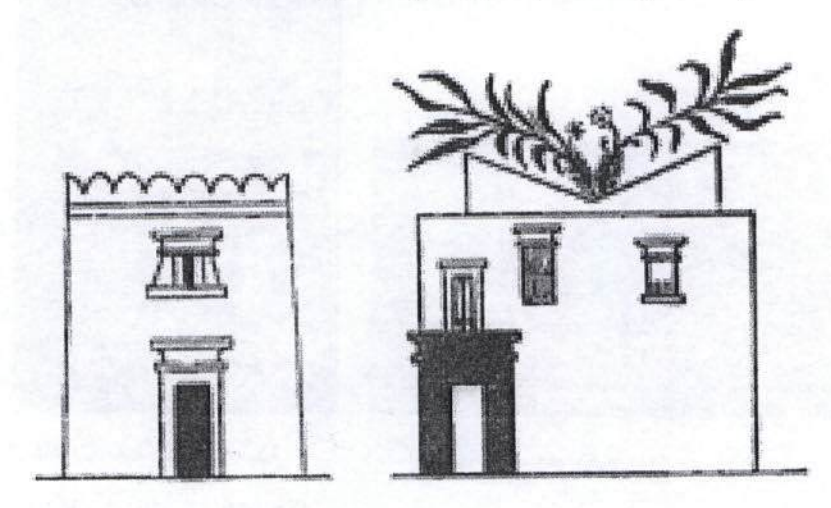
الحاكمة في المملكة الجديدة من الصمود جزئياً، مثل تلك القصور الموجودة في مالكاتا وتل العمارنة، ووجد بها تفاصيل دقيقة وغنية بالزينة والصور لأشخاص وطيور وبرك مياه وآلهة وتصاميم معمارية وهندسية. بينما بُنيت المعابد والبنايات الهامة بغرض البقاء إلى الأبد من الحجر بدلاً من الطوب اللبن. ومن أجل هذا فإن القصور كانت تطل على النيل والتي لم يكد يخلو ميل من واحد منها في أيام أمنحوتب الثالث قد تهدمت كلها وعفت آثارها على حين أن أضرحة الآلهة ومقابر الموتى قد بقيت إلى أيامنا هذه.

ولما جاءت الأسرة الثانية عشرة لم يعد الهرم الطراز المحبب لمدافن الأموات، ولهذا إختار خنوم حوتب حوالي ١١٨٠ق.م. لمدفنه عند بني حسن شكلاً أهدأ من أشكال الهرم وهو قبر ذو عمد في أحضان الجبل؛ وما كادت هذه الفكرة تثبت وتستقر حتى إتخذت آلاف الأشكال المختلفة بين التلال الممتدة على جانب النيل الغربي. وهكذا خرجت من رمال مصر ما بين عهد الأهرام والعهد الذي شيد فيه هيكل حتحور عند دندرة – أي في خلال ثلاثة الآلاف عام أو نحوها – ضروب من العمائر المختلفة لم تفقها قط عمائر أية حضارة من الحضارات الأخرى.

◄ أدوات البناء :

استخدم المصريين القدماء الحجر وخاصة حجر الجرانيت كخامة أساسية في البناء. وكانت أحجار البناء أغلى من أن تستخدم في تشييد المنازل؛ ولهذا كانت من مواد الترف الخاصة بالكهنة والملوك. وحتى النبلاء أنفسهم – وهم الطائفة الكثيرة الطموح – آثروا المعابد بأكبر قسط من الثروة وبأحسن مواد البناء؛ لكن لم تصمد مع ذلك المنازل الشخصية للمصريين القدماء حتى الآن سواء كانوا

من الطبقة الحاكمة والنخبة أو العمال وغيرهم، حيث استعملوا مواد سريعة التلف وغير قوية مثل الطين اللبن والخشب للتخفيف من درجة الحرارة. وبسبب قلة الأخشاب كانت مواد البناء المستخدمة في مصر القديمة الطوب اللبن والحجر، والحجر الجيري، والحجر الرملي، والجرانيت بكميات كبيرة. ومن عصر الدولة القديمة وما بعدها، فكانت الأحجار تخصص بشكل عام لبناء للمقابر والمعابد، في حين تم استخدام الطوب في القصور الملكية والحصون.



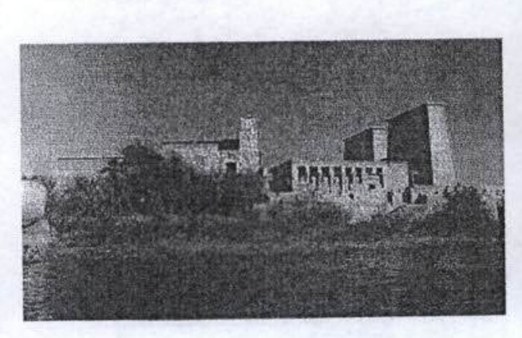
تخطيط المنازل في مصر القديمة

بنيت المنازل في مصر القديمة من الطين الذي جمع من النيل ووضع في قوالب وترك ليجف تحت أشعة الشمس الحارقة حتي تقسي لإستخدامها في البناء. والعديد من المدن المصرية اختفت بسبب قربها من المساحة المزروعة من وادي النيل وغمرت بالمياه وارتفعت ببطء خلال آلاف السنين، والبعض الآخر يتعذر الوصول إليه. المناخ الجاف الحار في مصر حافظ علي بنيات الطوب اللبن. ومن الأمثلة على ذلك: قرية دير المدينة، وبلدة المملكة الوسطي في اللاهون،

والحصن في بوهين ومرجسا. وقد نجت العديد من المعابد والمقابر لأنها بنيت على أرض مرتفعة حتي لا تتأثر بفيضانات النيل وشيدت من الحجر. وهكذا، يستند فهمنا للعمارة المصرية القديمة بشكل رئيسي على المعالم الدينية والبنايات الضخمة التي تتميز بجدرانها السميكة، المنحدرة مع فتحات قليلة، مكرراً ربما الطريقة التي تم استخدامها للحصول على الاستقرار في الجدران الطينية.



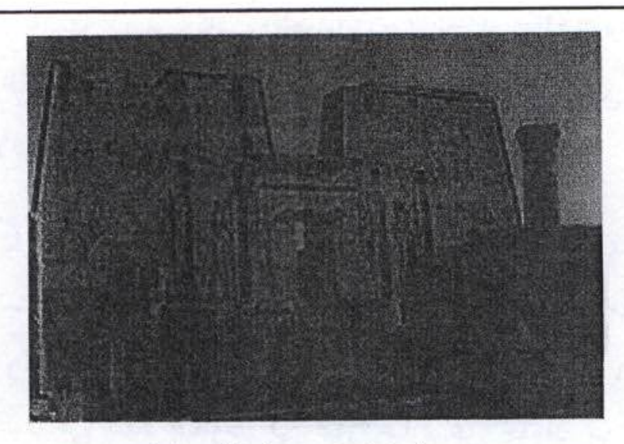
قاعات معبد الكرنك مبنية بصفوف من الأعمدة الكبيرة.



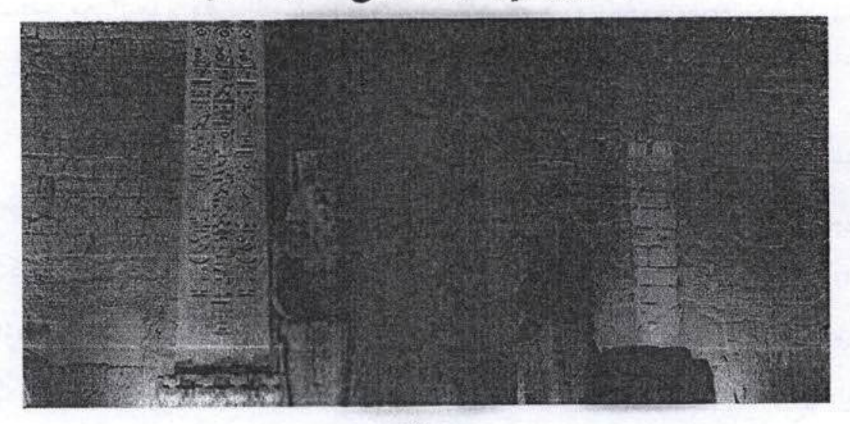
معبد فيلة



معبد أبو سمبل الصغير



معبد حورس في إدفو هو نموذج للعمارة المصرية



معبد الكرنك

تتكون المعابد المصرية القديمة الأولى الباقية مثل تلك التي في الجيزة؛ من قاعات مغلقة فردية مع ألواح سقف مدعمة بالأعمدة. تطورت الهندسة في عصر الدولة الحديثة، وأضاف المعماريون الصرح والساحات المفتوحة والبهو واعتمدوا هذه التصاميم حتى دخول العصر (اليوناني – الروماني). اشتهرت القبور ذات تصميم المصطبة في الفترات الأولى من مصر القديمة، وهي مبنى مستطيل الشكل ذو سطح مسطح مبني من الطوب اللبن أو الحجر يغطي تحته غرفة الدفن والتي توجد تحت الأرض. هرم زوسر المدرج مثلاً هو عبارة عن ستة مساطب

حجرية فوق بعضها البعض. كانت الأهرامات هي التصاميم الشائعة لمقابر الفراعين في الدولة القديمة والوسطى قبل أن يتخلى عنها الحكام اللاحقين لصالح المقابر الصخرية الأقل ظهوراً.

♦ نماذج معمارية (المباني الهرميّة) :

كانت طريقة الدفن قد بدأت لدي قدماء المصريين من مقابر قديماً إلي الأهرامات (٢٩٢٠–٢٧٧٠) ق.م. وفي الفترة (٢٧٧٠–٢٦٤٩) ق.م كان الملوك يدفنون في بلدة أبيدوس في قبور عبارة عن جدران من الطوب فوقها مصطبة من الرمل. وفي الفترة (٢٦٤٩–٢٥٧٥) ق.م. كان الملوك يدفنون تحت مصطبة من الطوب اللبن.

بنيت الأهرامات في مصر وعددها (٩٠/١٠٠) هرم على خط مستقيم واحد يمتد من أبو رواش بالجيزة حتى هوارة على مشارف الفيوم. وهي بنايات ملكية بناها قدماء المصريين في الفترة (٢٦٣٠ – ١٥٣٠) ق.م. وقد تدرج بناؤها من هرم متدرج كهرم زوسر بسقارة إلي هرم مسحوب الشكل في شكل هرمي كأهرامات الجيزة. حيث أن الملك زوسر الذي حكم تقريباً في الفترة (٢٦٣٠/٢٦٤٠– ٢٦١١) ق.م؛ بني هرمه المدرج بسقارة وهو عبارة عن مصطبة مربعة مساحتها كبيرة ويعلوها مصاطب متدرجة المساحة مكونة هرماً يعلوها. ويتكون من ٦ مصاطب. وقد صممه الوزير المعماري أمنحتب. ثم أخذ الملوك يبنون مصاطبهم من الحجارة. وأول من بني هرماً حقيقياً كان الملك سنفرو في بلدة دهشور. وبني الملك خوفو الهرم الأكبر أحد عجائب الدنيا السبع.

كانت الأهرامات المصرية مقابر للملوك والملكات، وكانت تبنى المعابد بجوارها ليساعد الكهنة الروح الملكية لتسير فيما بعد الحياة. وفي المملكة

القديمة **Old Kingdom** (٢٥٨٥– ١٦٤٠) ق.م كان الفنانون المصريون ينقشون بالهيروغليفية علي جدران حجرة الدفن للمومياء الملكية نصوصاً عبارة عن تعليمات وتراتيل يتلوها أمام الآلهة وتعاويذ لتحرسه في ممره لما بعد الحياة. وهذه النصوص عرفت بنصوص الأهرام **Pyramid Texts**. وإبان عصر هذه المملكة القديمة بنيت الأهرامات الكبيرة من الحجر لكن مع الزمن قل حجمها لأنها كانت مكلفة. لهذا نجد في المملكة الوسطي **Middle Kingdom** (٢٦٣٠–١٦٤٠) ق.م كانت تبني بالطوب اللبني من الطين. وكانت أضلاع الأهرام الأربعة تتعامد مع الجهات الأصلية **cardinal directions** الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب). ومعظم الأهرامات شيدت بالصحراء غربي النيل حيث خلفها تغرب الشمس. لأن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن روح الملك الميت تترك جسمه لتسافر بالسماء مع الشمس كل يوم. وعندما تغرب الشمس ناحية الغرب تعود الروح الملكية لمقبرتها بالهرم لتجدد نفسها. وكان مداخل الأهرمات في وسط الواجهة الشمالية من الهرم. ويرتفع مدخل الهرم الأكبر ١٧ متراً من فوق سطح الأرض حيث يؤدي لممر ينزل لغرفة دفن الملك. وقد تغير تصميم الأهرامات مع الزمن. لكن مدخلها ظل يقام جهة الشمال ليؤدي لممر ينزل لأسفل وأحيانا يؤدي لغرفة دفن الملك التي كانت تشيد في نقطة في مركز قاعدة الهرم. وأحياناً كانت تقام غرف مجاورة لغرفة الملك لتخزين مقتنياته والأشياء التي سيستخدمها في حياته الأخروية ومن بينها أشياء ثمينة؛ مما كان يعرضها للنهب والسرقة. وكان الهرم يبني حوله معابد وأهرامات صغيرة داخل معبد للكهنة وكبار رجال الدولة. وكان متصلاً بميناء على شاطيء النيل ويتصل به عدة قنوات. وكان يطلق عليه معبد الوادي الذي كان موصولاً بالهرم بطريق طويل مرتفع ومسقوف للسير فيه. وكان هذا الطريق يمتد من الوادي خلال الصحراء ليؤدي

لمعبد جنائزي يطلق عليه معبد الهرم وكان يتصل بمركز الواجهة الشرقية للهرم الذي كان يضم مجموعة من الأهرامات من بينها أهرامات توابع وأهرامات الملكات. وكانت هذه الأهرامات التوابع أماكن صغيرة للدفن ولايعرف سرها. وكان بها تماثيل تمثل روح الملك. وكانت أهرامات الملكات صغيرة وبسيطة وحولها معابد صغيرة وكانت مخصصة لدفن زوجاته المحببات له. ويطلق علي هرم الملك خوفو الهرم الأكبر حيث يقع بالصحراء غرب الجيزة بمصر وبجواره هرما الملك خفرع (ابن خوفو) والملك منقرع (حفيد خوفو). وفي الفترة (٢٤٦٥-٢٣٢٣) ق.م. أخذت الأهرامات الملكية لايهتم ببنائها جيداً. وفي عهد المملكة الحديثة (١٥٥٠-١٠٧٠) ق.م. لم يعد ملوكها يدفنون في الأهرامات ونقلوا موقع مقابر الدفن في وادي الملوك حيث عاصمتهم الجديدة الأقصر (طيبة).

♦ أهم الآثار المعمارية :

◄في الدولة القديمة :

كانت أهم المنشآت التي شيدت المصاطب والأهرامات وهي تمثل العمائر الجنائزية. وأول هرم بنى في مصر هرم زوسر ثم هرم ميدوم. وتعد أهرامات الجيزة الثلاثة التي أقيمت في عهد الأسرة الرابعة أشهر الأهرامات وأهمها في مصر الفرعونية. كذلك تمثال أبو الهول الذي تتجلى فيه قدرة الفنان المصري على الإبداع. وتبلغ الأهرامات التي بنيت لتكون مثوى للفراعنة ٩٧ هرماً.

◄فى عصر الدولة الوسطى :

بدأ انتشار المعابد الجنائزية واهتم ملوك الأسرة الـ١٢ بمنطقة الفيوم وأعمال الرى فيها. وأشهر معابد أنشأها ملوك هذه الأسرة معبد اللابرانت أو قصر

التيه كما سماه الإغريق. وقد شيده الملك امنمحات الثالث في هواره. كما شيدت القلاع والحصون والأسوار على حدود مصر الشرقية .

♦عصر الدولة الحديثة :

يعتبر أعظم فترة عرفتها أساليب العمارة والصور الجدارية والحرف والفنون الدقيقة التي تظهر على حوائط بعض المعابد الضخمة المتنوعة التصميمات كالكرنك والأقصر وأبو سمبل. ويعد عهد تحتمس الأول نقطة تحول في بناء الهرم ليكون مقبرة في باطن الجبل في البر الغربي بالأقصر تتسم بالغنى والجمال في أثاثها الجنائزى ويظهر ذلك في مقبرة الملك توت عنخ آمون. وقد عمد فنانو هذه الدولة – للحفاظ على نقوش الحوائط – إلى استخدام الحفر الغائر والبارز بروزاً بسيطاً حتى لا تتعرض للضياع أو التشويه. وآخر ما اكتشف من مقابر وادى الملوك مقبرة أبناء رمسيس الثاني التي تعد من أكبرها مساحة وتحتوى على ١٥مومياء. أما المسلات الفرعونية فقد كانت تقام في ازدواج أمام مدخل المعابد وهي منحوتة من الجرانيت. ومن أجمل أمثله عمائر عصر الإمبراطورية المصرية القديمة معابد آمون وخوفو بالكرنك والأقصر والرمسيوم وحتشبسوت بالدير البحرى والمعابد المنحوتة في الصخر مثل أبو سمبل الكبير وأبو سمبل الصغير.

♦ النحـت :

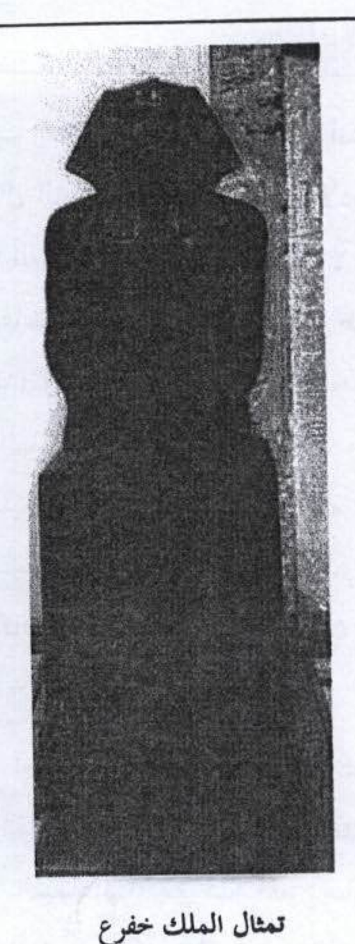
ففي الكرنك والأقصر أيكة من الأعمدة أقامها تحتمس الأول والثالث وامنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني وغيرهم من الملوك ما بين الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثانية والعشرين، وفي مدينة حبو (حوالي ١٣٠٠ق.م) صرح متسع الأرجاء، وإن كان لا يضارع الصروح السالفة الذكر في فخامتها. قامت عليه فيما بعد قرية عربية وظلت جاثمة على صدره عدة قرون.

وفي أبيدوس (العرابة) شيّد هيكل سيتي الأول الذي لم يبق منه إلا خرائب ضخمة قاتمة كئيبة، وفي إلفنتين معبد صغير وهو معبد خنوم الإغريقي الروماني الرائع في دقة بنائه ورشاقته، وفي الدير البحري بهو الأعمدة الذي شيدته الملكة حتشبسوت، وبالقرب منه الرمسيوم وهي أيكة أخرى من العمد والتماثيل الضخام شيّدها المهندسون والعبيد الذين سخرهم رمسيس الثاني، وفي جزيرة فيلة هيكل إيزيس الجميل (حوالي ٢٤٠ ق.م.) المهجور الموحش في هذه الأيام لأن خزان أسوان قد غمر قواعد أعمدته التي بلغت في عمارتها حد الكمال؛ وهذه البقايا القليلة المتفرقة إن هي إلا نماذج من الآثار القديمة التي لا تزال تجمل وادي النيل وتنطق خرائبها نفسها بما كان عليه الشعب الذي شادها من قوة وبسالة.

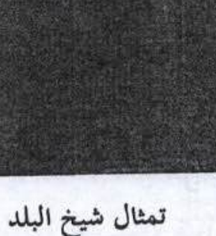
ولعل في هذه الصروح إفراطاً في الأعمدة وتقاربها بعضها من بعض لإتقاء حر الشمس اللافح، ولعل فيها بعداً عن التناسب؛ هو من خصائص الشرق الأقصى، وإفتقاراً إلى الوحدة، وهياماً همجياً بالضخامة كهيام أهل هذه الأيام. فإن كان ذلك كذلك فإن فيها أيضاً عظمة وسمواً وجلالاً وقوة؛ فيها الأقواس والعقود وهي إن قلت فما ذلك إلا لقلة الحاجة إليها، ولكنها من حيث المبادئ التي شُيدت عليها تسير في طريق الإنتقال إلى المبادئ التي شيدت عليها الأعمدة والأقواس في بلاد اليونان والرومان وفي أوربا الحديثة، وفيها نقوش للزينة لا يفوقها غيرها من النقوش في تاريخ العالم كله، وفيها أعمدة على صورة أعواد البردي والأزورد (اللونس)، وأعمدة من الطراز الدوري الأول وأعمدة في صورة نساء، وتيجان للأعمدة منها ما هو في صورة حتحور ومنها ما هو على صورة النخيل؛ وفيها قصور ذات نوافذ قرب السقوف؛ وفيها عتبات فخمة تمتاز بالقوة والثبات اللذين هما روح الجاذبية القوية في فن العمارة.

ومن الناس من يضيف إلى هذا أنهم أيضاً أعظم المثَّالين، فلقد أنشأوا في بداية تاريخهم تمثال أبي الهول ذلك التمثال الذي يرمز إلى الصفات الأدبية التي اتصف بها أحد الفراعنة الأقوياء؛ ولعل هذا الفرعون هو خفرع. والتمثال لا ينُم عن القوة فحسب بل يفصح كذلك عن الصفات الخلقية. ولقد حطمت طلقة من مدافع المماليك أنف التمثال وحلقة لحيته، ولكن ملامحه القوية الضخمة تعبر أحسن تعبير وأقواه عما اتصف به ذلك الملك من قوة ومهابة وهدوء ونضوج، وكلها صفات يجب ألا تفارق الملك. وقد علت هذه الملامح الساكنة ابتسامة خفيفة لم تفارقها منذ خمسة آلاف من السنين، كأنما الفنان المجهول الذي صاغه أو الملك المجهول الذي يرمز التمثال له كان يفهم كل ما يريد الخلق أن يفهموه عن الخلق. والحق أنه هو "موناليزا" من الصخر الأصم.

وما من شيء في تاريخ النحت أجمل من تمثال خفرع المصنوع من حجر ديوريت والذي يقوم الآن في متحف القاهرة. لقد كان هذا التمثال قديماً في أيام هركستليز، حيث قدم هركستليز نفسه بالنسبة إلينا؛ مع هذا فقد إجتاز حقبة من الزمان طولها خمسون قرناً، ثم وصل إلينا ولم تكد تؤثر فيه عوادي الدهر ونوائبه. لقد صنع هذا التمثال من أصلب الحجارة وأشدها إستعصاء على الإنسان، ولكنه ينقل إلينا أكمل ما يكون النقل قوة الملك (أو الفنان) البدنية، وسلطانه وعناده وصلابة رأيه وبسالته وذكائه. ويجلس بالقرب منه تمثال عابس متجهم لملك أقدم من صاحب التمثال الأول عهداً وهو تمثال الملك زوسر المصنوع من حجر الجير. ومن بعده يكشف لك الدليل بعود الثقاب عن شفافية تمثال رائع من المرمر هو تمثال منقرع. ويضارع تمثالا شيخ البلد والكاتب تماثيل الملوك من ناحية الإبداع والإتقان الفني الذي ليس بعده إتقان.



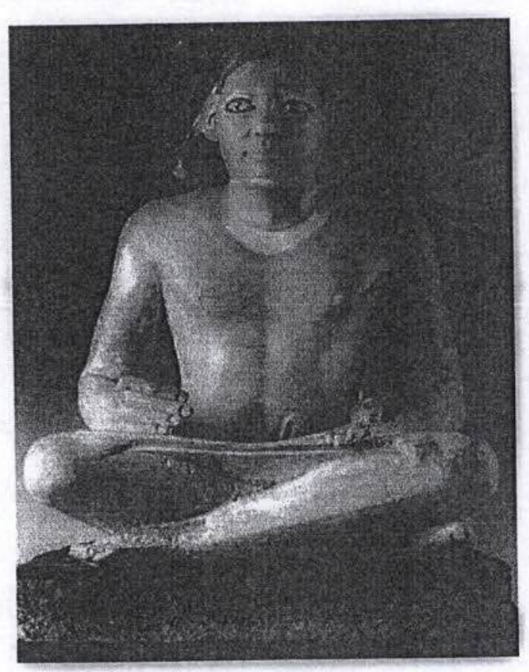
تمثال الملك خفرع

تمثال شيخ البلد

ولقد وصل إلينا تمثال الكاتب في عدة أشكال ، وكلها من عهود لا نعلمها علم اليقين، ولكن أشهرها كلها تمثال الكاتب المتربع المحفوظ في متحف اللوفر. وليس تمثال شيخ البلد لشيخ بحق ولكنه تمثال (مُشرف على الفَعلة) بيده عصا السلطة، يخطو إلى الأمام كأنه يلاحظ عماله أو يصدر إليهم أوامره. ويبدو أن إسمه هو"كعبيرو"، ولكن العمال المصريين الذين أخرجوه من قبره في سقارة قد أدهشهم ما رأوه من تشابه بينه وبين شيخ البلد الذي يسكنونه، فأوحت إليهم فكاهتهم بهذا اللقب الذي إشتهر به والذي لا يزال إلى اليوم ملازماً له. وهذا

التمثال المصنوع من الخشب المعرض للبلى ولكن الزمان لم يقو على تشويه جسمه المليء، أو ساقيه الغليظتين؛ وينم وسط جسمه على ما يتمتع به الملاك في جميع الحضارات من سعة في الرزق وقلة في الكدح، وينطق وجهه المستدير بقناعة الرجل الذي يعرف مكانته ويفخر بها. ويشعرنا رأسه الأصلع وثوبه المتهدل على واقعية الفن الذي كان في ذلك الوقت قد بلغ من القدم درجة أجازت له أن يثور على التقاليد التي جعلت من الفن القديم مثلاً أعلى يحتذى؛ ولكن فيه أيضاً بساطة جميلة وإنسانية كاملة عبر عنها المثال بلا حقد ولا مرارة، وعبر عنها في يسر ورشاقة، تمتاز بهما اليد الواثقة الصَّنَاع. وفي ذلك يقول ماسبيرو" :لو أن معرضاً أنشئ لروائع الفن في العالم كله لاخترت هذا التمثال ليمثل فيه عظمة الفن المصري" –



تمثال الكاتب المصري

وهناك آيات فنية أخرى كثيرة منها تمثال رع حوتب وزوجته الجالسان :




ومنها التمثال القوي للكاهن رنوفو، ومنها تمثالاً الملك فيوبس وولده المصبوبان من النحاس، ومنها رأس باشق من الذهب، ومنها الصورتان الهزليتان لعاصر الخمر وللقزم كنمحوتب، وكلها إلا واحداً منها في المتحف المصري بالقاهرة، وكلها بلا إستثناء صور ناطقة بأخلاق أصحابها. ولسنا ننكر أن القطع المكبرة منها خشنة غير مصقولة الصنع، وأن التماثيل قد صنعت وأجسامها وعيونها متجهة إلى الأمام، على حين أن الأيدي والأقدام قد رسمت من أحد الجانبين، وذلك جرياً وراء عرف غريب متبع في جميع ضروب الفن المصري، وأن الجسم لم يلق من الفنان عناية كبيرة، وأنه مثل في معظم الأحيان في صورة راسخة مقننة لا تتفق مع الواقع؛ فكانت أجسام تماثيل النساء كلها تصورهن فتيات في شرخ الشباب وتماثيل الملوك تظهرهم كلهم أقوياء، وأن الفردية وإن كانت قد بلغت في فنهم درجة عالية قد احتفظ بها عادة الرءوس دون الأجسام. ولكن مهما يكن من

الجمود والتماثل اللذين لحقا فنون النحت والتصوير والنقش البارز وما فرضه عليها الكهنة من قيود العرف، ومن سلطان لهم شديد، بالرغم من هذا كله فإن هذا النقص قد عوضه عمق في التفكير، وقوة ودقة في التنفيذ، وما تمتاز به الصناعة من طابع خاص وإتجاه وصقل.

والحق أن فن النحت لم يكن في بلد من البلاد أكثر حيوية مما كان في مصر. إن تمثال الشيخ ليخرج على كل سلطان، وإن المرأة التي تطحن الحب لتقبل عليه بكل ما في نفسها من أحاسيس وما في جسمها من عضلات، وإن الكاتب ليهم بالكتابة، وإن آلاف الدمى الصغيرة التي وضعت في المقابر لتقوم بالواجبات الضرورية للموتى قد صيغت كلها بحيث يبدو عليها من مظاهر النشاط والجسد ما نكاد معه أن نعتقد، كما كان يعتقد المصريون الأتقياء، أن الموتى لا يمكن أن يشقوا ما دام هؤلاء الخدم من حولهم.

ولم تصل منتجات فن النحت المصري بعد عهد الأسر الأولى إلى ما كانت عليه في عهدها إلا بعد أن مضت عليها قرون كثيرة. وإذ كان معظم التماثيل إنما صنعت للهياكل أو المقابر فقد كان الكهنة هم الذين يقررون إلى حد كبير الأنماط التي يلتزمها الفنان. ومن هذا السبيل تسربت إلى الفن النزعة الدينية المحافظة، فجثم على قلب الفن بسببها كابوس التقاليد، وكان سبباً في تدهوره. فلما أن تولى الحكم ملوك الأسرة الثانية عشرة الأقوياء عادت الروح الدنيوية غير الدينية إلى الظهور وأثبتت وجودها، واستعاد الفن شيئاً من قوته القديمة، وفاق الفنانون ما كان عليه أسلافهم الأولون من براعة. ويوحي رأس أمنمحات الثالث المنحوت من حجر الديوريت ببعث جديد للفن وبعث للأخلاق. ذلك أن الناظر إلى هذا الرأس يستشف منه صلابة هذا الملك العظيم، ويدرك أن الذي نحته فنان

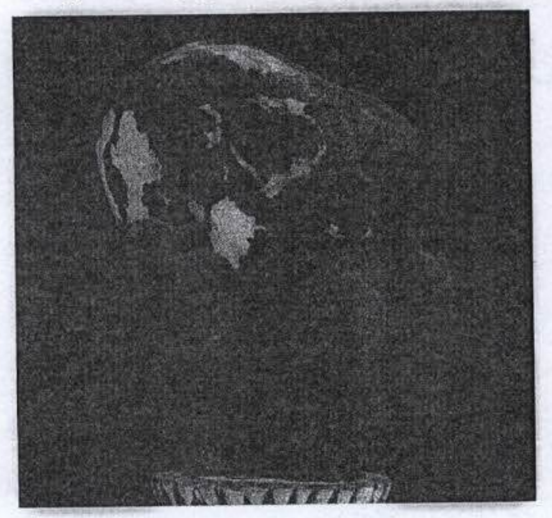
قدير. وثمة تمثال ضخم لسنوسرت الثالث يزينه رأس ووجه لا تقل الفكرة التي أوحت به، ولا القدرة التي أخرجته، عما أوحت به وأخرجته أية صورة أخرى في تاريخ فن النحت كله. وإن الجذع الباقي من تمثال سنوسريت الأول في متحف القاهرة ليضارع جذع تمثال هرقل في متحف اللوفر. وتكثر تماثيل الحيوانات في كل عصر من عصور التاريخ المصري، وهي كلها تفيض بالحياة، فهنا نجد فأراً يمضغ بندقة، وهناك ترى قرداً يضرب على وتر ويكشف عن كل ما لديه من مهارة في هذا الضرب، أو قنفذاً ليس في أشواكه كلها شوكة غير منتفشة. ثم جاء ملوك الهكسوس وانعدم الفن المصري إلا قليلاً وبعث الفن بعثاً ثانياً على ضفاف النيل في حكم حتشبسوت وتحتمس وأمنحوتب ومن تسمى باسميهما من الملوك. ذلك أن الثروة أخذت تتدفق على مصر من سوريا، وتحول مجراها إلى الهياكل وقصور الملوك، وتقطرت منها لتغذي الفنون على اختلاف أنواعها. وقامت تماثيل تحتمس الثالث ورمسيس الثاني تناطح السماء، وغطت أركان الهياكل كلها بمختلف التماثيل، وكثرت روائع الفن كثرة لم يسبق لها مثيل على أيدي هذا الشعب الذي تملكته نشوة بعثها فيه ما بلغه في زعمه من سيادة على العالم بأسره. إن التمثال النصفي لتلك الملكة العظيمة المنحوت من الحجر الأعبل والمحفوظ في المتحف الفني بنيويورك، وتمثال تحتمس الثالث المصنوع من البازلت والمحفوظ في متحف القاهرة، وتماثيل أبي الهول المصنوعة في عهد أمنحوتب الثالث والمحفوظة في المتحف البريطاني، وتمثال أخناتون الجالس المصنوع من حجر الجير والمحفوظ في متحف اللوفر، وتمثال هذا الملك نفسه الجاثم وهو يقدم القربان للآلهة جثوماً لا يكاد يصدق الإنسان أنه يفعله والذي مثل الجثوم أكمل تمثيل، والبقرة المفكرة في الدير البحري التي يرى ماسبيرو أنها "تضارع أروع آيات الفن اليوناني والروماني المماثلة لها" وأسدَىْ أمنحوتب الثالث اللذين قيل عنهما أنهما أحسن ما خلفه

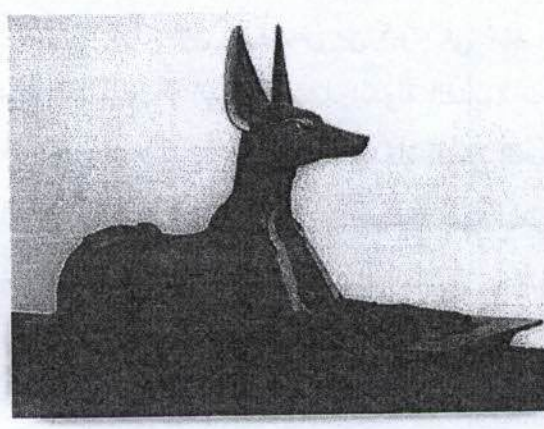
القدماء على بكرة أبيهم من تماثيل للحيوانات، والتماثيل الضخمة التي صنعها في الصخر عند أبي سمبل مثالوا رمسيس الثاني، والآثار العجيبة الرائعة التي وجدت في خرائب مَنْحَتِ الفنان تحتمس في تل العمارنة – والتي تشمل نموذجاً من الجبس لرأس إخناتون ينطق بما كان في هذا العهد المليء بالمآسي من نزعة شعرية وتصوفية – والتمثال النصفي الجميل المصنوع من حجر الجير لنفرتيتي زوجة الملك إخناتون ورأس هذه الملكة الجميلة المصنوع من حجر الخرسان وهو أجمل من التمثال النصفي السالف الذكر، وهذه الأمثلة المنتشرة في بلاد العالم تصور للقارئ صورة من أعمال النحت الكثيرة الرائعة التي يفيض بها عصر الإمبراطورية. ولم تفقد الفاكهة منزلتها بين هذه الروائع الفنية العظيمة؛ فالمثالون المصريون يلهون بالتماثيل الهزلية المضحكة للإنسان والحيوان؛ وحتى الملوك في عصر إخناتون محطم الأصنام قد جعلها الفنان المصري تبتسم وتلعب. على أن جذوة النهضة الفنية لم تلبث أن خمدت بعد عهد رمسيس الثاني، وظل الفن المصري من بعده قروناً كثيرة بتكرار الأعمال والأشكال القديمة.

وحاول الفن أن ينهض من كبوته في عهد ملوك ساو، وأن يعود إلى ما كان ينزع إليه كبار الفنانين في عهد الدولة القديمة من إخلاص وبساطة في التصوير. وقد عالج المثالون في عهد هذه الدولة أقسى الحجارة كأحجار البازلت والسربنتين (الحية) والبريشيا والديوريت – ونحتوا منها تماثيل واقعية حية منها تمثال منتيو ميحيت ورأساً أصلع من البازلت الأخضر لا يعرف صاحبه يطل الآن على جدران متحف الدولة في برلين. ومما صنعوه من البرونز صورة جميلة للسيدة تكوسشت، وقد أولعوا أيضاً بتصوير ملامح الناس والحيوان وحركاتهم على حقيقتها، فنحتوا تماثيل مضحكة لحيوانات غريبة، ولعبيد وآلهة، وصنعوا من البرونز رأسي قطة

وعنزة هما الآن من منهوبات برلين .ثم إنقض الفرس بعدئذ على البلاد انقضاض الذئاب الكاسرة على الحملان الوديعة المسالمة، ففتحوا مصر وخربوا الهياكل وكبتوا روح البلاد وقضوا على فنونها.

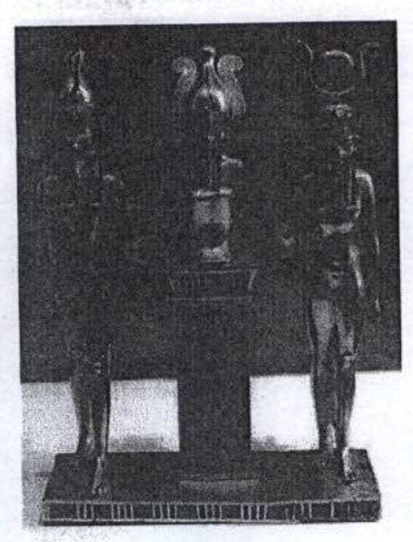
رأس توت عنخ آمون الطفل الناشئ من زهرة لوتس، وهذا رمز للبعث والتجدد الدائم للملك. تم اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون (١٣٤٠-١٣٣١ق.م) من قبل هوارد كارتر في نوفمبر ١٩٢٢. مات الفرعون وعمره ١٩ عاما. أما مومياء الملك، فوضعت داخل تابوتين من الخشب. وكانت النعوش الثلاثة في تابوت من الكوارتزيت الأحمر.





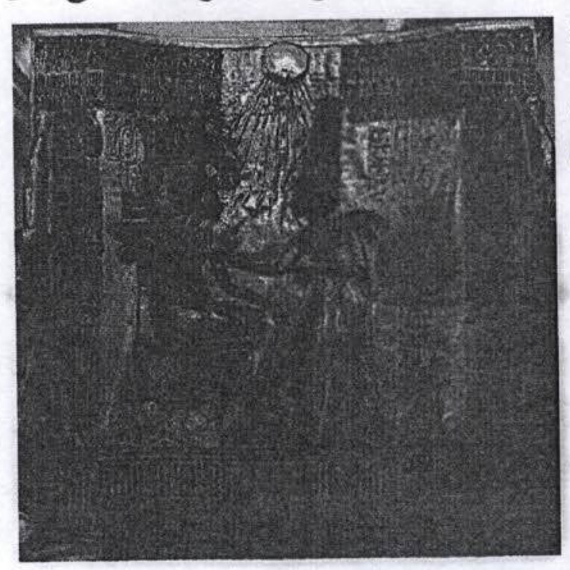
أنوبيس على الهيئة الحيوانية

اعتبر الفراعنة أنوبيس إلاها للموتى وحارسا للعالم السفلي يقود الموتى إلى الحياة الأخرى ،كما وصف بأنه إله التحنيط. وحام لمقبرة المصريين القدماء.



قلادة الملك أوسركون الثاني: الملك "أوسركون الثاني" (٨٧٤-٨٥٠ قبل الميلاد الأسرة الثانية والعشرون) وتمثل القلادة كل من أوزوريس وإيزيس وحورس. وهي مصنوعة من الذهب واللازورد والزجاج الأحمر.

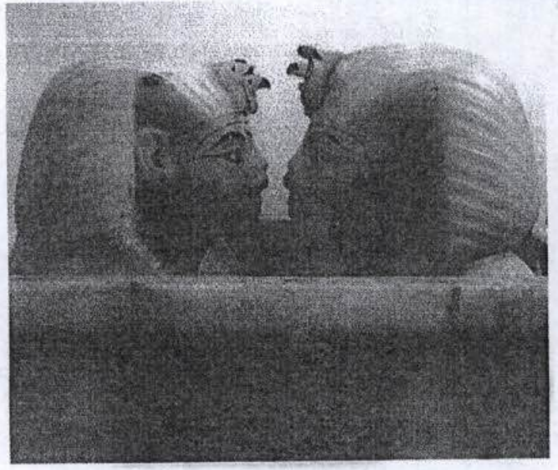
عرش الملك توت عنخ آمون: **يصور الملك توت عنخ آمون مع زوجته عنخ إسن أمون. العرش الذهبي هو قطعة الأبرز من الأثاث الذي نجا من مصر القديمة. وهو مصنوعة من الخشب، مغطى بأوراق من الذهب ومرصع بالأحجار الكريمة والزجاج ومعجون الخزف. الديكور يظهر عنخ إسن أمون تحاول مداواة وترطيب جسم توت عنخ آمون، باستعمال مرهم.**



تمثال يمثل أمنحتب الثاني يقدم القرابين - كوارتز أحمر - (متحف الكوم بالنوبة) يمثل هذا التمثال أمنحتب الثاني راكعاً يقدم القرابين والتي تظهر في يديه

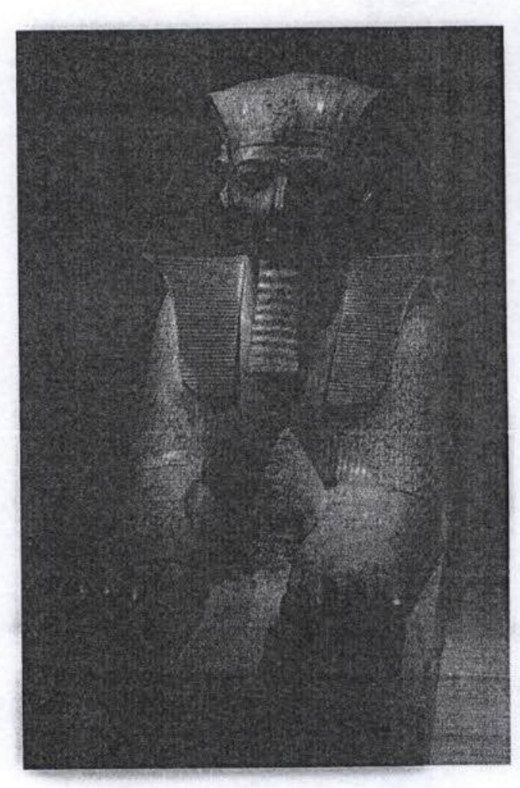
على هيئة إناءي للمعبود آمون رع والملك يظهر وهو يرتدي الشنديد الملكي ويرتدي النمس الملكي وهو من الكتان والذي يحليه الصل الملكي ونلاحظ أن الفنان أجاد فى تمثيل جسد الملك حيث يظهر ببنية لطيفة جميلة رشيقة.



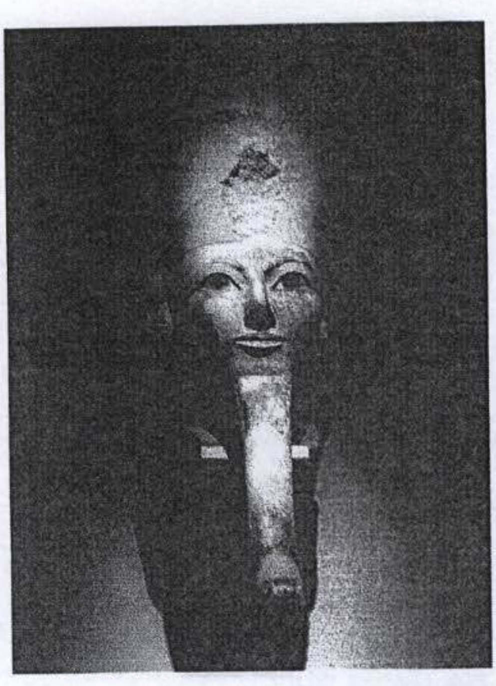


فـازات تـوت عـنخ آمـون نحتـت ٤رؤس للفرعـون فـي جـرة مـن المرمـر. الوجـوه مسـتوحاة مـن شـخص تـوت عنخ آمون قبيل وفاته.

تمثال للملكة حتشبسوت على هيئة أبو الهول - جرانيت وردي - متحف المتروبوليتان . يمثل هذا المتحف حتشبسوت بهيئة أبو الهول الشهيرة حيث أرادت الملكة تأكيد شرعيتها للحكم عن طريق التشبه بهيئات الملوك الرجال ومن أهمها هيئة أبو الهول. حيث تصور الملكة هنا بهيئة أبو الهول بجسد حيواني (الأسد) والرأس بشرية والتى تمثل رأس حتشبسوت وهي ترتدي النمس الملكي تحليه حية الكوبرا والتي فقدت للأسف وكذلك ترتدي اللحية المستعارة المستقيمة . ويظهر على جسد أبو الهول ألقاب حتشبسوت داخل خراطيش. والتمثال ذو أيدي وأقدام حيوانية ونجد هنا أن الفنان أجاد فى تمثي ملامح وجه الملكة من حيث الأنف المتناسق والشفاه الرفيعة وتحديد الرموش وتوجد ابتسامة خفيفة على وجه الملكة.



رأس للملكة حتشبسوت - متحف المتروبوليتان رأس من المفروض أن تكمل تمثالاً كاملاً للملكة حاتشبسوت ، ونجد حتشبسوت هنا تتشبه بهيئة الملوك الرجال بالرغم من كونها أنثي فترتدي التاج والذي يحليه الصل الملكي والذي تعرض للكسر والتلف وكلك ترتدي اللحية المستعارة الطويلة للغاية وتظهر روعة



الفنان فى تمثيل معالم الوجه الجميلة للملكة من حيث الأنف الأقنى الجميل والشفاه الرفيعة الدقيقة وكذلك تحديد الجفون الطويلة وتمثيل الوجه المستدير ،وتظهر ابتسامة خفيفة على وجه الملكة ونلاحظ التطعيم فى العيون وكذلك كبر حجم الأذنين



تمثال واقف لتحتمس الثالث– الشست –– ٢٠٠سم –– المتحف المصري . عثر على هذا التمثال فى خبيئة الكرنك ، ويصور التمثال تحتمس الثالث محاربا وملكا عظيما، ذا بنية رياضية رائعة. ويصور التمثال الملك واقفاً على قاعدة وقدمه اليسرى تتقدم قدمه اليمنى ويرتدي الشنديد الملكي ويقبض بيديه على المكس ويرتدي تاجاً تحليه حية الكوبرا من الأمام والتاج

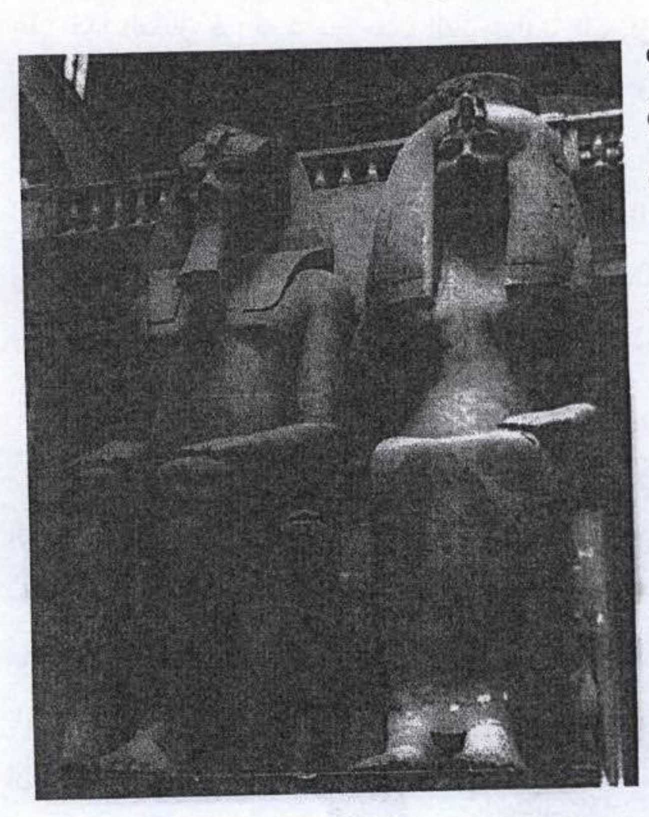
أصابه بعض التلف. وكان هذا التمثال لا شك وفق ما جاء في نقوش القاعدة، جزءاً من مجموعة تماثيل دقيقة، كانت تزين غرف معبد آخ منو بالكرنك. ومن تحت قدمي الملك ترى تسعة أقواس تدل على أعداء مصر التقليديين.

تمثال لتحتمس الثالث حجر جيري بللوري – المتحف المصري – عثر على هذا التمثال فى معبد منتوحتب الثاني بالدير البحري، واكتشفه إدوارد نافيل ونجد أن الوجه قد أزيل وأعيد تركيبه مرة ثانية. والتمثال فقد جزؤه الأسفل ويصور الملك وهو يرتدي النمس تحليه حية الكوبرا ويرتدي اللحية المستعارة ويظهر التطعيم فى العين ناهيك عن هيئته الرشيقة. ويمثل الملك تحتمس الثالث بهيئة رياضية رشيقة، ونلاحظ أن التمثال أصابه التلف فى منطقة الوجه وباقي الجسد. ويظهر فى التمثال ملامح دقيقة لتحتمس الثالث من حيث الأنف العريض والشفاه الدقيقة والعيون الواسعة والوجه المستدير.



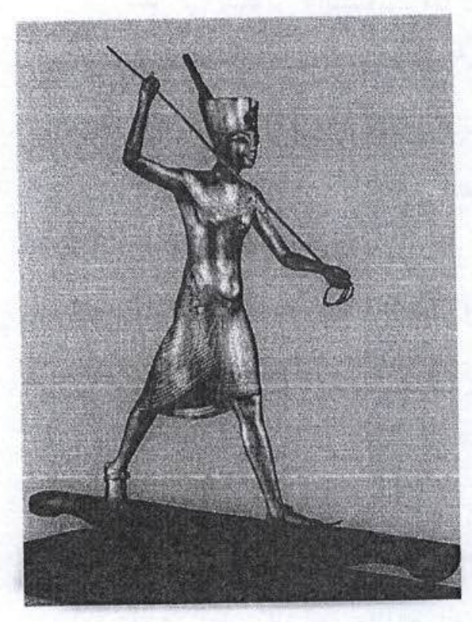
رأس تذكارية لتمثال لأمنحتب الثالث – جرانيت – المتحف البريطاني – عثر على هذه الرأس فى معبد المعبودة موت فى الكرنك وهي رأس ضخمة من المفترض أن تكمل تمثالاً ضخماً. ونجد أن أمنحتب الثالث قد أقام عدداً كبيراً من التماثيل الضخمة لذاته ومنها هذه الرأس التي من المفترض أن تكمل تمثالاً، ويبدو أن رمسيس الثاني قد استولى على هذه الرأس ضمن عدد كبير من تماثيل الملك

أمنحتب الثالث ونسبها لنفسه وأعاد إستخدامها. ونجد هنا الملك يرتدي التاج المزدوج يحليه الصل الملكي واللحية المستعارة التي دمرت وفقدت. ونلاحظ أن النحات أجاد رسم ملامح وجه الملك من حيث الأنف الغليظ العريض، والشفاه الممتلئة والعيون اللوزية وتحديد الرموش والوجنتين الممتلئتين والذقن المسحوب والأذنين الكبيرتين وتبدو على الوجه ملامح ابتسامة خفيفة.



تمثال جماعي لأمنحتب الثالث مع الملكة تاي وثلاثة من بناته – حجر جيري – متحف القاهرة – من مدينة هابو، تمثال جماعي ضخم يضم الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة تاي وثلاثة من بناته عند قدميهما بحجم صغير، ويصور الملك أمنحتب وهو يرتدي الشنديد الملكي والنمس الملكي يحليه الصل الملكي واللحية المستعارة المستقيمة ويضع يديه على ركبتيه ويظهر بجسد رشيق رياضي ورأس التمثال في حالة جيدة من الحفظ. بينما تظهر من جانبه "تاي" وهي ترتدي رداء حابط طويل لا يظهر منه

سوى قدميها وباروكة شعر متناسقة يحليها الصل الملكي وتضع يدها اليمنى على ركبتيها بينما اليسرى تحيط بها زوجها في محبة وحنان وبين أقدامهما تظهر ثلاث من بناته كهيئة أمهن ولكن بحجم أصغر ونجد أن الفنان قد أجاد في نحت كل من الملك والملك واللذين تظهر ابتسامة خفيفة على وجهيهما. والتمثال أصابه بعض التلف وخاصة في هيئات بنات الملك.



تمثال للملك توت عنخ آمون ممسكا بحربة – المتحف المصري – تمثال صغير للملك توت عنخ آمون من خشب مذهب، يصور الملك مرتدياً تاج الوجه البحري الأحمر، واقفاً في زورق بردي صنع من خشب مطلي بلون أخضر ومذهب حيث يفترض ظهور تفاصيل البردي. ويبدو هنا توت عنخ آمون – وفق أسطورة إيزيس وأوزوريس– في شخص الابن حورس المنتقم لأبيه، مستعداً لقذف الرمح على عدوه ست الذي يمثل في هيئة فرس نهر أو تمساح. ويمسك التمثال بسلسلة ملفوفة من البرونز، لقيد حيوان ست بعد طعنه. وقد عثر على التمثال في صندوق مصبوغ بلون أسود، ملفوفاً في الكتان.

◆ النقش الغائر :

العمارة والنحت أهم الفنون المصرية، ولكنا إذا أدخلنا الوفرة في حسابنا كان علينا أن نضيف إليهما النقوش الغائرة. فليس من شعوب العالم شعب جـد

في حفر تاريخه وأساطيره كما جد في ذلك قدماء المصريين. وإنا ليدهشنا لأول وهلة ما بين القصص المنقوشة على الحجارة الكريمة من تشابه ممل ، كما يدهشنا ازدحامها وكثرتها، وما فيها من إنعدام التماثل وعدم مراعاة قواعد المنظر، أو المحاولات غير الموفقة التي بذلوها لمراعاتها بتمثيل الأشياء البعيدة في المنظر فوق القرية؛ ونحن ندهش حين نرى طول قامة الملك وقصر قامة أعدائه.

هذا في النقوش والتصوير، أما في النحت يصعب علينا أن نألف رؤية عيون وصدور مرسومة كأننا ننظر إليها من الأمام على حين أن الأنوف والذقون والأقدام مرسومة كأننا ننظر إليها من أحد الجانبين- ولكننا في مقابل هذا يروعنا جمال الباشق والأفعى المنقوشين على قبر الملك ونيفيس، ونقوش الملك زوسر الجيرية على هرم سقارة المدرج، ونقوش الأمير هزيريه الخشبية التي أستخرجت من قبره في هذا الموضع نفسه، وصورة اللوبي الجريح المحفورة على قبر من قبور الأسرة الخامسة في أبي صير، وهي دراسة دقيقة لعضلات الجسم المتوترة من شدة الألم ولا يسعنا أخيراً إلا أن نتأمل في أناة وهدوء النقوش الطويلة التي تقص علينا كيف إجتاح تحتمس الثالث ورمسيس الثاني في حروبهما كل ما إعترض سبيلهما، وندرك روعة النقوش التي حفرت لسيتي الأول في العرابة وفي الكرنك ونتبين ما بلغته من كمال، ونتبع بعظيم الشوق واللذة النقوش المحفورة على جدران معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري، والتي يقص علينا ناقشوها قصة البعثة التي أرسلتها هذه الملكة إلى أرض بنت المجهولة (ولعلها بلاد الصومال). وفي هذه النقوش نرى السفن الطويلة منشورة الشراع تدفعها إلى الجنوب مجاديفها المصفوفة، وتمخر المياه المملوءة بحيوان الإخطبوط والحيوانات القشرية وغيرها من دواب البحر؛ ونرى الأسطول يصل إلى شواطئ بنت ويرحب به شعب البلاد ومليكها،

وهم ذاهلون ولكنهم مفتتنون. ونرى الملاحين يأتون إلى السفن بآلاف من ضروب المأكولات الشهية؛ ونقرأ فكاهة العامل البُنتي في قوله : "إياك أن تزل قدماك أيها الواقف هنا ؛ كن على حذر!" ثم نصحب السفائن الموقرة بأحمالها وهي عائدة نحو الشمال مملوءة (كما يقول النقش) بعجائب أرض بُنت، من ذهب، وأخشاب مختلفة الأنواع، وأدهان للعيون، وقردة، وكلاب، وجلود نموره. مما لم يُعد به أحد لملك من الملوك منذ بداية العالم. وتخترق السفن القناة العظيمة بين البحر الأحمر والنيل، ونرى البعثة ترسو سفنها في أحواض طيبة وتفرغ ما فيها من بضائع مختلفة عند قدمي الملكة. ثم نبصر آخر الأمر كأنما قد مضى على وصولها بعض الوقت، كل هذه السلع المستوردة تزين مصر. ففي كل ناحية حلي من ذهب وأبنوس وصناديق عطور وأدهان وأسنان فيلة وجلود حيوان؛ والأشجار التي جيء بها من بُنت كأنها قد أينعت في أرض مصر كما كانت في بلادها الأصلية حتى كانت الثيران تتفيأ ظلال أغصانها. إن هذا النقش بلا ريب لمن أعظم النقوش في تاريخ الفن. والنقش الغائر هو همزة الوصل بين النحت والرسم بالألوان.

◆ الرســم :

الرسم الملون لم يرق في مصر إلى منزلة الفن المستقل إلا في عهد البطالمة وبتأثير بلاد اليونان. أما فيما عدا ذلك العهد فقد كان فناً ثانوياً تابعاً لفنون العمارة والنحت والنقش- وكان عمل الرسام هو ملء الخطوط الخارجية التي حفرتها عدد غيره من الفنانين؛ ولكنه كان رغم منزلته الثانوية واسع الإنتشار يراه الإنسان أينما حل. فقد كانت معظم التماثيل تدهن، والسطوح كلها تلون. ولما كان هذا الفن سريع التأثر بالزمن ينقصه ثياب فني النحت والبناء، فإنا لا نكاد نجد الآن من الرسوم الملونة التي أخرجها رجال الدولة القديمة إلا صورة رائعة لست

أوزات أخرجت من قبر في ميدوم. ولكننا يحق لنا أن نستنتج من هذه الصورة وحدها أن هذا الفن أيضاً قد بلغ في عصر الأسر الأولى مبلغاً يدنيه من الكمال. فإذا انتقلنا إلى عهد الدولة الوسطى وجدنا رسوماً بالألوان المائية في قبري أيمن وخنوم حوتب ببني حسن، وهي تزين القبرين زينة جميلة تبعث في الناظر إليها السرور والبهجة، وكما أن صورة "الظباء والزراع" وصورة "القطة ترقب فريستها" لتعدان من أروع الأمثلة لهذا الفن. وقد تنبه الفنان في هاتين الصورتين أيضاً إلى العنصر الرئيسي في التصوير، وهو أن يجعل من رسومه كائنات حية تتحرك وتعيش. فلما كان عصر الإمبراطورية غصت القبور بالرسوم الملونة، وكان الفنان المصري قد توصل إلى صنع كل لون من ألوان الطيف، وتاقت نفسه إلى أن يظهر للناس حذقه في إستخدامها فأخذ يحاول تصوير الحياة النشيطة المنتعشة في الحقول المشمسة على جدران المنازل والهياكل والقصور والمقابر وعلى سقوفها كلها، فصور عليها طيوراً تطير في الهواء، وسمكاً يسبح في الماء، وحيواناً يعيش في الآجام، وصورها كلها في بيئاتها التي تعيش فيها. ونقش الأرض لتبدو كأنها برك شفافة، وحاول أن يجعل السقف تضارع في بهائها ورونقها كواكب السماء، وأحاط هذه الصور كلها بأشكال هندسية وأخرى مركبة من أوراق الشجر تتفاوت من أبسط الرسوم الهادئة إلى أعقدها وأكثرها فتنة. "فصورة الفتاة الراقصة" وفيها أكبر قسط من قوة الابتداع وروح الفن، و"صيد الطيور في قارب"، والصورة المرسومة بالمغرة والتي تمثل الفتاة الجميلة الهيفاء العارية بين الموسيقيين في قبر نحت بطيبة كل هذه نماذج متفرقة من سكان القبور المصورين.

ونلاحظ في هذه الرسوم كما لاحظنا في النقوش الغائرة أن الخطوط جميلة، ولكن التركيب ضعيف؛ وأن المشتركين في عمل واحد يمثلون متفرقين

واحداً بعد واحد وهم الذين يجب أن يمثلوا مختلطين. ونرى الرسام هنا يفضل أن يضع أجزاء الصورة بعضها على بعض بدل أن يراعى في وضعها قواعد المنظور، على أن الجمود الناشئ عن المحافظة على القواعد الشكلية وعلى التقاليد في النحت المصري كان هو السائد في ذلك الوقت، ولذلك لا يكشف لنا هذا الفن عن الفكاهة الباعثة على البهجة، أو على الواقعية، وهما الصفتان اللتان يمتاز بهما فن النحت في ما بعد ذلك العصر. ولكن الصور كلها تسر فيها مع ذلك جدة في التفكير، ويسر في رسم الخطوط وفي التنفيذ، وإخلاص لحياة الكائنات الحية وحركاتها، وغزارة في اللون والزينة تبعث في النفوس البهجة، وتجعل الصور متعة للعين والروح. وملاك القول أن فن الرسم المصري- رغم ما فيه من عيوب- لم يسبقه فن مثله في أية حضارة شرقية إلا في عصر الأسر الوسطى في بلاد الصين.

◆ الفنون الصغرى :

أما الفنون الصغرى فكانت أعظم الفنون في مصر. ذلك أن الحذق والجد اللذين شيدا الكرنك والأهرام، واللذين ملأوا الهياكل بتماثيل الحجارة قد إنصرفا أيضاً إلى تجميل المنازل من داخلها، وتزيين الأجسام، وإبتكار جميع متع الحياة ونعمها. فالنساجون قد صنعوا الطنافس والقماش المزركش الذي يزين الجدران، والوسائد الغنية بألوانها والرقيقة في نسجها رقة لا يكاد يصدقها العقل وإنتقلت الرسوم التي إبتدعوها منهم إلى سوريا ولا تزال منتشرة فيها إلى هذه الأيام. ولقد كشفت مخلفات توت عنخ آمون عما كان عليه أثاث قدماء المصريين من ترف عجيب، وعما بلغته كل قطعة وكل جزء من قطعة من صقل بديع، سواء في ذلك كراسيه المكسوة بالفضة والذهب البراقين، والسرر ذات الرسوم الفخمة والصناعة الدقيقة، وصناديق الجواهر وعلب العطور الدقيقة الصنع الجميلة النقش،

والمزهريات التي لا تضارعها إلا مزهريات الصين. وكانت موائدهم تحمل آنية ثمينة من الفضة والذهب والبرونز، وكؤوساً من البللور، وجفاناً براقة من حجر الديوريت صقلت ورقت حتى كاد الضوء ينفذ من خلال جدرانها الحجرية. وإن ما اشتملت عليه مخلفات توت عنخ آمون من آنية المرمر، وعثر عليه المنقبون في خرائب بيت أمنحوتب الثالث في طيبة من أقداح على هيئة الأزورد (اللتس) ومن طاسات للشراب ليدل على ما بلغته صناعة الخزف من مستوى رفيع. وآخر ما نذكره من هذا جواهر الدولة الوسطى والدولة الحديثة، وقد كان لهذين العهدين من الحلي الثمينة الكثيرة ما لا يكاد يفوقه شيء في جمال الشكل ودقة الصنع. وتشمل المجاميع الباقية من تلك الأيام قلائداً، وتيجاناً، وخواتماً، وأساوراً، ومرايا، وحليات للصدر، وسلاسلاً، ورصائعاً، صيغت من الذهب والفضة والعقيق والفيروز والفلسبار واللازورد والجمشت، وكل ما نعرفه من الحجارة الكريمة.

وكان سراة المصريين كسراة اليابانيين يسرهم جمال ما يحيط بهم من التحف الصغيرة، فكان كل مربع صغير من العاج في علب حليهم ينقش ويزين أجمل زينة وأدقها. لقد كان يلبسون أجمل الملابس، وينعمون بأحسن عيشة، وكانوا إذا فرغوا من عملهم اليومي يمتعون أنفسهم بنغمات الموسيقى الهادئة الشجية على العود والقيثارة والصلاصل والناي. وكان للهياكل والقصور فرق من العازفين والمغنيين ، وكان من موظفي قصر الملك "مشرف على الغناء" يقوم بتنظيم العازفين والموسيقيين الذين يسلون الملك. وليس لدينا ما يدل على وجود علامات موسيقية في مصر، ولكن هذا قد يكون مجرد نقص فيما كشف من آثار المصريين. وكان أسنفرو نفر، وريمرى بتاح نابغتي الغناء في أيامهما، وإنا لنستمع من خلال القرون الطويلة صوتهما وهما يناديان بأنهما كانا "يجيبان كل رغبة من رغبات الملك

بغنائهما الشجي". ومن الأمور الشاذة غير المألوفة أن يبقى اسما هذين الفنانين، وذلك لأن الفنانين الذين خلدوا بجهودهم ذكريات الأمراء والقساوسة والفنانين والملوك أو ملامحهم لم يكن لديهم من الوسائل ما ينقلون به ذكرهم إلى من يجيء من بعدهم، وإن كنا نسمع بإمحوتب مهندس عهد زوسر، وهو رجل يكاد أن يكون إسمه أسطورة من الأساطير القديمة، ونسمع عن إنيني الذي أعد رسوم المباني العظيمة أمثال معبد الدير البحري لتحتمس الأول؛ وعن بويمر، وحبوسنب، وستموت الذين شادوا المباني العظيمة للملكة حتشبسوت، وعن الفنان تحتمس الذي كشف في بقايا مرسمه كثير من روائع الفن، وعن بلك المثال الفخور الذي يقول لنا أنه لولاه لعفى على اسم إخناتون الزمان. وكان لأمنحوتب الثالث مهندس معماري يسمى أيضاً أمنحوتب بن حابو. وكان الملك يضع تحت تصرف هذا المهندس الموهوب ثروة يخطئها الحصر، وذاع اسم هذا الفنان الشهير حتى عبدته مصر فيما بعد واتخذته إلهاً من آلهتها.

لكن الفنانين على الرغم من هذا كانوا يعملون وهم فقراء مغمورون، ولم تكن لهم عند القساوسة والكبراء الذين يستخدمونهم مكانة أسمى من مكانة الصناع أو أرباب الحرف العاديين. وقد تعاون الدين المصري مع الثروة المصرية على الإيحاء بالفن وإنمائه، وتعاون مع غنى مصر وضياع إمبراطوريتها على إماتته. لقد كان الدين يقدم للفنانين الحوافز والأشكال، ويوحي إليهم بروائع فنهم، ولكنه فرض عليهم من العرف والقيود ما شده إلى الكنيسة بأقوى الروابط. فلما أن مات بين الفنانين الدين الخالص، ماتت بموته الفنون التي كانت تعيش على هذا الدين. تلك هي المأساة التي لا تكاد تنجو من شرها أية مدينة؛ وهي أن روحها في عقيدتها، وأن هذه الروح قلما تبقى بعد فناء فلسفتها.

❖ الحياة الدينية في مصر القديمة :

لعب الدين دوراً هاماً في حياة الإنسان المصري القديم فلم تكن هناك قوة تسيطر على حياته كما يسيطر الدين لأن الدين كان محاولة لتفسير الظواهر المحيطة بالإنسان وهو يصدر دائماً عن رغبة في المنفعة أو رهبة من المجهول والأخطار. والحياة لا تتأثر بالدين فحسب بل تختلط وتمتزج به ولقد كانت الطبيعة المبشر الأول للدين إذ فسر الإنسان ظواهرها التي عجز عن فهمها إلى أنها تعود إلى قوة خارقة عن نطاق تفكيره والشعور الغريزي عند الحيوان بالخوف والفزع من كل ما هو مجهول سبباً آخر دفع الإنسان إلى إحترام كل هذه القوى التي تؤثر في حياته دون أن يعرف كنهها. من هنا نشأت الديانة التي لم تكن الإعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه ومع أن الإنسان لم ير هذه القوى ألا أنه كان يعتقد في وجودها وكون في مخيلته صوراً لها. فالآلهة في رأي المصري القديم كالبشر يمكن أن نرضيهم بالقرابين ولهم صفات البشر، وقد تخيل الإنسان الإله مارداً أو كائناً رهيباً حتى أن بدأ الإنسان إدراك الصلة الروحية بينه وبين الإله فاعتمد عليه وأحبه.

ولم يكن للمصريين دين واحد فهناك الدين الرسمي وهناك العقائد الشعبية تسير جميعا جنباً إلي جنب ولم يكن للمصريين كتاباً مقدساً، وإنما كان لهم كتابة مقدسة فالديانة المصرية ليس الاعتقاد أساساً لها بل العبادة للآلهة الذين يملكون البلاد. ومصر كانت مقسمة علي مقاطعات تأثرت حدودها الوهمية بعاطفة دينية وكانت لها أعلام هي رموز لحيوانات أو نباتات تميزها عن بعضها البعض وتمثل الآلهة المصرية. وكان سكان كل مقاطعة يعتبرون معبودها أعظم الآلهة وإليه ينسبون خلق الكون ولمّا حدث التوحيد أصبح إله العاصمة الإله الرسمي للمقاطعة.

◂ تطـورها :

لم يكن الدين المصري في يوم من الأيام ذا صبغة موحدة ولم يتصف هذا الدين بصفة العقيدة ذات الأصول الثابتة فعندما وصل بنو الإنسان إلي حضارة أكثر تقدماً أخذت أهدافهم الدنيوية تسمو شيئاً فشيئاً وتركزت حول التعرف عما يحويه ذلك العالم البعيد عن حياتهم اليومية فالإنسان لم يرد فقط أن يلجأ إلى سند يحميه بل أراد أن يوجد لنفسه معبوداً إذا ما فكر فيه سما بنفسه فوق كل ما ينتاب الإنسان من اضطرابات مختلفة في حياته اليومية فلقد دفعت الطبيعة البشرية الإنسان علي أن يخلق لنفسه معبودات أعطي لها أشكالاً مختلفة. وحين بلغت هذه الديانة أوج المجد والقداسة وتغلغلت في نفوس المصريين القدماء حاول الكهنة ادخال بعض الاصطلاحات عليها ولكن هذه المحاولات أخفقت إخفاقاً ذريعاً .

◂ خصائصها :

١- لقد عرف المصريون القدماء مئات الآلهة التى اتخذت صور الأبقار والتماسيح والكباش والكلاب والعجول والقردة وطائر أبومنجل والطيور الجارحة مثل الصقر وطائر الرخمه ومخلوقات أخري مثل الجعارين.

٢- كانت بعض الآلهة تُعبد في أماكن عديدة والبعض الآخر محلي لا يتعدي القرية أو المدينة مركز عبادته؛ فقد كان لكل قبيلة إله خاص له مظهر خاص وشعار خاص ويتخذ حيواناً خاصاً رمزاً مقدساً له. وبعد اختلاط القبائل بعضهم ببعض اندمجت العبادات مع بعضها وامتد نفوذ الآلهة خارج مراكز عبادتها.

٣- تعددت أشكال وأسماء وألقاب الإله الواحد.

٤- تم ادماج جميع أسماء ووظائف إلهين أو ثلاثة آلهة في إله واحد عن طريق الثالوث ولهذا يمكن القول أن التوحيد المصري موجود رغم تعدد الآلهة.

٥- الآلهة المصرية تُصوّر علي شكل حيوانات أو علي شكل انسان برؤوس حيوانات أو علي شكل انسان فقط وتحتفظ بقرني وأذني الحيوان ويمكن تمييز هذه الآلهة عن طريق تيجانها وأشكال الرؤوس الحيوانية.

٦- إلي جانب الآلهة المحلية عبد المصريون الآلهة العامة والكونية مثل السماء والأرض والشمس والقمر. وكلمة السماء في اللغة المصرية مؤنثة لذلك جعلوها الإلهة (نوت) أو الإلهة (حتحور) أما الأرض فهي مذكر لذلك جعلوه الإله (جب) وللسماء آلهة كثيرة فقرص الشمس (آتون) كان يسمي (خبري) عند شروقه و(رع) عند إعتلائه السماء و(أتوم) عند غروبه، وسمي أيضاً (حورس) الذي اتحد مع (رع) وسمي (رع حور أختي) وللقمر أيضاً آلهة كثيرة مثل تحوت وخنسو وأحياناً علي شكل طائر أبو منجل أو قرد له وجه كلب.

◆ الأســاطير :

تعريف الأسطورة : الأسطورة هي القالب الرمزي الذي تجمعت بداخله أفكار البشر وأحلامهم في الفترة السابقة علي ظهور المعرفة بمعناها الواسع. والمصريين منذ أقدم العصور يعشقون القصص الخرافية لذلك نجد هذه القصص قد حكيت وتداولها الناس كأساطير محببة إلي نفوسهم قريبة من قلوبهم، فما تلبس هذه القصص أن تنتشر في البلاد وهذه القصص أو الأساطير هى التى جعلت في الآلهة كائنات حية لكل منها صفاته الخاصة فهي قد دفعت الناس إلي الشعور نحو البعض منها بالحب تارة وبالكره والبغضاء تارة أخري.

◆من أشهر الأساطير :

١- أسطورة الإله أوزيريس فهذه الأسطورة هي التي جعلت من إيزيس إلهة طيبة ومن ست إلهاً مكروهاً.

٢- أساطير الخلق ونشأه الكون المتعددة وفي هذه الأساطير نجد إعتقاداً راسخاً بوحدة الحياة لأن الفكر الأسطوري أبي أن يسلم بفناء الإنسان وهو ينكر ظاهرة الموت والدليل على ذلك موقف المصريين القدماء من الموت وفكرتهم عن العودة للحياة في العالم الأخر حيث ظهر هذا في فكره التحنيط ودفن بعض الأغراض والمأكولات مع الميت.

◆ نشأة الكون :

فكر الكهنة المصريين في كيفية نشأة الكون فكل مجموعة من الكهنة أرجعت نشأة الكون الي الإله الخاص بهم فظهرت أربع نظريات هي :

◆النظرية الأولي : أعلن كهنة تحوت في هرموبوليس أن تحوت هو الذي خلق الكون وأعلنوا نظريتان عن نشأة الشمس أن إله الشمس الطفل الذي خرج من أول بيضة في العالم وارتفع علي السماء وأن الشمس خرجت من زهره اللوتس في الصباح وأقفلت عليها في السماء واحتفظت بها زهرة اللوتس لتطلعها مرة أخري كل صباح.

◆النظرية الثانية : أعلن كهنة هليوبوليس أن الإله اتوم خلق نفسه بنفسه ثم صنع العالم كله وأنه أنجب دون زوجة الإله "شو" (الهواء) والإله "تفنوت"(الرطوبة) اللذان أنجبا الإله "جب" (الأرض) والإلهة "نوت" (السماء) وهذين الإلهين (جب)

و(نوت) أنجبا أربعة آلهة (إيزيس – أوزيريس – ست – نفتيس) ليصبح عددهم تسعة ويكونون تاسوع هرموبوليس.

◂ **النظرية الثالثة** : نظرية ممفيس التي تقول أن الإله بتاح صنع العالم عن طريق (القلب) الفكر واللسان الكلمة.

◂ **النظرية الرابعة** : تري أن الإله خنوم خالق الحياة والكائنات الحية.

♦أهم الآلهة المصرية :

أوزير أو أوزيريس إله الخصب والزراعة والعالم الأخر – الإله رع أو الشمس مانحة الحياة – الإله حور أو الصقر حورس ابن الإله أوزير والإلهة أيزة أو أيزيس زوجة الإله أوزير – الإله ست إله الشر– الإله بتاح حامي الفنون والصناعات – الإله تحوت إله الحكمة – الإله أنوبيس حامي الموتى – الإلهة حتحور راعية النساء والحب والموسيقي – الإله أمون كبير الآلهة وخالق الكون عند المصري القديم – (موت زوجة أمون) .

وفيما يلى نبذة مختصرة عن بعض الآلهة :

◂ **أمون Amon** : سيد الآلهة المصرية واسمه يعنى (الخفى) كان واحداً من ثامون هرموبوليس وخرج من فم "تحوت" ورأسه رأس الكبش ويظهر كرجل ملتح يلبس قبعة فيها ريشتان طويلتان وأحياناً جالساً على العرش وأحياناً يتخذ شكل الإله منو إله الإخصاب وأحياناً شكل كبش قرونه مقوسة. كان هناك تنافس بين أمون ورع ثم أصبحا مترابطين حيث أطلق عليهما تسمية (أمون – رع).

◂ **أوزيريس osiris** : إله الموتى والعالم السفلى وإله الفيضان ومركز عبادته أبيدوس وصور في شكل ملتح وملون إما باللون الأخضر أو الأسود ويلبس تاج

مصر العليا ومحنط كالمومياء ويحمل في يده أداة دراس الحنطة وصولجاناً وهما علامة قوته.

◂أيزيس **isis** : المعني الحرفي لكلمة ايزيس هو (المقعد أو العرش) وقد صورت كإمراة ترضع طفلها حورس وعند ما تلبس القرص السماوي وقرون البقرة تصبح الإلهة (هاثور) وصورت أيضاً علي شكل إمرأة وعلى رأسها كرسي العرش لذلك لقبت بإلهة العرش الملكي.

◂حورس **Hours** : صور على هيئة صقر أو انسان برأس صقر واعتقد المصريون أن عينا حورس هما الشمس (اليمني) والقمر (اليسرى).

◂العجل أبيس **apis** : كان أبيس أعظم المعبودات أهمية بين العجول المقدسة في أرض النيل وكان للخصوبة. ومركز عبادته كان في مدينة منف وأصبح مرتبطاً ببتاح إله تلك المدينة ثم صار روح (بتاح) العظيمة التي ظهرت علي الأرض على هيئة عجل وبموت أبيس يتحول إلي الإله أوزيريس ويسمي أوزيريس – أبيس

◂بتاح **ptah** : الإله المحلي لمدينة منف ويمثل دائماً على هيئة آدمية وملفوفاً مثل المومياء برأس حليق ولم يكن في البداية سوى رباً للصناع والصناعة ومن ثم نسب إليه ابتكار الفنون ويمسك بيديه رموز الحكم والقوة والحياة وهي عباره عن صولجان مركب من عمود جد وصولجان واس.

◂حتحور **hathor** : آلهة السماء وابنة رع وزوجة حورس وأحياناً تسمي أم حورس حيث يعني اسم هذه الآلهة مسكن حورس وحيوانها المقدس البقرة ورمزها المقدس الآلة الموسيقية السستروم (الشخشيخة)، وتعتبر حاتحور حامية المرأة

وآلهة المرح والحب والموسيقي والرقص والأغاني وتطعم الأحياء بلبنها فنرى الفرعون وهو يرضع من ثدي البقرة.

- رع re : الإله رع هو الشمس مقره الرئيسي هرموبوليس أصبح إله السماء ووالد فرعون واتحد مع (أمون – وخنوم – ومنتو – سوبك) وسمي (أمون – رع ، حنوم – رع ، منتو– رع ، سوبك – رع) .

- تحوت thoth : عُبد كإله للقمر والعالم والأدب والحكمة والابتكار. وكان المتحدث باسم الآلهة كان إله (هرموبولي بارفا) دمنهور ثم اصبح إله (هرموبوليس ماجنا) الأشموبين ويصور عادة بشكل انسان له رأس أبو منجل وأحياناً على شكل قرد له رأس كلب وهو مخترع الكتابة الهيروغليفية لذلك سمي (سيد الكلمات المقدسة).

◆ طبيعة ديانة مصر القديمة :

كانت المعابد الكثيرة التى أقيمت لمختلف الأرباب في أنحاء مصر دليلاً على طبيعة الديانة المصرية القديمة على أنها وإن تعددت أربابها نستطيع الوقوف على اتجاهات دينية تبدو كأنما تؤمن بوحدانية الرب في بعض المواقع أو المقطاعات، إذ كانت أصلاً مستوطنات قبلية لها معبود أصبح لها الحامى الوحيد حتى بعد توحيد البلاد. وكان المفهوم المجرد لكلمة الرب نثر معروفاً منذ عهد أقيمت فيه مقاصير مبكرة حيث يتبين الاتجاه المتصل نحو توحيد الأسماء والوظائف لاثنين أو ثلاثة من القوى المقدسة في معبود واحد. فلم تكن إصلاحات أخناتون الدينية من هذا المنطلق أكثر من تأكيد لتنظيم مفهوم التوحيد الذى كان معروفاً من قبل فعلاً، ومن ثم يكمن الاختلاف الجوهري فيما فُرض على الناس يومئذ من أن الرب العظيم أنما هو المعبود الأوحد اسماً وشكلاً، على حين كان

لكل مقاطعة من قبل أن تؤيد أو تناصر معبودها الأوحد دون أن تكره على دمج معبودها في معبود المقاطعة المجاورة. وكانت مئات المعبودات التى ظهرت في العصور التاريخية في هيئات إنسانية أو حيوانية أو نباتية كصولجانات أو رموز بدائية كانت في قديم الأزل هى القوى المقدسة المحسوسة في الكون وفى الطبيعة، وأصبحت هذه القوى تظهر بوضوح شيئاً فشيئاً إن لم تكن أشكالها ملموسة في مظهرها من أجل أن تكون سهلة الفهم للإنسان. ومن الممكن توضيح تعدد الأرباب في مصر بواسطة تفضيل مبكر لقوى فوق قوى البشر موجودة خلف كل عنصر من عناصر الطبيعة. وربما استطعنا العودة إلى ما كان بين القوى المقدسة وشكلها الذى ظهرت به في الأرض، حيث يجسد الصقر المعبود السماوى بحكم رشاقته وخفة حركته في السماء كما يسهل ادراك العلاقة بين الثور أو الكبش وبين رب الاخصاب وقوى التناسل، وبالمثل كان الإنسان على إستعداد للتسليم بقدسية التمساح لما فيه من قوى خطيرة تسكن فيه، وهناك من ناحية أخرى روابط بين مختلف القوي لانستطيع تفسيرها كتجسيد المعبود تحوت (أبي العلوم) في هيئة طائر أبو منجل (أبيس) أو في هيئة القرد. على أن تعدد الأرباب بما لكل منها من صفات ثلاث مشتركة (وهى الاسم والتجسيد والوظيفة) قد مكّن في تصور المصري من شيوعها بين معبودين في إقليمين بل في محيط الإقليم الواحد أحياناً.

♦ أرباب النيل في مصر القديمة :

أطلق على نهر النيل في اللغة المصرية القديمة اسم "إيتورو عا". وكانت لمياه النيل، مع القنوات والترع والآبار والبحيرات أهمية في الغسيل والتطهير والطقوس. فقد عبد المصريون القدماء عدداً من الأرباب والربات التي ارتبطت بنهر النيل. وكان الرب الرئيسي بينها هو حابي أو "حابي أبو الأرباب"؛ وكان يصور في

هيئة رجل ذي ثديين وبطن ممتلئة ويطلى باللون الأسود أو الأزرق، ويرمز إلى الخصب الذي منحه النيل لمصر. كما كان حابي يصور حاملاً زهوراً ودواجن وأسماكاً وخضراوات وفاكهة؛ إلى جانب سعفة نخيل رمزاً للسنين. وكان رب النيل يصور أحياناً أيضاً حاملاً على رأسه زهرة اللوتس (شعار مصر العليا) ونبات البردي (شعار مصر السفلى). ومن أرباب النيل أيضا "سوبيك"؛ الرب التمساح، الذى كان يعبد في إسنا وكوم امبو والفيوم. وكان رب الفيضان والخلق هو الرب خنوم، برأس الكبش، وكان يعبد في أسوان. والرب خنوم كان مسئولاً عن خلق البشر ومعهم أرواحهم الحارسة "الكا". وكانت الربة "ساتت" زوجة للرب خنوم، وكان مركز العبادة والعقيدة الرئيسية للرب خنوم في أسوان. وأشرف مركز ديانة أسوان على المياه وتوزيعها من جزيرة الإلفنتين إلى الشمال ومن جزيرة بجاح عند الشلال الأول إلى الجنوب. وكانت "حكت"، الربة الضفدع هي ربة المياه، وكانت تصور عادة قريبة من خنوم؛ عندما كان يشكل الطفل وروحه الحارسة على عجلة الفخراني.

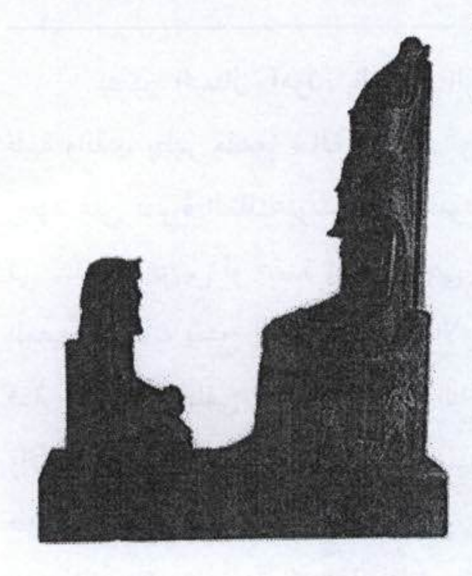


أبيس هو عجل ممفيس المقدس. وقد لقب بابن بتاح. وعندما توفي أبيس، أصبحت والدته الربة إيزيس. وقد لون العجل أبيس باللون الأسود فيما عدا مثلث أبيض صغير على جبهته، وبين قرنيه يوجد قرص الشمس مزين بالصل أو الربة الكوبرا ودجت. كما يوجد على ظهره رسم للربة النسرة المجنحة. وكان مركز عبادة أبيس يقع في شمال ممفيس في مدن سايس وأثريبس بالدلتا.



يصور التمثال آمون، المعبود الرئيسي في ثالوث طيبة والذي يظهر مقدماً ساقه اليسرى. وقد نحتت ملامح وجهه على صورة الملك توت-عنخ-آمون. ويحمل الملك في يديه دم إيزيس أو عقدة إيزيس، وهي تميمة قوية تمكن المعبود من أن يمنح الحماية لأتباعه الأوفياء. وقد فقدت قمة العامود الخلفي للتمثال كذلك التاج ومعظم اللحية والأركان الأمامية للقاعدة. آمون هو ملك الأرباب، والذي ظهر في الدولة القديمة كعضو من مجموعة أرباب الأشمونيين الثماني. وقد كان أمون في فترة مبكرة رباً من الأرباب الصغرى بمدينة طيبة حيث ازدهرت عبادته بالتدريج حتى استطاع أن يحظى بمركز كبير من خلال التطور السياسي للمدينة. ظهر آمون رع رباً للشمس منذ بداية الدولة الوسطى وأصبح في عصر الدولة الوسطى ملكاً للآلهة في جميع أنحاء مصر، وسيد معابد الكرنك. كان مركز عبادته الرئيسية بالكرنك. كان آمون أحد أعضاء ثمون أرباب الأشمونيين حيث كانت زوجته الأولى هى أمونت. ثم أدمج مع الإله رع وأصبح ممثلاً على شكل رجل متوج بريشتين طويلتين وقرص الشمس. وكون أمون رع مع زوجته موت وابنه خونسو رب القمر الثالوث المقدس لطيبة، أى العائلة المقدسة لشعب طيبة. وكان يقام مهرجان سنوى للاحتفال بزواج آمون وموت.

أتون هو رب الشمس خالق الكون والمعبود الرئيسي لمجموعة الأرباب التسعة في هليوبوليس، ويعني اسم أتون الكامل أو المثالي. وكان يشار لأتوم كرب عين شمس لارتباطه بالرب رع ليصبح (رع – أتون). وكان أتون يصور في أغلب



الأحيان على هيئة رجل مرتدياً تاجاً مزدوجاً ويحمل الصولجان واس. ولأتون عدد من الأشكال المقدسة من بينها الأسد والثور والنمس والسحلية كان أتون مثل إلهة هليوبوليس، إله الشمس. ومنذ بداية الدولة الحديثة، أصبح تأثير ديانة هليوبوليس في ازدياد. ووصلت إلى أعلى مراتبها في عهد الملك إخناتون، الذي أهمل جميع الديانات التقليدية في مصر، لتبجيل رب واحد فقط، وهو أتون، الذي تمثل في شكل قرص الشمس، بأشعتها التي تنتهي بأيد بشرية، لتمنح الحياة والرخاء للأسرة الملكية. وكان معبد أتون في العمارنة، عاصمة إخناتون، أو في الكرنك، بدون سقف، ليسمح لأشعة الشمس بالتغلغل في داخله. بعد وفاة إخناتون، عاد أتون مرة أخرى، لمكانته الأولى، كأحد الأرباب المصرية.

◆ أدب المقابر المصرية القديمة :

بدأت، مع نهاية الأسرة الخامسة، تظهر نصوص دينية طويلة تعرف "بمتون الأهرام"؛ وقد شوهدت أول الأمر في هرم الملك أوناس بمنطقة سقارة. ويتكون مثل هذا النص من مئات التعويذات التي تتحدث عن موت ودفن وحماية الملك وبعثه في العالم الآخر. ومنذ ذلك العصر فصاعداً؛ استخدمت تعاويذ القرابين، التي كانت نصوصاً جُعلت بغرض التلاوة أثناء تقديم القرابين. وقد استخدمت تلك

التعاويذ كثيراً وبشكل واسع على الأبواب الوهمية واللوحات وتوابيت الأفراد أو الشخصيات الملكية؛ مثل تابوتي الملكة "كاويت" والملكة "أشاعيت".

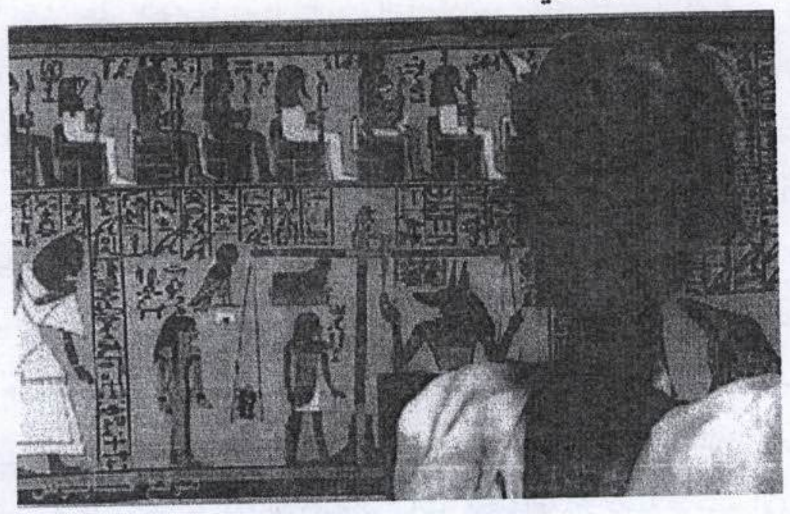
ومع بداية عصر الدولة الوسطى أو ربما قبل ذلك أصبحت الأدوات الجنائزية تزين بتعاويذ شخصية جديدة تعرف باسم "متون التوابيت"، لأنها كانت غالباً تنقش على التوابيت؛ مثل تابوت الوزير "داجي". وكانت متون التوابيت تحتوي أيضاً على نوع جديد من النصوص الجنائزية تحت مسمى "دليل العالم الآخر"، وقد أمدت المتوفى بأوصاف لمختلف الأماكن في العالم الآخر؛ مع الكلمات التي تعين روح المتوفى في المرور من خلالها بسلام. ومن أكثر تلك الأدلة تعقيداً، ذلك الدليل الذي يزين تابوت الجنرال "سبي"؛ ويسمى "كتاب الطريقين". وبداية من عصر الانتقال الثاني فصاعداً أصبحت النصوص الجنائزية تقسم إلى عدد من المؤلفات المميزة المنفصلة. وخلال عصر الدولة الحديثة؛ من الأسرة الثامنة عشرة وحتى الأسرة الحادية والعشرين ظهرت نصوص كتاب العالم الآخر العامرة بالرسوم الإيضاحية على جدران المقابر وفي البرديات؛ تعقبها نسخ كاملة الرسوم الإيضاحية من كتاب الموتى وغير ذلك من النصوص الدينية. وفي ذات الوقت فإن جدران المعابد قد غطيت بمشاهد طقسية وأشكال تصويرية. وكذلك فإن مؤلفاً جنائزياً يعرف باسم "طقس فتح الفم" قد طور في عصر الدولة الحديثة. ويتكون ذلك الطقس من٧٥ مشهداً؛ كانت تُمكِّن الكاهن من المساعدة في إعادة الحياة للأجزاء المختلفة من جسد المتوفى عبر تمثاله.

♦ الأثاث الجنائزي :

كانت توضع هذه القطع من الأثاث الجنائزى فى العديد من مقابر الأفراد كى يستخدمها المتوفى فى العالم الآخر. ولقد عثر على هذه الكراسى والسلال

فى مقابر الدولة الحديثة غرب طيبة. وتأتى السلة الكبيرة من مقبرة (رع – موسى) و(حات – نفر) والدى "سنموت" مهندس الملكة حتشبسوت. هناك أيضاً كرسى بلا ظهر وآخر بظهر منخفض. وتشبه هذه الأعمال الفنية السلال والكراسى التى لاتزال توجد فى منازل المصريين المعاصرين؛ خاصة فى الريف.

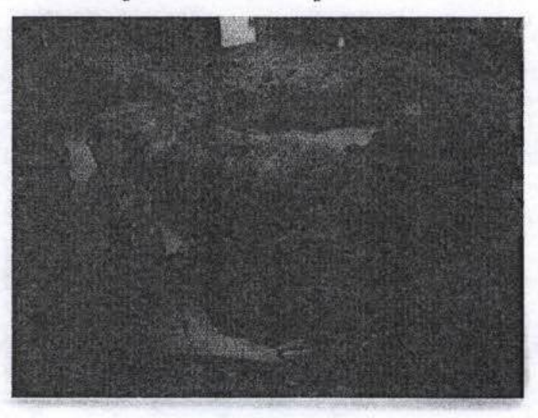
❖ التحنيط الفرعوني :



التحنيط الفرعوني ارتبط بعقائد ما بعد الموت

عند سماع مفردة تحنيط أو مومياء فأن أول ما يقفز إلى الذهن طبعاً هو مصر الفرعونية، فالمصريين القدماء كانوا بحق الأبرع في هذا المجال، لا يبارزهم في ذلك أحد، لأن التحنيط لديهم أرتبط بشكل وثيق بعقائد ما بعد الموت فاكتسب أهمية قصوى وحاز عناية فائقة، فبدون جسد محنط تنعدم فرصة المرء في أن يبعث حياً بعد الموت، ويكون مصيره الفناء والعدم، ولتفادي هذا المصير المرعب حنط المصريون القدماء ملايين المومياءات خلال آلاف السنين، لم يفعلوا ذلك بطراً ولا لهواً، وإنما لأن التحنيط كان بوابتهم نحو الخلود.

هناك لغط وجدل كبير حول الفترة التي مارس الفراعنة التحنيط فيها لأول مرة، والمؤكد تاريخياً هو أن الجثث المحنطة الأولى لم تكن من صنع قدماء المصريين، وإنما يعود الفضل في تحنيطها إلى الطبيعة، حيث ساهم مناخ مصر الصحراوي الجاف والحار في تحويل الجثث إلى مومياء بشكل طبيعي، وأقدم نماذج تلك المومياءات الطبيعية تعود إلى عصر ما قبل الأسر الحاكمة، حيث عثر المنقبون في أواخر القرن التاسع عشر على مجموعة منها مدفونة في قبر جماعي، وكانت إحداها مومياء لامرأة أطلق عليها المنقبون اسم جينجر (**Ginger**) بسبب خصلات شعرها الحمراء، وهي معروضة الآن في المتحف البريطاني.



المومياء جنجر .. حنطتها الطبيعة

وإذا كانت الجثث المحنطة الأولى قد ولدت من رحم أرض مصر، فلا شك في أن المصريين القدماء أدركوا في وقت مبكر خاصية أرضهم العجيبة في تحويل الجثث إلى مومياء، وحتماً لعب هذا الإدراك دور كبير في تطور عقائد ما بعد الموت لديهم، فحين كانوا يفتحون القبر لسبب أو لآخر بعد سنوات طويلة على الوفاة، كانوا يكتشفون بأن الجثة ماتزال محفوظة بصورة جيدة كأنها دفنت حديثاً، وكان ذلك يثير في نفوسهم حتماً العديد من الأسئلة المتعلقة بمصير

الإنسان بعد الموت، أسئلة تبلورت بالتدريج للتحول إلى بواكير أقدم المعتقدات في تاريخ بني البشر فيما يختص بالموت والبعث والقيامة والحساب.

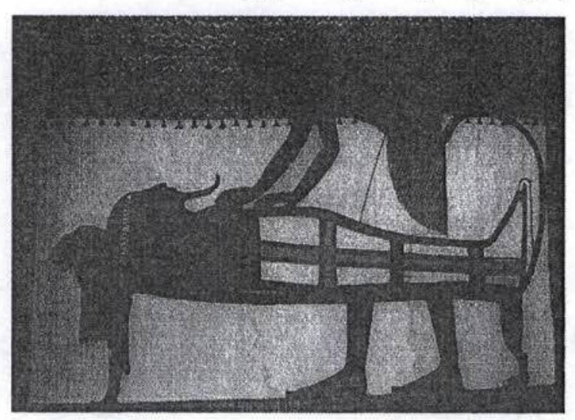
◆ أنواع التحنيط :

بعيداً عن السرد التاريخي الرتيب لتطور صنعة التحنيط عبر العصور، فإن المصريين عرفوا التحنيط منذ عهد السلالة الأولى (٣١٠٠ ق.م) وتطورت هذه الصنعة لديهم لتبلغ أوج كمالها ورقيها في عهد السلالة الواحدة والعشرين. عملية التحنيط بحد ذاتها كانت تجرى وفق طرق وأساليب مختلفة يلعب المقام والجاه والثراء دوراً كبيراً في تحديدها. فبحسب المؤرخ الإغريقي هيرودوت كانت هناك ثلاث طرق رئيسية للتحنيط، بسيطة ومتوسطة وموسرة، النوع الأول كان من نصيب الفقراء الذين كان تحنيطهم يقتصر على غسل الجثة وتجفيفها في الملح، فيما حظي التجار وأرباب الحرف والموظفين الصغار بالنوع المتوسط، حيث كان زيت الصنوبر يستخدم لإذابة أحشاء الميت واستخراجها من دبره ثم تجفف الجثة وتلف بالكتان، أما النوع الأخير؛ أي الأكثر اتقاناً وتفصيلاً؛ فكان من نصيب الأغنياء والنبلاء، ويجري فيه إخراج جميع الأحشاء من الجسد بعناية. وغني عن القول هنا أن أكثر المحنطين حرفية، وأفضل المواد وأغلاها، كانت من نصيب الفرعون وأسرته.

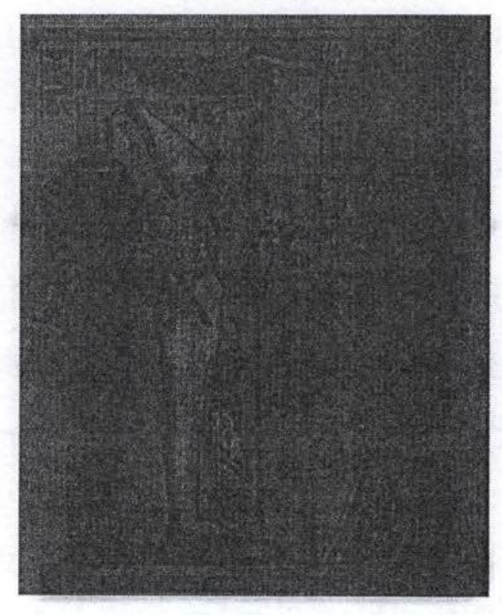
◆ كيف يتم التحنيط :

التحنيط إقترن بأنوبيس إله الموتى وحارس العالم السفلي، الذي كان يصور بجسد بشري ورأس ابن آوى، وكانت وظيفته تقوم على مرافقة الميت ومساعدته في تخطي العقبات خلال الرحلة الطويلة والمخيفة للمثول أمام اوزيرس، رب العالم السفلي وقاضي محكمة الموتى. ورحلة الميت الشاقة تلك كانت تنطلق عند

ضفاف النيل، حيث ينقل جسد الميت بالقارب إلى الضفة الغربية من النهر حيث تنتصب حوانيت إيبو (Ibu) أي بيت التطهير، والتي كانت مثل دور الجنائز في عصرنا الحالي، يديرها كهنة ومحنطون محترفون.



الإله انوبيس يهيء الميت لرحلته الأخروية

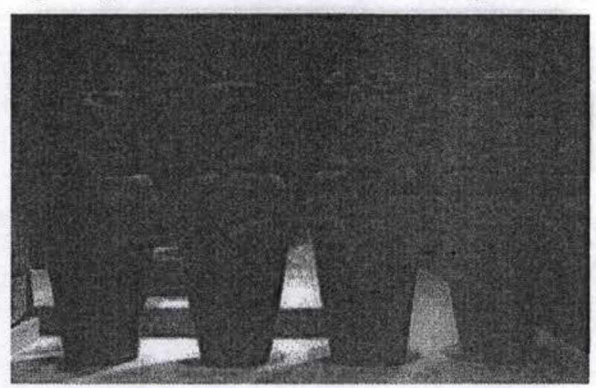


الإلهة اوزيريس .. نصفها الأسفل مومياء

عملية التحنيط الطويلة كانت تبدأ بمد الميت فوق منضدة خشبية كبيرة حيث تغسل جثته وتطهر بواسطة ماء النيل ونبيذ النخل (**Palm wine**) ثم تجفف استعداداً للخطوة التالية التي تتطلب استخراج أحشاء الميت عن طريق فتحة تشق في الجانب الأيسر من البطن، جميع الأحشاء كانت تستخرج عبر هذه الفتحة باستثناء القلب الذي كان يبقى في مكانه بسبب أهميته القصوى بالنسبة للميت، فهو الذي سيحدد مصيره في محكمة الآلهة، لأن الميت من دون قلب لن يكون بإمكانه أبداً اجتياز تلك المحاكمة الرهيبة. أما الأحشاء المستخرجة (الكبد والرئة والمعدة والأمعاء) كانت تغسل جيداً بالنبيذ والمر ثم تجفف في ملح النطرون (**Natron**) وأخيراً تطوى في لفائف الكتان وتحفظ في أربعة جرار فخارية تعرف باسم الجرار الكانوبية (**Canopic jars**) وهي تصنع على هيئة أبناء الإله حورس الأربعة. وبالنسبة للدماغ فإن قدماء المصريين، مثل جميع شعوب العالم القديم، لم يعيروه اهتماماً. كانوا يعتقدون بأن القلب هو مركز الذكاء والتفكير والإحساس، أما الدماغ فاعتبروه كما الزائدة الدودية بالنسبة لنا اليوم، أي عضو زائد بدون أي فائدة، لهذا كان المحنطون يستخرجونه بواسطة قضيب معدني من خلال فتحات الأنف ويرمونه بعيداً.

بعد الغسل والتنظيف واستخراج الأحشاء، يصبح الميت كدجاجة نظفت بالكامل من الداخل والخارج، وأصبحت مهيئة للطبخ، لكن قدماء المصريون ما كانوا ليطبخوا موتاهم بالطبع، وإنما كانوا ينقعوهم ك (المخلل) في محلول الملح حسبما ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوت في معرض حديثه عن التحنيط. بيد أن العلماء اليوم لهم رأي مغاير لما ذكره هيرودوت، فالمرجح لديهم هو أن الجثة كانت تمد فوق منضدة خشبية كبيرة ثم تحشى وتغطى بملح النطرون الجاف الذي

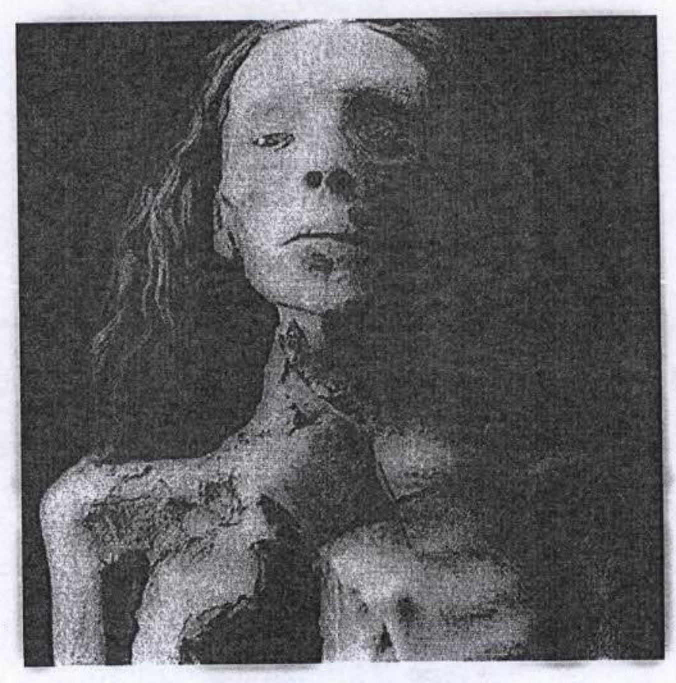
كان يعمل على امتصاص السوائل منها فيمنع بذلك تحللها، وكانت هذه العملية تستغرق أربعين يوماً، وربما يعود طقس أربعينية الميت الذي نمارسه اليوم في أصوله إلى فترة الأربعين يوماً التي كانت الجثة الفرعونية تمضيها في الملح.



الجرار الكانوبية (أواني كانوب) .. فيها تحفظ أحشاء الميت

بعد انتهاء مرحلة التجفيف كانت الجثة تستخرج من الملح وتنظف وتغسل بحذر بمياه النيل، ثم كانت تدهن بزيت شجرة الأرز (**Oil of Cedar**) لمنح الجلد الجاف بعض الطراوة، وأخيراً تنقل إلى بيت التجميل حيث يضع المحنطون لمساتهم الأخيرة عليها، يحشونها بمواد جافة كنشارة الخشب والمر لكي تستعيد هيئتها وشكلها السابق، ويقومون بإخفاء الجروح والخدوش بالأصباغ، وأخيراً كانوا يمسحونها بمزيج من الزيوت المعطرة والبخور والمر – صمغ الراتنج (**Resin**) – واللبان. بعد ذلك تأتي مرحلة لف الجثة وكانت تعتبر آخر مراحل التحنيط، وهذه العملية كانت تستغرق ما بين ١٣ إلى ١٥ يوم، تختفي الجثة خلالها وراء ٩ كيلوجرامات من لفائف قماش الكتان التي كانت تلصق إلى بعض بواسطة صمغ الراتنج، وهو صمغ كان يستورد من اليمن. الطريف أن الفرس حين احتلوا مصر أواخر القرن السادس قبل الميلاد ظنوا خطأً بأن صمغ الراتنج المستعمل في لف

المومياء هو مادة بيتومين (Bitumen) – تستعمل اليوم في تعبيد الشوارع –، وهذه المادة تسمى بالفارسية (موم)، لهذا سميت الجثث المحنطة بالمومياء (Mummy). عملية لف الجثة كان يتخللها ترتيل الكهنة للأدعية والصلوات ودس العديد من التعاويذ والحجب السحرية بين طيات لفائف الكتان لطرد الأرواح الشريرة ولتسهيل خروج الـ (كا) من الجسد. وفي النهاية كانوا يرسمون صورة الميت فوق الكفن الكتاني أو يغطون الوجه بقناع الموت (قالب مأخوذ عن وجه الميت).



مومياء جدة الفرعون توت عنخ آمون

عملية التحنيط كلها، أي تجهيز الجثة وتجفيفها ولفها كانت تستغرق سبعين يوماً، يأتي بعدها أهل الميت وأقاربه لاستلام مومياءه التي كانت تشيع في

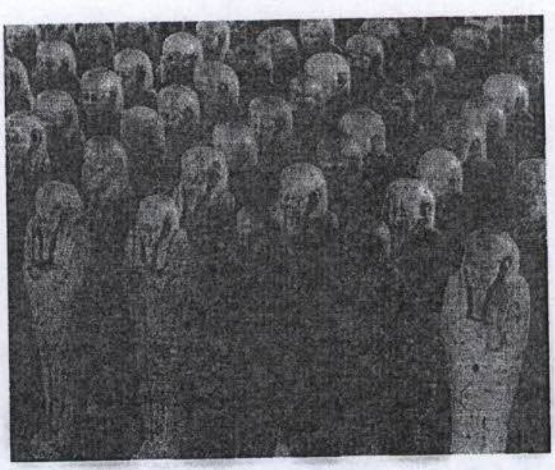
موكب مهيب نحو المدافن، لكن قبل دفنها كان يجب القيام بخطوة أخيرة لتتمكن المومياء من المضي في رحلتها نحو العالم الآخر، وهذه الخطوة تدعى طقوس "فتح الفم"، يؤديها أحد الكهنة من أجل إعادة بعض القدرات التي فقدها الميت بمفارقته للحياة، مثل النطق وتناول الطعام، وكذلك لجعل "البا" (الروح) تفارق الجسد لتتحد مع "الكا" (القرين)، وسنأتي على ذكر ذلك بالتفصيل لاحقاً. الطَريف أن المصريين القدماء كانوا يؤجرون نائحات محترفات ينحن على الميت ويندبنه خلال تشييعه إلى مثواه الأخير، وذلك لكي تظن الآلهة بأن الفقيد كان شخصاً محبوباً في دنياه فتكافئه بدخول الجنة.



مومياء الفرعون ساتي الأول .. لاحظ روعة تحنيط الوجه

المومياء كانت توضع في داخل ناووس حجري كبير (تابوت)، وكانوا يضعون مع الميت في قبره الجرار الكانوبية التي تحتوي أحشاءه، إضافة إلى بعض مقتنياته الثمينة ليستفيد منها في حياته الأخرى، وتوضع في القبر أيضاً تماثيل

صغيرة تدعى أوشبتي (Ushabti) وظيفتها القيام بالأعمال التي ينبغي على الميت أدائها في العالم الآخر، فجنة المصريين القدماء تختلف عن الجنة التي نعرفها اليوم، إذ كانت تحتوي على حقول ومزارع سماوية يعيش فيها الموتى الصالحون، وهذه الحقول هي مثل الحقول الأرضية بحاجة إلى عناية ورعاية دائمة، وهي مهمة كانت توكل إلى الـ (أوشبتي) ليقوم بها بدلاً عن سيده الميت، فكانوا يضعون ٣٦٠ أوشبتي مع الميت، على عدد أيام السنة الفرعونية، ليقوم كل واحد منهم بعمل يوم واحد من السنة وهكذا دواليك.

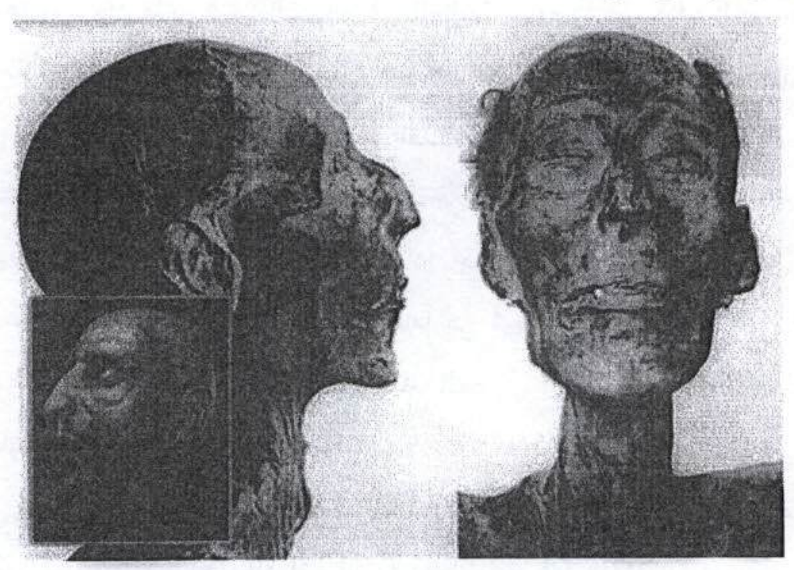


الأوشبتي .. خدم الميت في العالم الآخر

◄ العلماء يحاولون إماطة اللثام عن أسرار التحنيط التحنيط الفرعوني :

لعقود طويلة اختلف العلماء حول الطريقة والمواد التي استعملها المصريون القدماء في تحنيط موتاهم، ومرد هذا الخلاف الطويل يعود في حقيقة الأمر إلى قدماء المصريين أنفسهم، فهم لم يذكروا أبداً كيف كانوا يحنطون موتاهم، تركوا لنا ما لا يحصى من النقوش والرسوم والكتابات والتماثيل لكنهم لم يتطرقوا أبداً إلى التحنيط، كأنهم لم يمارسوه أبدا!. كان أحد أسرارهم الكثيرة التي أخفوها عنا

لسبب ما، مثلما لم يخبرونا أبداً كيف شيدوا أهراماتهم .. وما الغرض منها ؟ .. ولم يحدثونا عن مسلاتهم الشاهقة الارتفاع التي تزن مئات الأطنان .. لماذا وكيف نحتوها ونقلوها ونصبوها ؟.



مومياء الفرعون رمسيس الثاني مع صورة تخيلية لشكله الحقيقي

ولأن الفراعنة سكتوا عن التحنيط ولم يذكروه في بردياتهم، لجأ العلماء إلى المصادر الإغريقية والرومانية علّهم يجدون فيها جواباً لأسئلتهم الحائرة. ويعد ما كتبه المؤرخ هيرودوت هو الأكثر تفصيلاً بهذا الخصوص، فالرجل زار مصر بنفسه منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وتحدث إلى كهنتها، إلا أن بعض ما ذكره يبدو غير منطقياً؛ كغمر الجثث في محلول الملح؛ الأمر الذي يتطلب أوني وقدور ضخمة، بينما وضعها في الملح الجاف يبدو أسهل وأكثر عملية. ومن أجل قطع الشك باليقين، وفي محاولة لإماطة اللثام عن لغز التحنيط، شمر عالمان أمريكيان عن سواعدهما لخوض تجربة مثيرة يقومان خلالها بتحنيط جثة بشرية

حقيقية بنفس الوسائل والأساليب التي أتبعها قدماء المصريين، أي أنها في الحقيقة أول عملية تحنيط لمومياء بشرية منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام.

التجربة التي أجريت في جامعة ماريلاند الأمريكية عام ١٩٩٤، كان يقف وراءها رون واد مدير قسم التشريح في الجامعة، وبوب براير عالم المصريات في جامعة لونجايسلند الأمريكية. خطوة الرجلان الأولى تمثلت في السعي للحصول على جثة بشرية، وقد أثار دهشتهما العدد الكبير من الأشخاص الذين اتصلوا عارضين التبرع بأجسادهم بعد الموت للتجربة، لكنهما لم يرغبا بأي جثة، كانت لديهما شروط خاصة يجب توفرها. أرادا جثة لم يخضع صاحبها لأي عملية جراحية طوال حياته، ويخلوا جسده تماماً من أي أورام أو أمراض المزمنة، كما أراداه متوسط الحجم، أي بحجم الإنسان المصري القديم. وفي الحقيقة لم يطل انتظارهما كثيراً، إذ سرعان ما توفرت لهم جثة مستوفية الشروط تعود لرجل عجوز توفي بالسكتة القلبية. ولأن رون وبوب أرادا لتجربتهما أن تكون مصرية مائة في المائة؛ لذا طلبا من أحد الصاغة أن يصنع لهما سكاكين وأدوات معدنية مطابقة تماماً لتلك التي استعملها قدماء المصريين، وقدم لهم النجار طاولة خشبية كتلك التي كانت تمدد فوقها الجثث خلال عملية التحنيط، كما لم يبخل عليهما قسم السيراميك في جامعة ماريلاند بصناعة مجموعة متكاملة من الأواني والقدور الفخارية، تشبه تلك التي استعملها قدماء المصريين، مع ٣٦٠ تمثال (Ushabti) كتلك التي كانت توضع مع المومياء في القبر. أما مواد التجربة فقد سافر الرجلان إلى مصر لجمعها، ذهبا إلى وادي النطرون لجمع ٦٠٠ باوند من ملح النطرون الطبيعي، كما اشتريا من الأسواق المصرية مقادير مختلفة من نبيذ النخل وزيت الصنوبر وصمغ الراتينج الطبيعي (المر) واللبان.

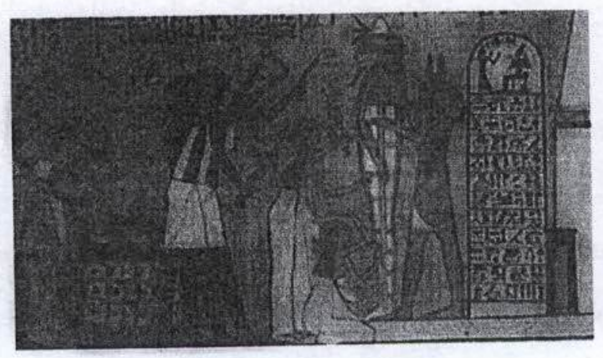
والآن بعد أن تهيأت أسباب التجربة، شرع بوب ورون بتحنيط جثة العجوز داخل إحدى غرف مدرسة الطب في بالتيمور، مددا الجثة أولاً فوق طاولة التحنيط الخشبية واستعدا لاستخراج الدماغ بنفس الأسلوب الذي استعمله المحنط المصري القديم، أي عن طريق إدخال قضيب معدني معقوف الرأس عبر فتحات المنخر لتفتيت الدماغ واستخراجه قطعة فقطعة، لكن ذلك لم يكن سهلاً أبداً، بل بدا لوهلة مستحيلاً، أي اخراج الدماغ عبر هذه الفتحة الصغيرة، لكن بعد عدة محاولات توصلا للطريقة المثلى، فقد استعملا القضيب المعدني لتفتيت الدماغ ومزج محتوياته وتحويله إلى حالة شبه سائلة ثم قلبا الجثة على بطنها فنزلت "شوربة الدماغ" عبر فتحات المنخر بسهولة!، وأخيرا قاما بغسل تجويف الجمجمة وتطهيرها بنبيذ الخل واللبان. الخطوة التالية كانت اخراج الأحشاء، وتماماً كما كان يفعل قدماء المصريين، قاما بشق فتحة في الجانب الأيسر من بطن الجثة ثم استخرجوا الأحشاء كلها باستثناء القلب الذي كان المصريون يبقونه داخل الجثة، بعد ذلك قاما بغسل الأعضاء بنبيذ الخل واللبان والمر ثم جففوها في ملح النطرون وحفظوها في جرار الكانوبية الأربعة. وأخيراً عادا وغسلا التجويف البطني للجثة باستعمال نبيذ الخل والمر، ثم ملئوا التجويف برزم صغيرة من ملح النطرون الملفوف بقماش الكتان. وأخيراً غطيا الجثة كلها بـ ٦٠٠ باوند من ملح النطرون. عملية التجفيف استمرت لـ ٣٥ يوماً؛ قام العالمان في نهايتها باستخراج الجثة من الملح، وأفرغا التجويف البطني من رزم الملح ثم مسحاه بعناية بنبيذ الخل، وفي النهاية حشواه بنشارة الخشب واللبان والمر وأوراق اللوتس والصنوبر. وفي هذه المرحلة من التحنيط قام العلماء بأخذ عينات من نسيج المومياء الداخلي والخارجي، وكم كانت دهشتهم كبيرة حين اكتشفوا بأنه وبعد ثلاثة أشهر على موت

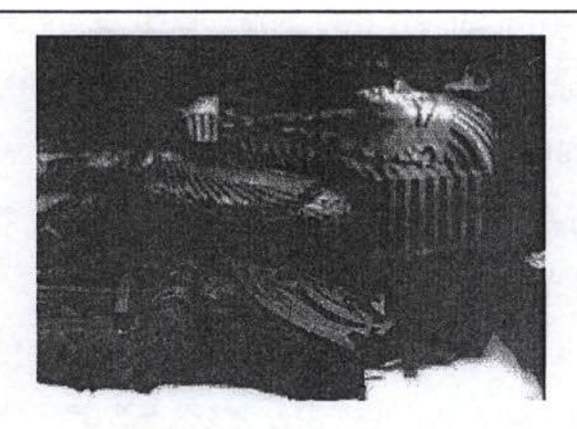
العجوز محل التجربة فإن جسده الميت يبدو خالياً تماماً من البكتيريا!، وهذا يكشف سر نجاح المومياءات المصرية في الاستمرار لآلاف السنين.



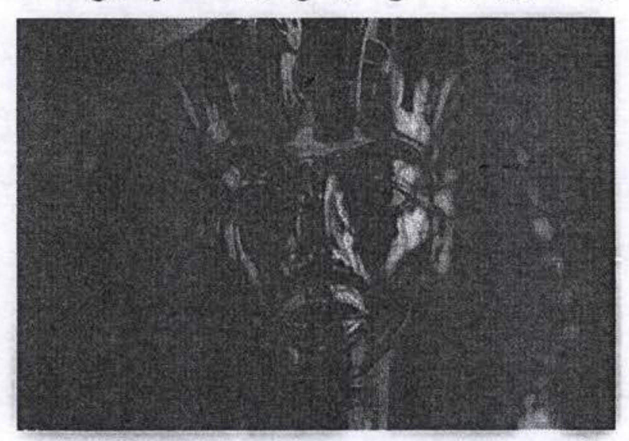
العالمان الأمريكيان مع المومياء التي صنعاها

الخطوة الأخيرة في عملية التحنيط كانت لف المومياء بلفائف الكتان، وقد استمرت هذه العملية لعدة أيام وضعوا خلالها عدداً من التعاويذ السحرية كتلك التي كان يضعها المصريون القدماء مع المومياء. وفي النهاية أصبحت المومياء التي أطلقوا عليها اسم مومابٍ (**Mumab**) مستعدة لبدء رحلتها إلى العالم الآخر، لكن المومياء الأمريكية انتهت رحلتها إلى داخل ناووس خشبي معروض في متحف الإنسان في مدينة سانديیجو.





مومياء الفرعون توت عنخ آمون مع ناووسه الذهبي الرائع الجمال



◄ لماذا كان المصريون يحنطون موتاهم ؟

إن إدراك مغزى التحنيط وسببه يتطلب في المقام الأول إلماماً بالديانة الفرعونية وعقيدة الموت لدى قدماء المصريين، وهي عقيدة يشوبها شيء من التعقيد مقارنة بمعتقداتنا الدينية في العصر الحاضر؛ فالروح الفرعونية لم تكن كياناً واحداً كما هو مفهوم الروح المتعارف عليه لدى أتباع الأديان الإبراهيمية، بل كانت تتألف من أجزاء عدة هي : الاسم (Ren)، الظل (Sheut)، الروح (Ba)، النفس (Ka)، الروح النورانية (Akh). وباستثناء الروح النورانية فإن جميع

الأجزاء الأخرى تولد مع الإنسان، فالظل يرافقه مدى الحياة، فلا يوجد إنسان حي بدون ظل، وهو يرافقه بعد الموت أيضاً كجزء من روحه وكيانه. والحال نفسها بالنسبة للاسم، فهو يمنح للإنسان عند الولادة ويبقى مرافقاً له في الحياة والممات، فهو جزء مهم من كيانه يستحيل على الميت اجتياز محكمة الآلهة بدونه، لهذا كان مسح اسم الشخص وعدم نطقه يعتبر من أشد العقوبات بالنسبة للمصري القديم.

الـ (با) : هي أشبه بالروح، ولكل إنسان (با) خاصة تميزه عن الآخرين، تولد معه وتبقى بعد موته، صورها المصريون القدماء على هيئة طائر برأس بشري، وهي تطير منتقلة ما بين العالم المادي والعالم الأخروي، تتماهى مع حركة إله الشمس (رع)، تحلق مع بزوغ الشمس لتتحد مع النفس (كا) ثم تعود إلى القبر والعالم السفلي عند الغروب. وقد آمن المصريون بأن الـ (با) لن تستطيع العودة إلى القبر ما لم تتعرف على جسد صاحبها، لذلك حرصوا على أن تكون المومياء شبيهة بهيئة الميت حين كان على قيد الحياة.

الـ (كا) : هي القرين، ويمكن تشبيهها بنسخة مطابقة تماماً للإنسان (Copy)، فكل إنسان تخلقه الآلهة تجعل معه قريناً يرافقه كالظل في حياته ويفارقه عند مماته، لكن حتى بعد الممات يبقى الـ (كا) مقترناً بالجسد، فبدون جسد الميت (مومياء) لن يتمكن قرينه، أي الـ (كا) من البقاء، وهو يحتاج إلى الطعام والماء والعناية لكي يتمكن من الاستمرار، لهذا السبب كان المصريون يضعون طعاماً وماءاً في القبر مع الميت، كانوا يؤمنون بأن الـ (كا) إذا أهملت من قبل أهل الميت فأنها قد تترك القبر وتتحول إلى أرواح شريرة تطارد الأحياء.



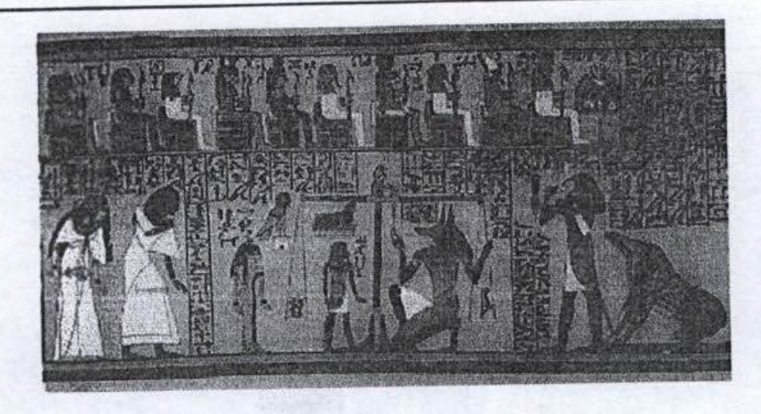
رمز الـ (كا) لدى المصريين القدماء



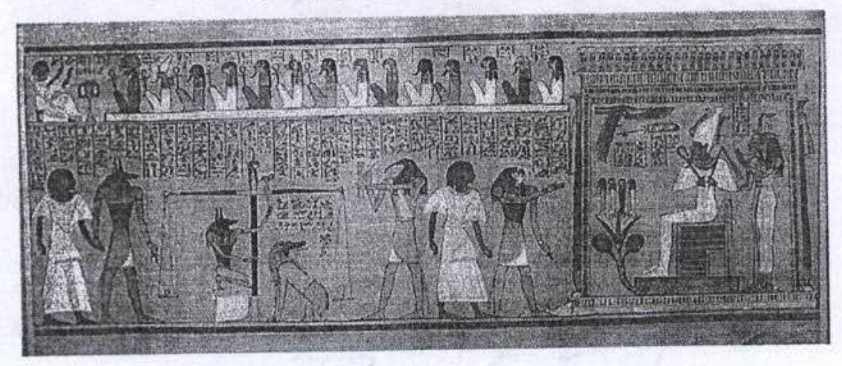
الـ (با) تعود الى الجسد



الـ (اخ) الروح النورانية: هي طاقة نورانية، وتعني الـ "المؤثر" أو "الفعال"، تنتج عن اتحاد الروح (با) مع النفس (كا) لتنال الخلود مع الآلهة في السماء، وهي غاية كل مصري قديم، لكن ليصل إليها فهو بحاجة للقيام برحلة مهولة يجتاز خلالها ظلمات العالم السفلي وبواباته المسحورة وصولاً إلى قاعة الحقيقتين، حيث محكمة الآلهة العظام، هناك ستمثل روحه أمام أوزيريس وآلهة المحكمة القضاة، سيدفع الميت ببراءته من الذنوب والآثام، وللتأكد من ذلك سيوضع قلبه في كفة الميزان مقابل ريشة الحقيقة (ماعت) ، الناجون من هذا الاختبار ستصعد أرواحهم إلى السماء لتنال الخلود مع الآلهة، أما من ثقلت موازينهم فبانتظارهم الوحش المرعب (أمميت)، المتربص بقلوب الخاطئين ليلتهمها فيكون مصير أصحابها الفناء والعدم.



صفحة من كتاب الموتى .. انوبيس يزن قلب الميت



محاسبة الميت أمام أوزوريس، الإله توت يسجل بالقلم نتيجة الميزان، والوحش الخرافي " عمعموت " يقف مستعدا لالتهام الميت وقلبه إذا كان كاذبا مجرما في حياته. يقف الأربعة أبناء لحورس أمام أوزوريس على زهرة اللوتس (**Papyrus of Hunefer**)

(الأسره التاسعة عشر– في المتحف البريطاني).

والآن أظن بأن المغزى من التحنيط أصبح واضحاً، فالمصري القديم كان متعطشاً للخلود، وكان يكره فكرة الفناء، لهذا بذل قصارى جهده ليضمن لنفسه حياة أخرى بعد الموت – وهذا يفسر ارتباط معظم الآثار المصرية بالقبور والمدافن – لكنه بحاجة إلى جسد لضمان الوصول إلى غايته، فبدون جسد لا يوجد اسم

ولا ظل ولا قلب، وهي أمور سيحتاجها عند المثول في حضرة الآلهة في محكمة الموتى، كما أن الـ (با) لن تتمكن من العودة إلى القبر بدون جسد ولا الـ (كا) ستتمكن من البقاء والاستمرار، وبدون الـ (با) و الـ (كا) لن يحصل أبداً على الخلود .. ما العمل أذن ؟ كيف يضمن المصري القديم بقاء جسده بعد الموت وعدم تحلله وفناءه ؟. الحل طبعاً يكمن في التحنيط، بالضبط كما فعلت الربة (ايزيس) مع رفات زوجها الحبيب (أوزيريس) ملك مصر العظيم الذي مزق جسده أرباً أخوه الحاقد والشرير الإله (ست). لقد لملمت ايزيس أشلاء زوجها، حفظتها وجمعتها ثانية، فقام أوزيريس من بين الموتى ليصبح شفيع المصريين وحبيبهم؛ رب العالم السفلي؛ القاضي الديان في محكمة الموتى، وهكذا فإن كل مصري على مدى ثلاثة آلاف سنة كان يحرص أشد الحرص على حفظ جسده، فهو يرغب في حياة جديدة بعد الموت، تماماً مثل آلهة الحبيب، يود أن يتحد بالرب ويصبح خالداً مثله .. أوزيريس .. يالها من فكرة سامية، أن يصبح الإنسان رباً !.

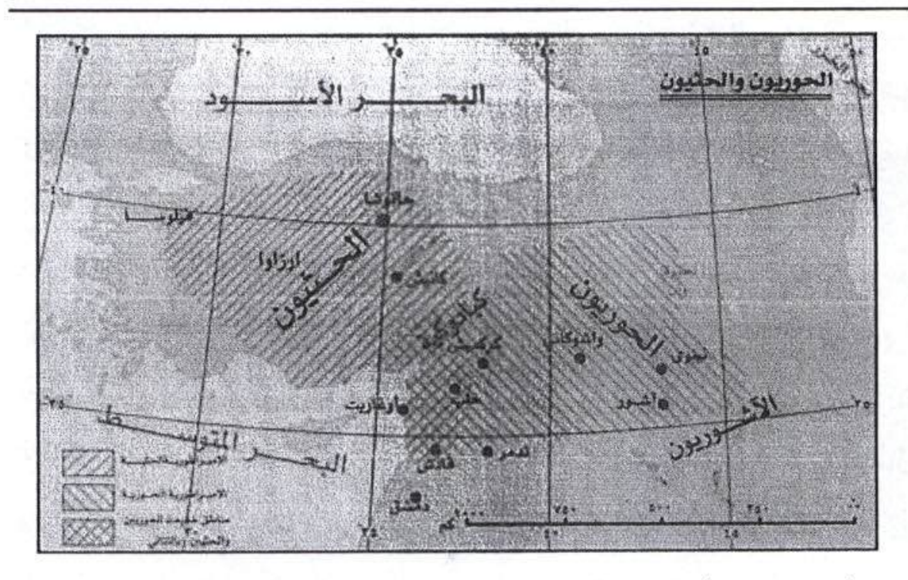
◆ ملحوظة : ما سبق عرضه هو بنوراما مصغرة لحضارة مصر الفرعونية حيث أن الكاتب استعرض في كتابه تحت "عنوان حضارة وادي النيل" في جزئيه تلك الحضارة العريقة باستفاضة.

*****

الفصل الثالث

الحضارة الحيثية

الحيثيون أحد الشعوب القديمة المتحدثة للغة الهندية الأوروبية والتي أنشأت مملكتها المتمركزة في حاتوسا (Hattusa) (URUḪattuša) الحيثية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. جاء الحيثيون إلى آسيا الصغرى على الأرجح من شمالها الشرقي عبر المنطقة الفاصلة بين البحر الأسود وبحر قزوين، واستقروا في إقليم كبادوكية في وسط الأناضول حول المنعطف الواسع لنهر قزل إرمك (هالوس سابقاً) الذي يصب في البحر الأسود، حيث وجدوا طبقة من السكان المحليين عرفوا باسم "حَتّي" أو الحاثيين Hattians كانوا يشكلون دولاً صغيرة يحكمها أمراء محليون، كما احتكوا مع الساميين الغربيين في شمالي سوريا والرافدين وكذلك مع الحوريين في شرقي الأناضول. وبعد أن استوطنوا في شمال شرقي الأناضول أقاموا مملكة قوية كان لها دوراً مهم في تاريخ الشرق القديم في الألف الثاني قبل الميلاد، وشاركت في صنع حضارته القديمة. وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد بلغت مملكة الحيثيين ذروتها؛ شاملة وسط الأناضول وجنوب غرب سوريا وصولاً إلى أقصى حدود أوغاريت وبلاد الرافدين العليا. بعد عام ١١٨٠ ق.م؛ ووسط الاضطراب العام في بلاد الشام المرتبط بوصول شعوب البحر؛ تفككت المملكة إلى العديد من دول "الحيثية الجديدة" وقد ظل بعضها قائماً حتى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.



❖ الهاتيان والحيثيون :

الحيثيون هم شعب هندوأوروبي سكنوا بآسيا الصغرى وشمال بلاد الشام منذ ٣٠٠٠ ق.م في نفس الفترة التي سكن جيرانهم السومريون بلاد الرافدين، وهم من قبائل الأناضول الهندوأوروبية التي تعرف باسم (ختي). ورد ذكرهم في النصوص المكتوبة بالمسمارية باسم بلاد ختي في مناطق الأناضول، وكان سكانها يسمون أنفسهم نسيين، واعتمدت النصوص الحديثة باللغة العربية صيغة الاسم الوارد في التوراة وهي الحيثيون، وسماهم الرومان هيثي (باللاتينية **Hetthaei**).

وكانوا يسمون بلادهم في أيام المملكة الثانية باسم بلاد خاطى أو حاطى أو خاتي وشملت مملكتهم الأناضول جزءاً كبيراً من شمال غرب الهلال الخصيب في العهد الحيثي. إزدهر الحيثيون عام (٢٠٠٠-١٢٠٠) ق.م وأنشأوا دولة قوية عاصمتها هاتوشا في مكان بوغاز كوي الحالية (على بعد ١٤٤ كم من أنقرة) حيث كشف التنقيب عن أكبر مجموعة من الوثائق الحيثية، تمثل محفوظات دولتهم،

وتتألف من أكثر من ١٠٠٠٠ لوح فخاري جمعها ملوكهم (حوالي ١٣٠٠ ق.م) مكتوبة بالمسمارية كما كتب بعضها بالهيروغليفية وتظهر مواهبهم الفنية في نقوشهم وأختامهم، كما يظهر فيها التأثير البابلي والآشوري. بوجه عام من المفترض أن الحيثيين جاءوا إلى الأناضول بعد مدة زمنية ليست بالطويلة قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. على الرغم من النزاع القائم على موقعهم القديم كانت هناك أدلة قوية لأكثر من قرن توضح أن موطن الهنود الأوروبيين في الألفيات الرابعة والثالثة كانت في سهول بونتك (**Pontic Steppe**)، المعروفة حالياً بأوكرانيا حول بحر أزوف (**Sea of Azov**). ثم جاء الحيثيون وغيرهم من أعضاء أسرة الأناضول من الشمال، ومن المحتمل على طول بحر قزوين (**Caspian Sea**). تسببت رحلتهم إلى المنطقة في الهجرة الجماعية بالقرب من الشرق نحو عام ١٩٠٠ ق.م. فرض الحوريون/الحيثيون هيمنتهم على وسط الأناضول في تلك الفترة الزمنية. وظهرت هناك أيضاً مستعمرات للآشوريين في البلاد؛ وتم الوصول إلى ذلك من النص المكتوب بالكتابة المسمارية الذي أقره الحيثيون. واستغرق الأمر مدة طويلة قبل أن يوطن الحيثيون أنفسهم، كما هو موضح في بعض النصوص الموجودة هناك أنه: لعدة قرون كانت هناك مجموعات حيثية منفصلة، وقد تمركزت في الغالب حول المدن المختلفة. ولكن بعد ذلك نجح الحكام الأقوياء المتمركزون في بوغازكوي (**Boğazköy**) في الجمع بينهم وغزوا أجزاء كبيرة من وسط الأناضول لتأسيس المملكة الحيثية.

❖ اللغـة :

حوالي عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد تمركز الحيثيون في منطقة حاتوسا التي أصبحت بعد ذلك نواة المملكة الحيثية، والتي استوطنها شعب ذو ثقافة مميزة

والذي تحدث لغة أخرى غير الهندية الأوروبية – (هي لغة على صلة بمجموعة اللغات الهندوأوروبية، وهناك عدة لغات أخرى تتمثل في كتاباتهم، ويدل التداخل بين لغاتهم على احتمال أنهم دخلوا حوالي ٢٠٠٠ق.م كابدوكية وطردوا حكامها الذين كانوا من ما بين النهرين) – استخدم سكان الأناضول "الهاتية" لتمييز تلك اللغة عن اللغة الحيثية الهندية الأوروبية التي ظهرت على الساحة في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد وأصبحت اللغة الإدارية لمملكة الحيثيين على مدى القرون الستة أو السبعة اللاحقين. "الحيثية" هو اصطلاح جديد للإشارة لتلك اللغة. كان المصطلح الأصلي نيسيلي (**Nesili**)، بمعنى: "في لغة نيسه (**Neša**)". استمد الحيثيون الأوائل الذين لا يعرف مكان وجودهم كثيراً من ثقافات هاتيان الموجودة سابقاً، وأيضًا من التجار الآشوريين وعلى وجه الخصوص الكتابة المسمارية واستخدام الأختام الأسطوانية. استمرت الحيثية محلاً للاستخدام في المملكة الحيثية لأغراض دينية، كان هناك استمرارية جوهرية بين الثقافتين، ولم يُعرف من المستخدمين للغة الحيثية، وقد حل الهاتان بديلاً لمتحدثي الحيثية، وقاموا باستيعابها، أو اعتمدوا فقط على لغتهم.

❖ نظرة عامة على تاريخ الحيثيين :

تم التعرف على الحضارة الحيثية في الغالب من نصوص الكتابة المسمارية التي عُثر عليها في موقع مملكتهم، ومن المراسلات الدبلوماسية والتجارية الموجودة في المحفوظات المختلفة في مصر والشرق الأوسط. حيث عُرفت بعض الحقائق الهامة عن تاريخ الحيثيين من المصادر البابلية والآشورية والمصرية. ففي حوالي ١٨٠٠ ق.م حكم الحيثيون إمبراطورية كان مركزها كابدوكية، واستطاع ملكهم مرشلش الأول أن ينهب مدينة بابل، فتغلب بذلك على أسرة حمورابي.

ومن ١٤٠٠ ق.م كانت الإمبراطورية الحيثية هي مركز القوة في آسيا وفي ١٢٩٠ ق.م اشتبك الحيثيون في معارك مع (الحوري – ميتانيين) مما أدى لسقوط دولة الميتانيين وبقاء الحيثيين والمصريين في ساحة الصراع. تلا ذلك اشتباك بين الحيثيين والمصريين الذين كانوا بزعامة رمسيس الثاني عند قادش (معركة قادش) في سوريا – (سوف نتحدث عنها لاحقاً بالتفصيل) – حيث دارت واحدة من أشهر معارك التاريخ حوالي عام ١٢٨٥ق.م في مدينة قادش على نهر العاصي شمالي فلسطين. وخاض قائد الحيثيين متوواتاليس معركة غير حاسمة ضد قوات المصريين تحت قيادة رمسيس الثاني الذي أفلت حياً. ولم يفتح الحيثيون الأقاليم المصرية وانتهت المعركة بتوقيع اتفاقية بين الطرفين، وأبرموا سلاماً تَوَّجَه زواج أميرة حيثية من رمسيس بعد ذلك.

ظهر الحيثيون على مسرح التاريخ في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في الوقت الذي أقام فيه التجار الآشوريون مركزهم التجاري كانش **Kanesh**، وتُعرف اليوم بـ (كول . تبه **Kul–Tepe**) في كبادوكية على الطريق الذي يتجه من العاصمة الآشورية إلى هضبة الأناضول الغنية بالمعادن.

لقد أخذ الحيثيون اسمهم من الحاثيين الذين تذكرهم الوثائق المسمارية المكتشفة في كانش، ولكن لا يعرف عنهم سوى أسماء بعض أمرائهم وآلهتهم وأعيادهم الدينية، وبرز الحيثيون تدريجياً بين تلك الدول الصغيرة وبدأت أخبارهم بالظهور. وهكذا حفظت رُقُم كانيش اسم أميرين أناضوليين هما بيتانا **Pithana** وابنه أنيتّا **Anitta** ورد ذكرهما في الأرشيف الملكي الحيثي. وتتحدث الوثيقة عن حملات عسكرية قاما بها ضد الإمارات الأناضولية، وخاصة حاتوشا مركز السلطة الحاثية، والتي انتهت بتدميرها، وتمكنا بالتالي من فرض سلطتهما على

هضبة الأناضول المركزية ووضع حجر الأساس للدولة الحيثية، ولكن كان يحيط بهذه المملكة عدد من القبائل والدول المعادية في الشمال (قبائل الكسكاس **Gasgas**) وفي الجنوب الغربي (أرزاوا **Arzawa**) وفي الجنوب الشرقي (الحوريون)، وهذا يُظهر التهديد الدائم الذي كانت عرضة له، وكانت علاقات الصداقة والتحالف مع هذه القوى ترتبط بقوة الملك الحيثي وضعفه.

مر تاريخ الحيثيين بمرحلتين رئيستين، هما المملكة القديمة والمملكة الحديثة، يفصل بينهما فترة من الضعف والتفكك والصراعات الداخلية والخارجية.

❖ المملكة القديمة :

نشأت تدريجياً من اتحاد عدد من الدويلات والممالك الصغيرة وكانت عاصمتها الأولى كوشّار **Kussar**، قبل أن تنتقل إلى نسا **Nesa** – على الأرجح – (كانيش القديمة)، وأخيراً حاتوشا **Hattusha**، ودامت ما يزيد على مئة سنة في القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد. ومن أشهر ملوكها الملك الكبير تابرنا **Taberna** الذي يعد المؤسس الحقيقي للمملكة، فقد أعاد بناء حاتوشا وجعلها عاصمته فحمل لقب (حاتوشيلي **Hatushili**) نحو (١٦٥٠-١٦٢٠)ق.م ووسع رقعة البلاد الحيثية داخل الأناضول ووصل بجيوشه إلى كيليكية والبحر المتوسط، وهدد المراكز التجارية الكبيرة في شمالي سوريا وعلى رأسها حلب، حيث دارت معارك عنيفة بينه وبين هذه المملكة الأمورية ولكنه فشل في احتلالها. وأصبح اسم «لابرنا» فيما بعد لقباً حمله الملوك الحيثيون اللاحقون. وتابع حفيده مورشيلي الأول **Murshili I** سياسة الحرب والتوسع، فهاجم حلب وتمكن من الاستيلاء عليها، ثم قام بحملة خاطفة على بابل فدخلها ونهبها وقضى على المملكة البابلية القديمة نحو ١٥٩٠ ق.م.، ممهداً السبيل

لحكم الكاشيين في بلاد الرافدين، قبل أن ينسحب عائداً إلى بلاده، حيث لقي مصرعه في ظروف غامضة. وأعقب ذلك فترة من الصراعات والاضطرابات وغزوات الشعوب المجاورة، حتى تسلم زمام الأمور الملك تليبينو **Telèpinu** نحو (١٥٢٥-١٥٠٠)ق.م الذي نجح في إنهاء الصراعات الداخلية ووضع قوانين تنظم وراثة العرش الحيثي. كما قام بحملات حربية على المناطق المجاورة لفرض هيبته وسلطانه. وتغيب الوثائق الحيثية ومعها أخبار المملكة القديمة على مدى خمسين سنة، ثم تظهر المملكة (الميتانية – الحورية) كإحدى القوى الكبرى في المنطقة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

❖ المملكة المتوسطة والحديثة :

دامت قرابة قرنين من الزمن نحو (١٤٠٠-١٢٠٠)ق.م، يعود تأسيسها إلى الملك العظيم شوبيلوليؤما **Shuppilu-Liuma** نحو (١٣٨٠-١٣٤٦) ق.م عندما تسلم عرش المملكة كانت تعم الفوضى والاضطرابات في كل مكان، لذلك قام بسلسلة من الحملات العسكرية في الأناضول وضد الغسغاس في الشمال، كما هاجم أرزاوا وفيلوسا في الغرب وكيزواتنا في كيليكية، وبعد ذلك قام بحملة كبيرة ضد الميتانيين في شمالي سوريا وهاجم عاصمته مواشوغاني (قرب رأس العين)، وحاصر كركميش التي سقطت في يده أيضاً. أدت هذه الهزائم المتلاحقة إلى قيام ثورة قتل فيها الملك الميتاني توشراتا، وبذلك ينتهي دور المملكة الميتانية في تاريخ المنطقة. وعندما تولى مورشيلي الثاني عرش المملكة كان عليه أن يتصدى لأعدائها الذين ثاروا على الحكم الحيثي، وهكذا أمضى عشر سنوات لتثبيت دعائم ملكه وسلطانه على فتوحات أبيه. وقد خلفه ابنه مواتالي **Muwatalli** نحو (١٣٢٠-١٢٩٤)ق.م الذي جرت في عهده

واحدة من أعظم المعارك في التاريخ القديم وهي معركة قادش الشهيرة نحو ١٢٩٩ق.م، إذ ادعى كل من الملك الحيثي ورمسيس الثاني الفوز على الآخر، ويبدو أن المعركة لم تكن حاسمة وأبقت على الوضع الراهن بين المملكتين.

وعندما تولى حاتوشيلي الثالث نحو (١٢٧٥-١٢٥٠)ق.م عرش المملكة، كانت قوة الآشوريين قد تنامت وصارت تهديداً كبيراً للحيثيين، مما دفعه إلى التقارب مع مصر وعقد معاهدة صداقة وتحالف معها، نُقشت بنودها بالهيروغليفية على جدران معبد الكرنك – (كما سيرد فيما بعد)– ، مثلما دونت بالأكادية في أرشيف بوغازكوي. وأعقب ذلك زواج رمسيس الثاني من إحدى بنات حاتوشيلي الذي ترك لابنه مملكة واسعة مرهوبة الجانب.

ولكن العواصف بدأت تهب على المملكة شرقاً وغرباً؛ إذ سيطر الآشوريون على كل المناطق الواقعة شرقي الفرات وبدأوا يهاجمون المناطق الحيثية في غربه، كما أن الآخيين الموكينيين تحركوا في بحر إيجه وغربي الأناضول، وأخيراً ظهرت شعوب البحر في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد التي أجهزت على المملكة الحيثية فاختفت من صفحة التاريخ.

❖ الممالك الحيثية الجديدة :

لم ينته تاريخ الحيثيين بسقوط مملكتهم وعاصمتهم، فقد بقيت الحضارة الحيثية في المناطق الشرقية والجنوبية التي كانت قديماً خاضعة لحكمهم. وهكذا ظهر عدد من الممالك الصغيرة والإمارات في شمالي سوريا وعلى امتداد جبال طوروس، وأشهرها كركميش (جرابلس) على الفرات، وكانت هذه الممالك الصغيرة تستخدم في أوابدها نمطاً خاصاً من الكتابة الهيروغليفية ولغة قريبة من الحيثية تعرف باللغة اللوفية. وقد بدأ المد الآرامي يجتاح هذه الإمارات منذ أواخر الألف

الثاني قبل الميلاد، والتي بدأت تتساقط الواحدة تلو الأخرى في أيدي الآشوريين، إلى أن اختفت آخرها في القرن الثامن قبل الميلاد.

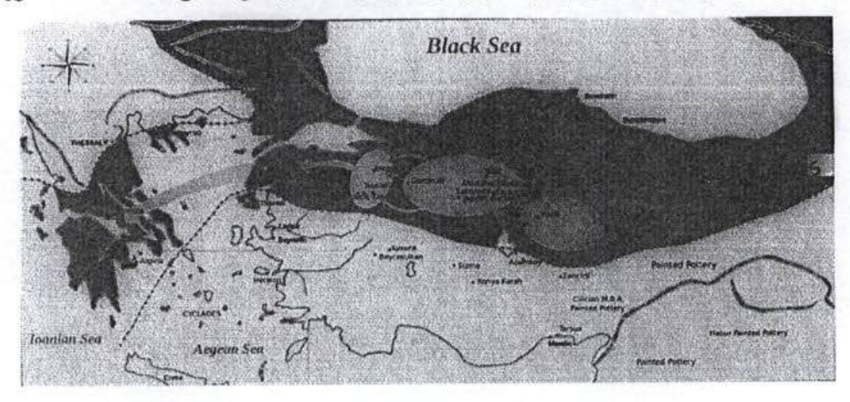
❖ انتهاء الدولة الحيثية :

قامت الحضارة الحيثية في منطقة الأناضول وسوريا وقامت في الجنوب مجموعة من الممالك الحيثية بسوريا وأصبح الحيثيون بناة عظماء، ونحاتون مهرة، ولعل ما أحدثوه في بلادهم خير شاهد على ذلك فقاموا بتشييد المدن المقدسة ذات الهياكل المتعددة، فقد اهتموا بنقش الأرواح الحارسة التي تحمي الأبواب، كما جرت العادة عند الأقوام الآشوريين وفي الحضارات المجاورة سيطر الحيثيون على مناطق واسعة وتواجه الحيثيون في معركة مع الفراعنة في قادش بالقرب من العاصي في سوريا حقق فيها الحيثيين نصراً على جيش الفراعنة وتم توقيع معاهدة بين الطرفين. وبعد ذلك بقليل، ثار حلفاء الحيثيين في الشرق والغرب، ورحلت قبائل من ديارها حول بحر إيجه، إلى القطاع الغربي من الإمبراطورية الحيثية فراراً من تزايد قوة اليونانيين، الذين أحرقوا حتُوساس في حوالي عام ١٢٠٠ق.م. ولكن (الدول . المدن) الحيثية، بقيت بعد ذلك خمسمائة عام أخرى، إلا أنها لم تكن بالغة القوة. وأصبحت قرقميش (على نهر الفرات) العاصمة الشرقية للحيثيين، ولكن سرجون الثاني ملك أشور استولى عليها عام ٧١٧ ق.م، وبذلك حلت نهاية الحكم الحيثيّ المتميِّز.

❖ سقوط وزوال المملكة :

سقطت الإمبراطورية الحيثية بعد موجة شعوب البحر التي زحفت باتجاه المنطقة في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث انحلت الدولة الحيثية وحضارتها نتيجة لضغط شعوب البحر عليهم. ولكنها تركت ما يشير إليها من

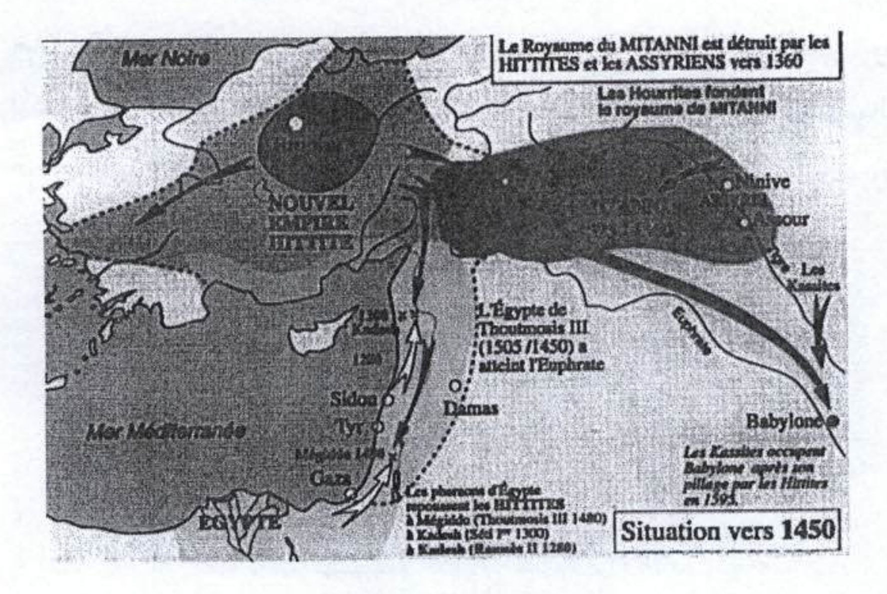
خلال المدن والآثار المتنوعة المنتشرة في بعض مناطق شمال وشرق سوريا وفي تركيا منها كابدوكيا وحلب وحاتوشا وغيرها. حيث قامت على أنقاضها ممالك صغيرة من مراكزها قرقميش (كركامش) وحلب وحماة وغيرها من الممالك السورية.



نتيجة هجرة الحيثيين حوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد



الهجرات الهندو-أوروبية من ٤٠٠٠ حتى ١٠٠٠ ق.م. تبعاً لنموذج كوركان.- الهجرة الأناضولية (موضحة بالأسهم المنقطة) حدثت عبر القوقاز أو عبر البلقان



خريطة الامبراطورية الحيثية



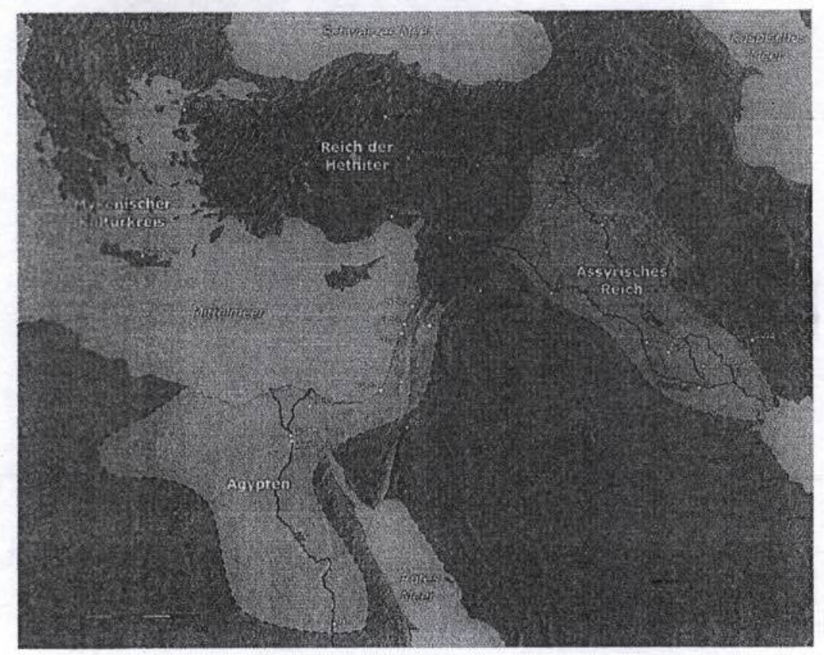
الامبراطورية الحيثية في أقصى اتساعها تحت حكم

(شوبيلوليوما الأول) ١٣٥٠-١٣٢٢ق.م (ومورشيلي الأول)١٣٢١-١٢٩٥ ق.م.



الامبراطورية الحيثية (أحمر) في أقصى اتساع لها في ح. ١٢٩٠ ق.م.، وحدودها مع الدولة المصرية (أخضر)

خريطة الامبراطورية الحيثية



إمبراطورية الحيثيين (باللون الأزرق) والإمبراطوريات المعاصرة.



نقش بارز يمثل الملك شوبيلوليوما الثاني آخر ملك معروف على الامبراطورية الحيثية

❖ الحكومة : (حكام الممالك) :

♦ حكام المملكة القديمة :

انيتا (**Anitta**)، تقريباً (١٧٠٠ ق م)

لابارنا الأول (**Labarna.I**) تقريباً حتى (١٥٦٥ ق م)

مورشيلي الأول (**Mursili I**) حكم (١٦٢٠- ١٥٩٠ ق م)

تلبينو (**Telepinu**) حكم (١٥٢٥- ١٥٠٠ ق م)

♦ حكام المملكة المتوسطة :

تاهوروايلي (Tahurwaili) غير مؤرخ

زيدانتا الثاني (Zidanta II) تقريباً (١٤٥٠ ق.م)

هاتوشيلي الثاني (Hattusili II) حكم (١٣٧١- ١٣٥٥ ق.م)

♦ حكام المملكة الحديثة :

شوبيلوليوما الأول (Suppiluliuma I) حكم (١٣٥٥- ١٣٢٠ ق.م)

مورشيلي الثاني(Mursili II) حكم (١٣١٨- ١٢٩٠ ق.م)

هاتوشيلي الثالث (Hattusili III) حكم (١٢٦٦- ١٢٣٦ ق.م)

شوبيلوليوما الثاني (Suppiluliuma II) حكم (١٢١٤- ١١٩٠ ق.م)

❖ الحضارة الحيثية :

الحضارة الحيثية قامت في منطقة الأناضول بتركيا وفي شمال سوريا وهي أشهر الحضارات والممالك التي عاصرت دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قامت الحضارة الحيثية أو حضارة الحيثيين على أسس مختلفة حيث كانت واحدة من الإمبراطوريات ذات النفوذ في عصرها امتدت جنوب الأناضول كما قامت عدة ممالك حيثية في سوريا، وكانت نداً للحضارات المعاصرة لها في تلك الفترة التي كانت في بلاد الرافدين وفي مصر وبلاد فارس. والحضارة الحيثية حضارة كبيرة تركت آثاراً واضحة في جنوب تركيا وشمال سوريا. ومن الصعب فصل الحضارة الحيثية عن تلك التي سبقتها وأثرت فيها وهي: الأناضولية القديمة والحورية والبابلية. ويظهر تأثير الحضارة البابلية القوي ليس فقط في اقتباس الكتابة المسمارية، وإنما كذلك في استعمال اللغة الأكادية والاستفادة من تراثها العلمي والأدبي، ومع ذلك فإن الحضارة الحيثية تتميز في بعض المظاهر الأساسية عن

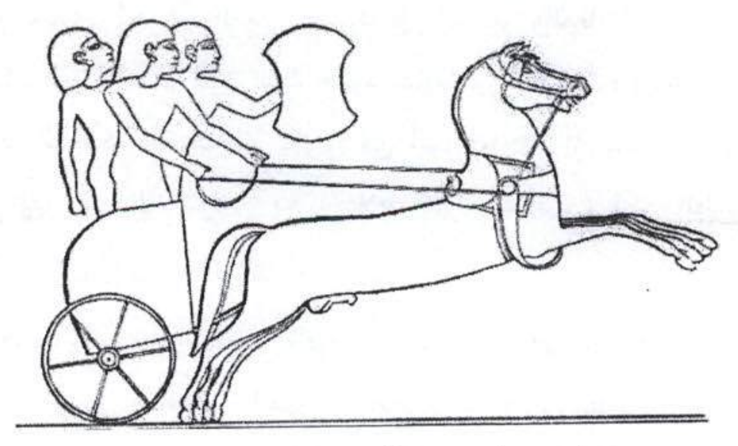
حضارات الشرق القديم المحيطة بها خاصة في المجال السياسي والعسكري.

ففي النظام السياسي كانت الملكية الحيثية مطلقة، وكان النظام الملكي دقيق – (حيث أنه مثله مثل بعض الحضارات القديمة والتي انتشر فيها أن الملك يصبو نحو تأليه نفسه في قومه بأنه ربهم الأعلى كما في الحضارة الفرعونية) – فالملك هو الحاكم والقائد العسكري والقاضي الأعلى والكاهن الأكبر، فقد لُقِب الملك بلقب «ياشمسي» وكان أتباعه يخاطبونه به، وكان الملك يهتم بمن سيكون خليفته على العرش وهو بعد على قيد الحياة؛ فكان هو الذي يسمي خليفته من أعضاء أسرته، وتوصلاً لهذه الغاية يقدم الملك ابنه للمجلس ويستحصل مسبقاً من المجلس الذي يؤلف أفراده من الطبقة الحاكمة وعلية المجتمع على هذا التأييد ولم يكن بالضرورة الابن البكر، ولكن منذ عهد الملك تليبينو وضعت قواعد تنظم وراثة العرش وتخصها بالابن الأكبر. وكانت الملكة الحيثية، التي تحمل لقب تاوانّانا، تحظى بمكانة خاصة متميزة، لها بلاطها الخاص وتقوم بصلات دبلوماسية مع بلاطات الأمراء الأجانب وتحتفظ بلقبها ومكانتها حتى موتها، ولعل هذه المكانة متأثرة بعبادة الأم الكبرى الراسخة الجذور في آسيا الصغرى. وكان إلى جانب الملك مجلس استشاري يضم كبار النبلاء ويدعى بانكو (**Banku**)، يتمتع بامتيازات عدة وخاصة في عهد المملكة القديمة، من أهمها المصادقة على الملك وعدم الخضوع لأحكامه القضائية، كما كان هناك طبقة من كبار الموظفين تكوّن جهاز الدولة وترتبط بالملك الذي كان يمنح كبار رجال حاشيته والأمراء وأفراد الأسرة الملكية إقطاعات كبيرة.

وقد كانت مجموعة قوانينهم مستقلة عن قانون البابليين، اُكتشف جزءاً منها يرجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

❖ الجيش الحيثي :

أما عن الجيش الحيثي وتنظيمه، فقد ارتبطت نجاحات الحيثيين الحربية إلى حد بعيد بقوة جيوشهم من حيث التدريب والانضباط والكفاءة. وكان الجيش الحيثي يتألف إلى جانب الحرس الملكي؛ من فيلق عسكري دائم، ومن المواطنين الملزمين بالخدمة العسكرية، إضافة إلى جنود المشاة، وكانت هناك العربات الحربية التي استعملها الحيثيون بأعداد كبيرة باختراق صفوف الجيوش المعادية، كما استعان الحيثيون بالقوات الحليفة التي يقدمها الملوك والأمراء التابعون لهم، ولكنها لم تكن دائماً مضمونة الولاء. كان جيش حاتوشا من أقوى الجيوش حيث استطاع أن يدمر مدينة بابل العظيمة وحرقها حيث لم يكن شيء يصمد أمامهم. كما تقاتل الحيثيون والفراعنة على إحدى المدن الغنية بالموارد في وسط سوريا وحقق الحيثيون انتصاراً بسبب قوتهم واختراعهم الجديد في العربات المقاتلة بحيث جعلوها تحمل جنداً أكثر وتراجع الفراعنة في المعركة وهي معركة (قادش) بالقرب من حمص في سوريا.



تعد عربة الحيثيين الحربية من أحد المعالم المصرية. نقش مصري

♦ المجتمع :

سكن الحيثيون الأناضول في تركيا وشمال بلدان الشام وكان اسم مدينتهم حاتوشا التي احاطوها بسور عظيم جداً بني بطريقة هائلة بحيث لايستطيع أي جيش اختراقه وتدمير المدينة مهما كان قوياً. وكانت دولة الحيثيين أرستقراطية إقطاعية، ويرجع نجاحها العسكري إلى استخدام الحصان والمركبة كسلاح رئيسي، كما استخدم الحيثيون القوس والفأس والرمح والسيف المنحنى كأسلحة للهجوم. أما مجموعة قوانينهم فمستقلة عن قانون البابليين، اكتشف جزء منها يرجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

❖ النظام الاجتماعي :

أما النظام الاجتماعي فكان يقوم بصورة أساسية على نظام الإقطاع الذي يملك كل الأرض، وكان قسم من الفلاحين مرتبطاً بالتاج الملكي وبأسياده الإقطاعيين، وينبغي عليه دفع الضرائب والقيام بأعمال السخرة. وإلى جانب المواطنين الأحرار والفلاحين وأصحاب الحرف والتجار والكهنة كانت هناك طبقة العبيد من أسرى الحروب الذين يخدمون في القصور والمعابد وسواها. وبصورة عامة يمكن القول أنه لم تكن هناك حدود صارمة بين الطبقات، ومما لا شك فيه أن سكان المملكة الحيثية لم يكونوا من أصل واحد، إذ كانت غالبيتهم من السكان المحليين الأناضوليين مع اختلاط كبير بالساميين، لكن الطبقة العليا القائدة كانت من أصول هندو أوربية.

وتعود أقدم محاولة لجمع القوانين وتدوينها إلى عهد الملك تليبينو، ويبدو أنها مرت بمراحل عدة من التطور والإصلاحات. وكان تنظيم الأسرة والزواج والحياة العائلية في القانون الحيثي مشابهاً للقوانين البابلية ومتأثراً بها. أما على

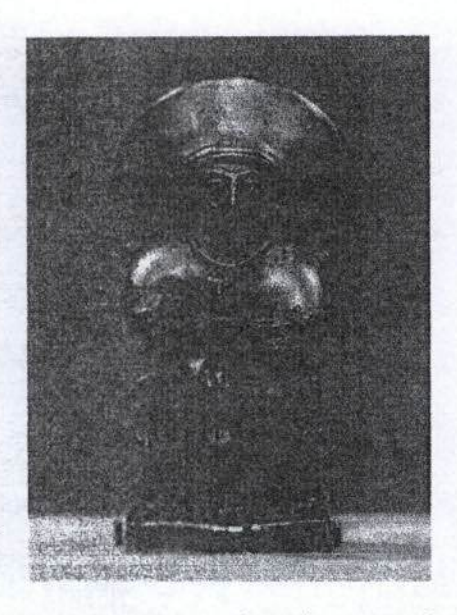
صعيد العقوبات فقد اعتمد الحيثيون مبدأ التعويض وليس قانون العين بالعين السائد بالمجتمعات السامية، وكانت العقوبات توقع بحسب طبقة الجاني، وتفرق بين الأحرار والعبيد مثل بقية الشعوب القديمة.

وكان الحثيون قصاراً ممتلئي الجسم، ذوي شفاه غليظة. وأنوف كبيرة وجبهة مائلة للوراء، وتظهر هذه العلامات على آثار الحثيين. ولم يكن الحيثيون ساميين. ويظهر من الآثار أيضاً أنهم كانوا يرتدون ثياباً ثقيلة، فكانت تصل معاطفهم إلى الركبتين، وزي الرأس مرتفع مصنوع من الصوف. وكانوا يلبسون أحذية منحنية إلى فوق عند الأصابع، مما يبين أنهم جاءوا من جبال ثلجية.

♦ ميثولوجيا حيثية :

الديانة الحيثية تعتبر أن الإله الذي يمثل في الأناضول هو إله الطقس. وتبدو مظاهر الحضارة الحيثية في الديانة والأساطير، فالعبادة قد تأثرت بتقديم القرابين للآلهة، فقاموا بممارسة السحر حيث حظي الساحر بمكانة مرموقة في أوساط المجتمع الحيثي، ويتألف الأدب الحيثي من ترانيم وصلوات وأساطير. وبحسب كل المعطيات فإن الآلهة الكبرى فقدت بصورة تدريجية صفتها الشمسية على آسيا الصغرى في الوقت الذي سطع نجمها عند الإغريق والرومان فعمت عبادات الإله أرجاء العالم بشكل كبير خلال هذه الفترة الزمنية حيث عرف إله العاصفة وإله الزرع والمطر وغيرها. وفي الصورة البدائية للديانة تبرز الأفكار الخاصة بهذه الديانة المتعلقة بعبادة الأرواح، وتقديس الينابيع والأنهار والأشجار والجبال. وكان إله العاصفة تيشوب أشهر الآلهة ويمثل عادة شكل رجل يقف على ثور ويمسك الصاعقة، وإلهة المدن كانت مظاهر محلية لهذا الإله، وكان اسمه "تلبنش"، ورفيقته تسمى "عشتاروت". ثم اقتبس الحيثيون آلهة أجنبية عندما

احتكوا بالسومريون والآشوريون فمن مميزات الحيثيين أنهم اقتبسوا ديانات الشعوب التي خضعت لهم.



إلهة حيثية وطفل، القرن ١٥-١٣ ق.م.. الأناضول



إله جالس، الامبراطورية الحيثية المتأخرة (القرن ١٣ ق.م.)

❖ الحياة الاقتصادية :

كانت الحياة الاقتصادية في الممالك والبلاد الحيثية تقوم على الأعمال التجارية والتبادل التجاري حسب نظم مختلفة، وكذلك نظام مالي مع وجود مبادئ الكفالة والرهن، وكانت الحركة نشطة في الممالك والبلاد الحيثية نظراً لموقعها فقد لعبت البلاد دور الوسيط بين سواحل البحر المتوسط من جهة وبلاد النهرين وإيران من جهة أخرى. وكانت الممالك الحيثية السورية تتحكم بطرق التجار شرقاً وغرباً، وكانت تصدر العديد من المواد والمنتجات وغدا الحديد مادة تصدير رئيسة.

❖ علاقة المصريين بالحيثيين :

♦ تمهيد تاريخي :

كما ذكرنا سابقاً أن الأناضول أو آسيا الصغري هي موطن الحيثيين، وأن بها هضبة عالية ظهر الحيثيون عليها لأول مرة في المنطقة الشمالية الشرقية منها وتتميز هذه الهضبة ببرودتها خلال الشتاء لذلك أقام الحيثيون في شمالها حيث الأودية والقنوات فقاموا بالزراعة والتجارة التي كانت مع جيرانها من بلاد النهرين وقبرص وكانت تتميز هذه الدولة بالحديد والأسلحة التي كانت تصنع منه.

لقد كان سكان الأناضول الأوائل هم نتاج هجرات واستقروا في هذه المنطقة وكانوا هندو أوروبيين واطلق عليهم تسمية ما قبل الحيثيين ويري البعض أنه بالمقارنة بالحيثيين فإنهم لا يشبهونهم بينما استوطنت قبائل الحيثيين منذ الألف الثالث قبل الميلاد وكانت تربطهم صلات قربي بقبائل الكنتوم التي كانت تقطن البلقان، بالتالي يمكن أن نستنتج أن هذه القبائل أتت من سواحل البحر الأسود إلي أن وصلت إلي أواسط آسيا الصغري.

ولقد بدأت العصور التاريخية في الأناضول بعد ارسال حملة سرجون الأكدي لهذه المنطقة علي طلب من أهلها فقام بفتح بورشخاندا، إلا أن هذه المنطقه ظل يحكمها حكام محليين وكانت هناك علاقات تجارية بينها وبين آشور قبل قيام مملكتها، إلا أن بعد قيام آشور لم يكترث ملوكها لهؤلاء الحكام وسرعان ما بدأت هجرات هندو أوروبية جديدة وبدأت تظهر خمس لغات في المنطقة كان منها الحيثية والتي كانت تكتب بالحروف الهيروغليفية لذلك عرفت باسم الهيروغليفية الحيثية وذلك يدل علي أن الحيثيين كانوا متأثرين بالحضارة المصرية.

وفي النهاية بدأت الدولة الحيثية تظهر وقد قامت في الأناضول علي خمس مدن أساسية (بورشخاندا –كوشيار – ينشا – زالباوينشا – خاتوشا) وقد قامت صراعات بينها إلى أن استقرت بقيام مملكة الحيثيين في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وكانت العاصمة الأولي هي نيشا ثم بعد ذلك خاتوشا لما لها من موقع متميز. لقد توغَّل الحيثيون فيما يعرف الآن بوسط تركيا بعد عام ٢٠٠٠ق.م بقليل، وانتصروا على سكانها. وأقاموا عدداً من (الدول . المدن) وكان أهمها حتُّوساس (بوغاز كوْيْ حالياً) شرقي العاصمة التركية الحالية أنقرة مباشرة. وقد أصبحت هذه المدينة العاصمة عند قيام الإمبراطورية الحيثية التي ضمت هذه المدن في حوالي عام ١٦٥٠ق.م. وهزم الحيثيون البابليين حوالي عام ١٥٩٥ق.م. كما سيطروا على شمالي سوريا.

♦ بداية الصراع :

عندما طلبت أرملة أحد فراعنة مصر؛ لعله توت عنخ آمون، من إمبراطور الحيثيين أن يبعث إليها بأحد أبنائه ليتزوجها، ويصبح فرعوناً على مصر، إلا أن جماعة من المصريين كارهة لهذا التدبير قتلت هذا الابن قبل إتمام الزواج. من هنا بدأ المصريين ينظرون إلي الوضع الخارجي حتي لا تتكرر مأساة الهكسوس فنجد أن في ذلك الوقت كانت بلاد الشام والأناضول والعراق بها عدة دول لذلك بدأت مصر في متابعتهم حيث كانت هناك دولة بابل في العراق، وآشور وهي دولة ناشئة جديدة بجوار بابل، أما سوريا فكانت بها ثلاثة ممالك (مملكة يامخاد بشمال سوريا – مملكة فطنوم عند نهرالعاصي – مملكة حازور بجنوب الشام).

ويمكن أن نلاحظ أن مصر لم تبدأ التوسع الخارجي فجأة وإنما كانت هناك علاقات سلمية سبقت الناحية العسكرية وهي ترجع إلي عصور قديمة. ففي

عصر الدولة القديمة عثر علي الجانب الشرقي من جنوب بحر مرمرة في احدي المقابر الملكية علي أجزاء خشبية من كرسي مكسو بالذهب ويحمل في نقوشه ألقاب الملك ساحورع من الأسرة الخامسة. وفي عصر الدولة الوسطي عثر علي تمثال لمصري يدعي كري شرق أنقرة ويقال إنه كان تاجر وتعامل مع الآشوريين المقيمين في الأناضول. كما عثر في منطقة اخنه علي تمثال للمربية المصرية ساث نفرو ويذكر أنها ذهبت هناك إما لتربية أطفال أحد الأمراء في الأناضول أو لخدمة أحد الموظفين المصريين. وفي عصر الدولة الحيثية حدثت اضطرابات في الهلال الخصيب بسبب الميتانيين الذين كانوا يكونون تحالفات ضد مصر؛ إلا أنه في عهد تحوتمس الثالث عام ١٥٠٤ ق.م قام بحملتها الثامنة حيث تقابل مع الميتانيين وانتصر عليهم وتتبعهم حتي شرق الفرات وأقام هناك لوحة أمام لوحة تحوتمس الأول وأدي هذا الانتصار إلي انتصارات أخري دون الدخول في معارك مثل الآشوريين والبابليين والحيثيين حيث رأوا من الأفضل أن يرسلوا الجزية للملك المنتصر في محاولة لمهادنته ولكن اختلفت الآراء هنا :

- يري البعض أن هناك معاهدة بين تحتمس والحيثيين لترحيل عدد من سكان خيتا للنفوذ المصري.

- بينما يري البعض أن هذه الجزية أو الهدايا يقصد بها التعبير عن الود والسلام.

- وهناك رأي ثالث يقول بأن الهدايا كانت تعني الخضوع لسلطة الفرعون اختيارياً من أجل تجنب تهديده لهم لذلك وبالرغم من عدم انتصاره عليهم إلا أنهم أرادوا اتقاء محاولة الفرعون لغزوهم.

وفي عهد امنحتب الثاني قام بحملة إلي آسيا في العام التاسع من حكمه ١٤٥٠ق.م لتهدئة الأوضاع هناك وبعدها بدأ الملوك يتسابقوا لاحضار الهدايا لمصر. وفي عهد تحوتمس الرابع أبدي الحيثيون خطرهم تجاه شمال سوريا. بينما في عهد امنحتب الثالث بدأت تظهر لدينا ما يعرف باسم رسائل تل العمارنة وهي التي تم العثور عليها عام ١٨٨٧م وهي مصنوعة من الطين وتشتمل علي مجموعة من الرسائل من الديوان الخاص بأمنحتب الثالث وحتي ابنه اخناتون وكانت مكتوبة باللغة الحيثية ومنقوشة بالخط المسماري وكانت تتناول الحديث عن الهدايا والهبات بين مصر والحكام الأجانب. وفي عهد امنحتب الرابع نلاحظ تطور كبير في الأحداث عندما تولي أمر الحيثيون الملك شوبيليوما وهو أحد أهم ملوك خاتي الذين أسسوا الإمبراطورية الحيثية حيث أنه قام بإرسال الهدايا والتهنئة لاخناتون بتولية مصر ويطلب منه تجديد ما كان من علاقات مصرية حيثية بينما كان الحيثيون بدأوا يحتكون بالميتانيين، فرد اخناتون بحجز السفراء الحيثيين وهذا يدل علي احساس اخناتون بالخطر لكنه انشغل بمعبوده الجديد والذي اتضح جلياً من خلال رسالة أمير أورشليم للفرعون يقول: "...إن جميع أراضي سيدي الملك قد فقدت". بالتالي كانت رسائل تل العمارنة تدل علي ضعف سياسة مصر الخارجية في تلك الفترة حيث نجد ملك قادش استعاد شمال سوريا واستولي ملك أمور مع الحيثيين علي الموانئ الفينيقية، وبالرغم من ذلك لم يقم اخناتون إلا بإرسال رسول لبحث الموقف في فينيقيا والذي أكد الموقف، بل ومما ازاد الأمور سوءاً أن ميتاني سقطت علي يد الحيثيين وقيام البدو بالثورة واستيلاءهم علي مجدو وأورشليم القديمة. بالتالي أصبح الحيثيون في أوج قوتهم وبدأت حدود مصر تتقلص تدريجياً.

من هنا انتهى حكم اخناتون بعد اضاعة ممتلكات مصر الخارجية ليبدأ عصر جديد بتولي الملك توت عنخ آمون إلا أنه لم يبقي طويلاً فمات تاركاً زوجته عنخس آمون التي لم تجد من يتزوجها لذلك أرسلت إلي ملك الحيثيين رسالة تخبره فيها "....مات زوجي وليس لدي ولد وقالوا عنك أن لك أولاد كثيرين ويمكنك أن تعطيني واحداً من أولادك ويمكنه أن يصبح زوجي ".....إلا أن الملك الحيثي شك في جدية الطلب فأرسل رسلاً لكي يستطلع الأمر فاحتجت الأرملة؛ وفشل الأمر في النهاية. وبدأ انحسار النفوذ الفرعوني في آسيا في عصر أواخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة كنتيجة مباشرة للاضطرابات التي خلفتها الحرب الأهلية في مصر أثناء ثورة أخناتون الدينية في الداخل. مما جعل الحيثيون يستغلون هذه الاضطرابات لكي يقوموا بقيادة تحالف ضد الفراعنة، ونجحوا في ذلك، وبالتالي فقد الفراعنة الكثير من مناطق نفوذهم في آسيا الغربية، دون أن يتحرك الملك أخناتون لتلبية طلبات النجدة التي كان يرسلها إليه أمراء المدن الآسيوية الموالون للفراعنة فيما عرف برسائل تل العمارنة.

وبعد وفاة الملك اخناتون وفشل ثورته الدينية والعودة إلى عبادة الآلهة التقليدية والإله آمون مرة أخرى، تولى الفرعون حور محب مقاليد الأمور في نهاية الأمر، والذي يُعتبر آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة الذي قام بتنظيم الشئون الداخلية لمصر، والذي توفي دون وريث بعد أن نجح في إعادة الأمن إلي البلاد، ومن هنا فقد انتهت الأسرة الثامنة عشر بعد أن قام حور محب بعقد هدنة أو معاهدة مع الحيثيين. ثم تولى بعده أحد قادة الجيش وهو رمسيس الأول مؤسساً بذلك الأسرة التاسعة عشرة. وقد أخذ ملوك هذه الأسرة على عاتقهم استعادة النفوذ الفرعوني في آسيا مرة أخرى وبخاصة في جنوب سوريا حيث عمل الحيثيون

علي إثارة الولايات المصرية علي الثورة ضد مصر، فبعد وفاة الفرعون رمسيس الأول بعد سنتين من الحكم، بدأ ابنه وخليفته سيتي الأول حملاته العسكرية ضد الحيثيين، حيث كان يرمي إلي صد التقدم الحيثي وما كان عليه في عهد الفرعون تحتمس الثالث في عصر الأسرة الثامنة عشر، وبالفعل تقابل مع جيوش الحيثيين بالقرب من قادش في سوريا الحالية ونجح سيتي الأول بعد عدة حملات عسكرية أن يُنزل هزيمة بالمتحالفين وقطع تحالفاتهم إلا أن الحيثيين عملوا علي وقف تقدم الجيش المصري إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك وكان في ذلك الوقت مورشيلي الثاني هو الملك الحيثي فعمل علي اخضاع المناطق السورية الحيثية ثم خلفه مواتلي الذي عمل علي تنظيم المقاطعات الحيثية مما جعل سيتي يذهب مرة أخرى وحارب في قادش ضد الحيثيين واستطاع هزيمتهم إلا أنه لم يُعِد شمال سوريا إلا أنهم تراجعوا، لكن سيتي قام بحملته الثالثة وقابل الحيثيين شمال قادش وأدت المعركة إلي معاهدة واصبح لمصر نفوذ في جزء من شمال سوريا. من هنا فإن حروب سيتي الأول عملت علي إعادة نفوذ مصر كما كان عليه في السابق وأخيراً عقد الصلح معهم (كما ذكر في نقوشه على جدران معبد الكرنك) بمعاهدة شهيرة، وربما قام بتوقيع معاهدة مع الحيثيين، ومات بعد ١٤ عاماً من الحكم، وتولى الحكم من بعده ابنه رمسيس الثاني.

♦ معركة قادش الثانية :

وقعت هذه المعركة بين قوات ملك مصر - (الملك رمسيس) - الثاني والحيثيين بقيادة الملك مواتللي الثاني بمدينة قادش التي تقع علي الضفة الغربية لنهر العاصي في سوريا جنوب بحيرة حمص بعدة كيلومترات، وهذه المعركة مؤرخة في العام الخامس من حكم الملك رمسيس الثاني (العام الخامس فصل

الشمو، اليوم التاسع) أي حوالي العام ١٢٧٤ ق.م علي وجه التقريب.

كما ذكرنا سابقاً لقد سيطرت على الشرق الأدنى القديم، حوالي عام ١٢٨٥ ق.م، قوتان عظمتان: مصر في الجنوب والحيثيون بآسيا الصغرى في الشمال. وقد أرادت كل قوة من الاثنتين أن تلعب الدور القيادى في المنطقة وتبسط نفوذها في الأقاليم الواقعة بين قطريهما؛ مثل الشام وفلسطين. حتى التقت القوتان العظمتان أخيراً في معركة قادش الشهيرة. فبعد وفاة سيتي الأول تولى رمسيس الثاني إلا أنه وجد الموقف في آسيا خطير جداً حيث بدأت تنمو قوة الحيثيين وبدأ مواتلي يتقدم نحو الجنوب تجاه قادش، وكان الجيش الحيثي ضعف الجيش المصري في العدة والعتاد إلا أن الصراع كان ضروري حول سوريا، وكان الحيثيين هم الأكثر سعياً لهذا الصراع، فكان من الغريب أن يقبل رمسيس الثاني التحدي حيث خرج في العام الخامس من حكمه، حوالي عام ١٢٨٥ ق.م. وقاد الملك جيشاً من أربع فرق تحمل أسماء الأرباب المصرية الرئيسية؛ آمون ورع وبتاح وست: لملاقاة الحيثيين في أقصى موقع في الشمال يمكن للجيش المصري أن يصل إليه. وعبر الجيش أرض كنعان أو (فلسطين) وفينيقيا أو (لبنان) إلى أن بلغ التلال جنوب قادش على نهر "العاصي". وتبعت فرقة آمون الملك ومعه حرسه الشخصي، بينما تخلفت الفرق الثلاث الأخر بعيداً. وحاول الحيثيون خداع رمسيس؛ فأرسلوا اثنين من البدو بقصص كاذبة حول جيش الأعداء وحلفائه: مدعين أنهم لا يزالون بعيدين جداً قرب حلب في شمال الشام. وواقع الأمر أن العدو كان مختبئاً على الجانب الآخر من النهر؛ ليس بعيداً من معسكر الملك. لكن الجنود المصريين أمسكوا بجاسوسين من الحيثيين وأوسعوهما ضرباً إلى أن أقرا بأن جيش الحيثيين مختبئاً قريباً من قادش، وأنه متأهب للهجوم ، وبالفعل قاموا

بمحاصرة المخيم وبمباغتة الملك وحرسه الشخصي. ولم يكن الجنود المصريون المجهدون جاهزين للدخول في القتال، إضافة إلى تأخر ثلاث فرق؛ فكانت الهزيمة الساحقة للملك والجيش المصري أمراً محتماً.

ومن المسجل في البيان المصري عن المعركة، أن الملك الذي وجد نفسه محاصراً بجيش الأعداء تضرع إلى آمون رع طالباً العون؛ بينما كان يقاتل ببسالة. وقد نجى من القتل بفضل بسالته وبسالة بعض القوات المصرية من طلبة الحربية؛ يدعون "نعرونا". وكانت تلك القوات متمركزة قريباً من أرض "عامور"، فداهمت الحيثيين من الخلف محدثة ارتباكاً بين صفوفهم الخلفية؛ وقتل عدد كبير من الحيثيين أو جرح أو أغرق. وتوسل باقي الجيش طلباً للسلام وفروا إلى قلعة قادش المحاطة بالمياه. ورغم ذلك فإن القوتين العظمتين بقيتا متعادلتين تقريباً بعد تلك المعركة الطاحنة. وبعد أن دخلوا في هذا الصراع المتكافئ حيث تساوت القوة في المعركة وتكبد الطرفين خسائر فادحة؛ أعقب ذلك هدنة إلى أن قام الحيثيون بتجميع عشرين شعباً للقضاء علي مصر، إلا أن رمسيس لم يستطع أن يقوم إلا باختراق الجيش الحيثي لكنه لم ينتصر لذلك اضطر الحيثيين في النهاية إلي التراجع تاركين أكبر جزء من سوريا تحت التهديد المصري. وحاول الحيثيون التدخل لتأليب المدن التابعة لمصر في فلسطين إلا أن أزمة الخلافة علي العرش أدت إلي اضعاف ملك الحيثيين حيث أن وفاة مواتلي أدت لتولي ابن اورشي تيشوب لكنه كان صغيراً؛ فتولي الملك خاتوسيليس الثالث وكان مشهور بالحكمة والذكاء لذلك شهدت الدولة الحيثية ازدهار. فانتهز رمسيس الفرصة وعمل علي معاقبة مدن فلسطين الموالية للحيثيين كما عمل علي الاستيلاء علي تونيب. إلا أن الحيثيين حاولوا استعادة مجدهم ولكنهم اكتشفوا وجود قوة ثالثة تحاول السيطرة

علي المنطقة وهي آشور حيث استولت علي جزء كبير من ميتان القديمة ثم بدأت تهدد الممتلكات المصرية والحيثيين لذلك شعروا بالخطر ولجأوا إلي التفاهم، ونصح معاوني خاتوسيليس علي عقد معاهدة سلام مع مصر.

وبعد ٢٢ عاماً وقعت معاهدة سلام بين المصريين والحيثيين؛ فكانت بذلك بداية عهد صداقة وسلام بينهما. وتقول المصادر التاريخية أن الملك خاتوسيليس الحيثي قام بارسال مبعوثين إلي قصر الملك رمسيس وعرضوا عليه مشروع معاهدة تحالف بين مصر وخاتي وكان المشروع مسجل بالخط المسماري علي لوحة من الفضة. وقد قبل رمسيس من حيث المبدأ تلك المعاهدة إلا أنه قام بكتابة نص باللغة المصرية علي لوح من الفضة وفي النهاية تم اعداد صيغة نهائية قام الملك بالتوقيع عليها حوالي عام ١٢٧٠ ق.م وبعده تم كتابتها علي لوحة اقيمت علي أحد جدران معبد الكرنك. وقد سجلت معركة قادش، في نصوص ورسوم، بثماني روايات منفصلة بمواضع في معابد الكرنك والأقصر والرامسيوم وأبيدوس. وسجلت رواية موجزة بمعبد أبو سمبل وعلي ثلاث برديات. وسجلت رواية أخرى، تعرف بقصيدة "بنتاور" على البردي ويقتسمها كل من المتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر بباريس. وتصف واجهة معبد الأقصر موقعة قادش بنص تفصيلي، مصحوب بالرسوم الإيضاحية.

من هنا يمكن القول بأن هذه المعاهدة هي نتيجة لعدم استطاعة أي من القوتين المصرية والحيثية القضاء علي الأخري لذلك انتهت بالمعاهدة. وأيضاً نجد أن هذا الصراع المصري الحيثي ما هو إلا دليل علي قوة عسكرية وحضارة متقدمة وفكر واعي من قبل الحكام المصريين لأنهم بذلك استطاعوا أن يحافظوا علي مكانة مصر وحضارتها. وقد اختلفت الآراء حول هذه المعاهدة :

– البعض يري أنها أول معاهدة في التاريخ .

– البعض يري أنها الأولي من نوعها إلا أن هناك عهود سابقة لم تحترم بنودها .

– والبعض الآخر يرى أن هذه الاتفاقية ليست الأولي وإنما كانت هناك اتفاقات كثيرة سابقة وأن أول معاهدة كان حور محب هو من قام بها إلا أن هذه المعاهدة اكتسبت أهميتها من أنها وردت إلينا كاملة وأن بها بنود نعمل بها في السياسة الآن . وقد تضمنت المعاهدة عدة عناصر نستخدمها في عصرنا الحالي فيما يعرف بالعلاقات الدبلوماسية إلا أنها كانت ذات أصول فرعونية حيثية .

◀ البروتوكول : وهو يعني أن يتم ذكر اسم الملكين كأطراف المعاهدة كما يتم تبادل اللوحتين كما حادث الآن في الاتفاقيات الدولية.

◀ الشروط : ١– اتفق الملكين علي السلام والأخوة وأن تسود العلاقات الطيبة والعمل علي احترام حدود الآخر "....أن أمير خيتا العظيم الشأن لن يتعدي أبداً علي أرض مصر أو يأخذ شيئاً منها"....

وهناك اختلاف في الآراء حول الحدود بين المملكتين :

– يري البعض أن المعاهدة لم تذكر الحدود بين المملكتين ، بينما يري البعض أن هناك منطقة تقع بين المنطقتين يدعي كل ملك أنها تخصه .

– كما يري أن الحدود لم تذكر لأن المعاهدة كانت أشبه بتحالف فلا داعي لذكر الحدود .

ومن بنود المعاهده كذلك :

٢– تقضي علي مساعدة كل طرف للآخر إذا جاء أي عدو إلي أرض الحيثيين أو المصريين.

٣– التأكيد علي تنفيذ الاتفاقات السابقة.

٤- رد الفارين: حيث تتحدث عن رد كل من جاء من عند الطرف الآخر فلو جاء رجل من أرض رمسيس إلي ملك الحيثيين فلن يستقبله وسيرده والعكس صحيح .

◂ **تثبيت المعاهده** : لإعطاء حق القداسة إلي المعاهدة كان يجب استدعاء كل المعبودات ذكوراً وإناثاً للشهادة عليها من مصر وخاتي . "...... أما عن هذه الكلمات فإن ألفاً من الآلهة الذكور والإناث من بلاد خيتا ومعهم ألفاً من آلهة مصر الذكر والإناث شاهدون معي علي هذه الكلمات ....".

◂ **ملحق**: الاتفاق علي تبادل المهاجرين السياسيين أي إذا هرب رجل أو أكثر إلي خاتي يقبض عليهم ويعودوا إلي رمسيس ولكن لا يتعرضا لعقاب منه .

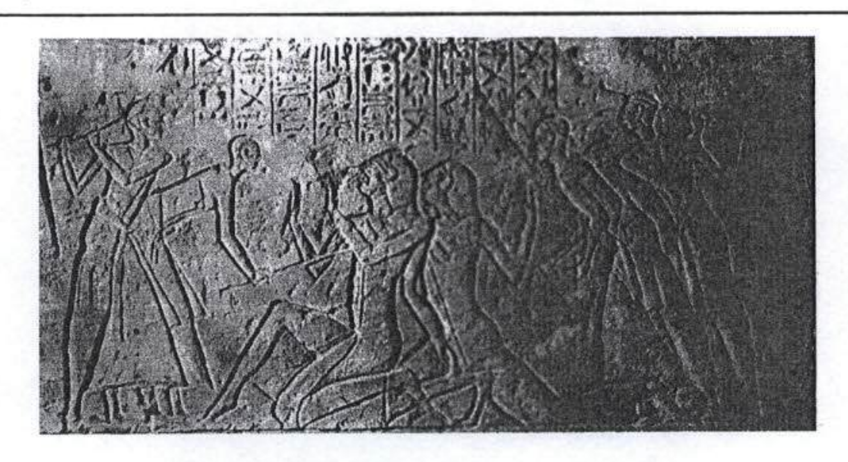
◂ **ختم المعاهدة** : تم نقش علي اللوحة الفضية صورة ست يحتضن ملك الحيثيين في داخل دائرة ومكتوب حولها "ختم ست أمير السماء"، وعلي الوجه الآخر تم حفر صورة معبودة الحيثيين ابنة أرض فيزا ملكة ارانا.

وبالتالي فقد عادت المراسلات بين البلدين وبعد ١٣ عام من المعاهدة أراد خاتوسيل أن يوثق الصلة حيث تم الاتفاق علي أن يتزوج رمسيس من ابنة خاتوسيل وسميت ماعت نفرو رع، وظلت المعاهدة مع الحيثيين سارية طوال حكم رمسيس الثاني لمدة ٤٦ عام وحتي خلفه مرنبتاح والذي أرسل شحنه حبوب إلي الحيثيين الذين واجهتهم مجاعة.

ويمكن هنا رد سبب هذا الصراع المصري الحيثي إلى سياسة مصر التي انتهجتها من بداية الدولة الحديثة حيث أثرت محنة الهكسوس في سلام مصر لذلك كان عليها أن تحذر من أعداءها وبخاصة الآسيويين لذلك نجد أن مصر

بدأت تتوسع في منطقة فلسطين وبلاد الشام وبالتالي بدأت تظهر لمصر أعداء جدد لم يكونوا سيواجهونها لذا بقت مصر داخل حدودها. ولعل أهم هؤلاء الأعداء هم الميتان والحيثيون. إلا أن الحيثيين استطاعوا أن يستغلوا أوقات ضعف مصر في السياسة الخارجية ويقوموا بتوسعات وتحالفات أدت لإنهيار السياسة المصرية في آسيا وبالتالي نجد أن مصر كانت يجب أن تتولاها أسرة جديدة تستطيع أن تحقق انتصارات وتستطيع أن تعيد المجد المصري في آسيا ولم يحدث هذا إلا بقيام الأسرة التاسعة عشر حيث حروب سيتي الأول التي أعادت الممتلكات المصرية وأكمل رمسيس الثاني هذه المهمة بعد أن اصطدم بقوة الحيثيين. حيث استطاع بذكاء أن يتخلص من ذلك ويدعي الانتصار رغم أنه لم ينتصر ولم يكسب أراضي إلا أنه استطاع أن يوقف أي تقدم للحيثيين وجعلهم يتكبدون خسائر فادحة والتي تكبد مثلها أيضاً لذلك لم يكن أمام الطرفين إلا السلام لذلك ومن ثم تم عقد هذه المعاهدة والتي تتميز بكونها أول اتفاقية مكتوبة كاملة. ويمكن أن نستنتج بأن العالم في وقتنا الحاضر يسير وفق بعض قوانين هذه المعاهدة مثل تبادل الفارين والبروتوكولات الدبلوماسية وغيرها.





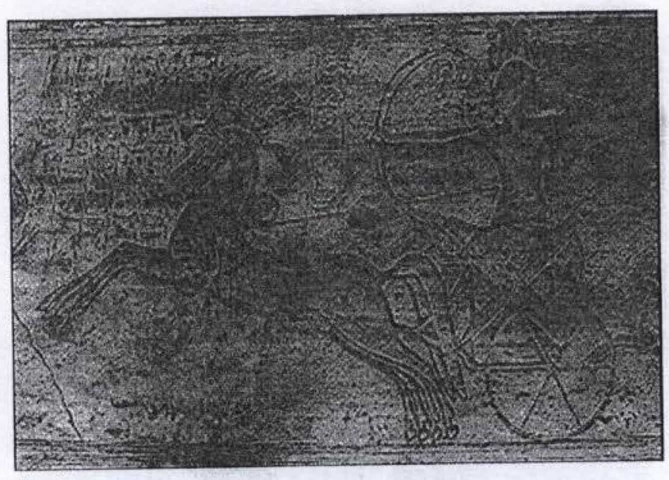
نحت بارز يمثل ضرب المصريين للجواسيس



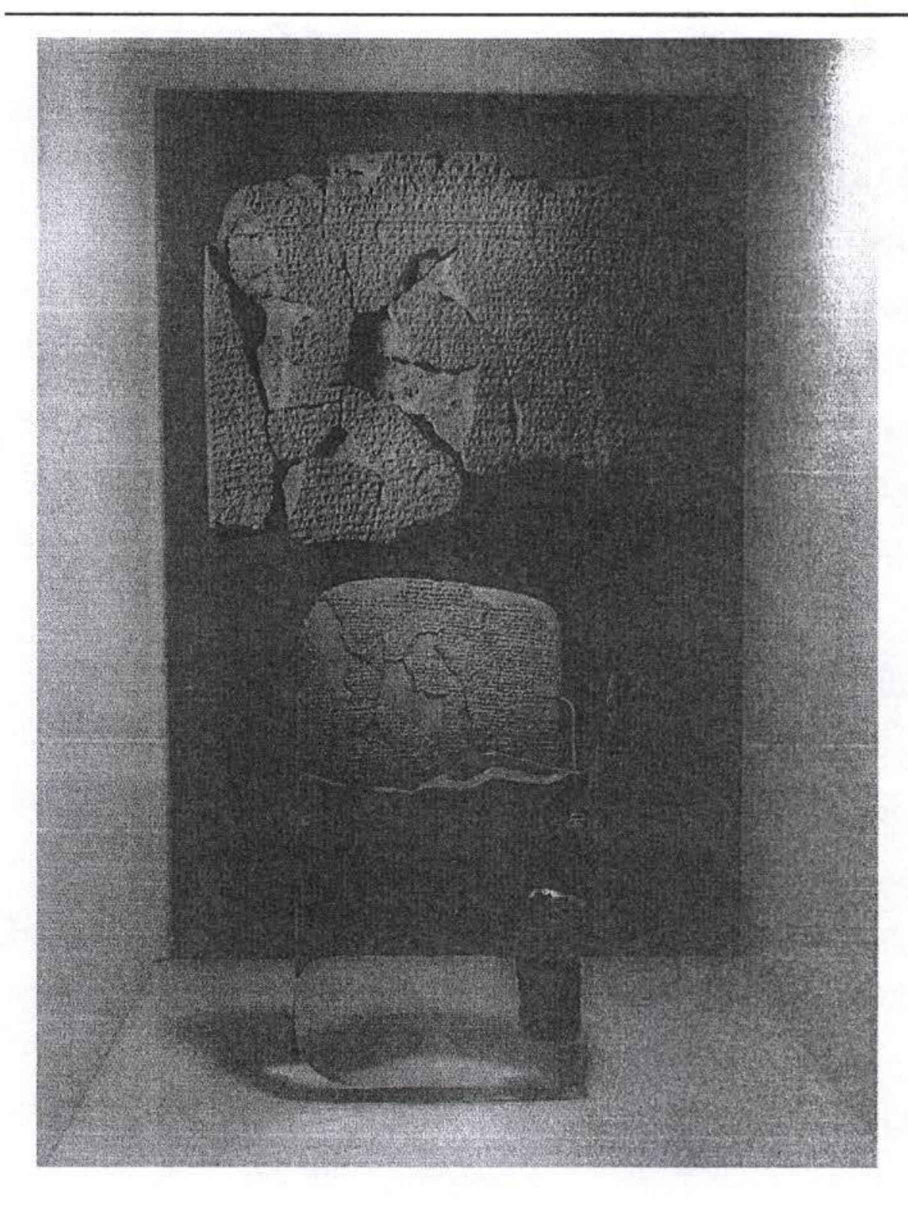


الملك رمسيس الثاني معتلياً مركبته الحربية في معركة قادش

نقش داخل معبد أبو سمبل



الصـــورة: جدارية تصورالملك رمسيس الثاني في معركة قادش معبد الكرنك



معاهدة السلام الحيثية المصرية (ح. ١٢٥٨ ق.م.) بين حاتوسيلي الثالثورمسيس الثاني هي أقدم معاهدة سلام مكتوبة يعرفها البشر اليوم منقوشة على لوح من الطين تم اكتشافها في عاصمة الحيثيين حاتوسا بشمال تركيا ومعروضة في متحف آثار اسطنبول

❖ الاكتشافات الأثرية :

تطلب الكشف عن آثار الحيثيين وحضارتهم جهوداً علمية كبيرة على الصعيدين الأثري واللغوي، تعود بداياتها إلى زمن فك رموز الكتابة الهيروغليفية في أوائل القرن التاسع عشر، إذ تذكر الكتابات المصرية القديمة اسم بلاد كبيرة تدعى حتا/هتا **Heta** ، كانت تقدم الجزية لفراعنة مصر، كما تمجد انتصار رمسيس الثاني على الحيثيين في معركة قادش . وازدادت معرفتنا بأهمية المملكة الحيثية في تاريخ المنطقة بعد اكتشاف رسائل تل العمارنة عام ١٨٨٧. وأخيراً جاءت التنقيبات الأثرية الألمانية عام ١٩٠٦ والأعوام اللاحقة في موقع بوغازكوي لتكشف عن عاصمة الحيثيين حاتوشا، وتقدم مصادر أصلية لدراستهم، معلنة بدء مرحلة جديدة وحاسمة على صعيد البحث التاريخي.

تم العثور على عشرة آلاف رقيم فخاري بلغات متعددة، معظمها باللغة الحيثية، وكانت هذه النصوص المكتشفة جزءاً من الأرشيف الملكي الحيثي الذي أصبح المصدر الأساسي لمعرفة تاريخ الحيثيين وحضارتهم. وبدأت الدراسات اللغوية التي شارك فيها عدد كبير من العلماء ومن أبرزهم العالم التشيكي بدريخ هروزني **Hrozny** الذي نجح عام ١٩٤٥ في إثبات انتماء اللغة الحيثية إلى مجموعة اللغات الهندو . أوربية، بل إنها أقدمها جميعاً من حيث زمن تدوينها، وكان ذلك يعني نشأة فرع جديد في الدراسات التاريخية هو علم الحيثيات **Hittitology**. واستمرت الجهود العلمية لفك رموز الكتابة الهيروغليفية الحيثية، التي وجدت بعض آثارها في حماة وكركميش، والتي تكللت بالنجاح على يد العالم الإيطالي ميريجي **Meriggi**، ثم جاء اكتشاف نص ثنائي اللغة في موقع قره تبه في كيليكية مكتوب باللغتين الكنعانية الفينيقية والهيروغليفية الحيثية،

الذي أكد صحة نتائج الدراسات السابقة ورسخ مبادئ فك رموز هذه الكتابة التي لا تمت بصلة إلى الهيروغليفية المصرية .

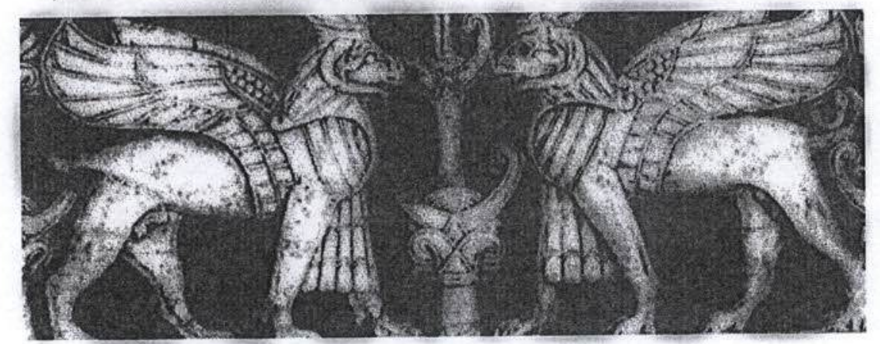


لوح منقوش عليه نص بالهيروغليفية الحيثية



النقش الهيروغليفي محفورة على البازلت.

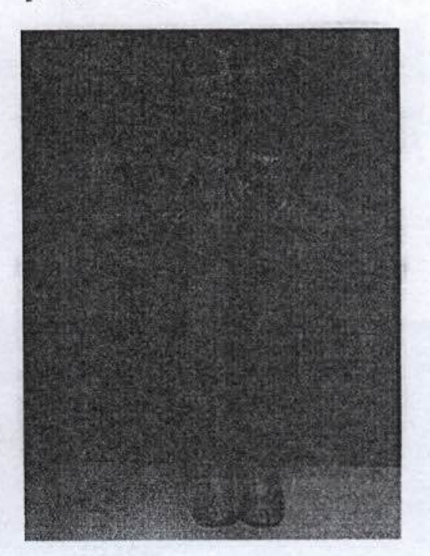
العصر المتأخر، ١٢٠٠-٧٠٠ ق.م



نقوش في كركميش



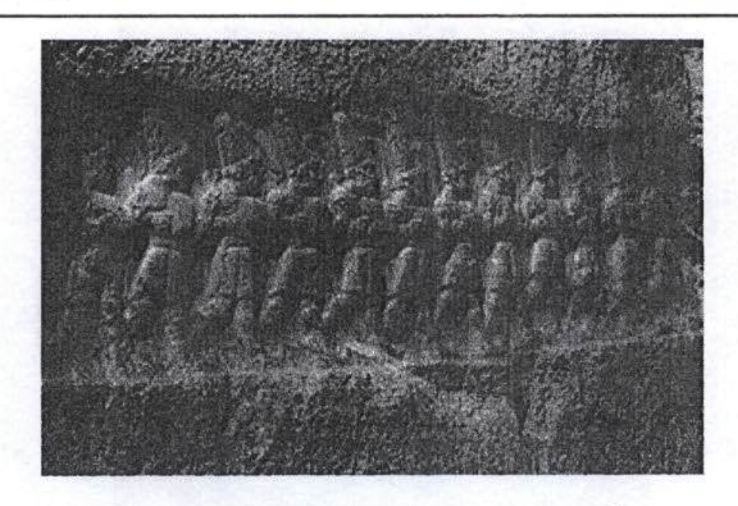
بوابة الأسود في العاصمة حاتوشا



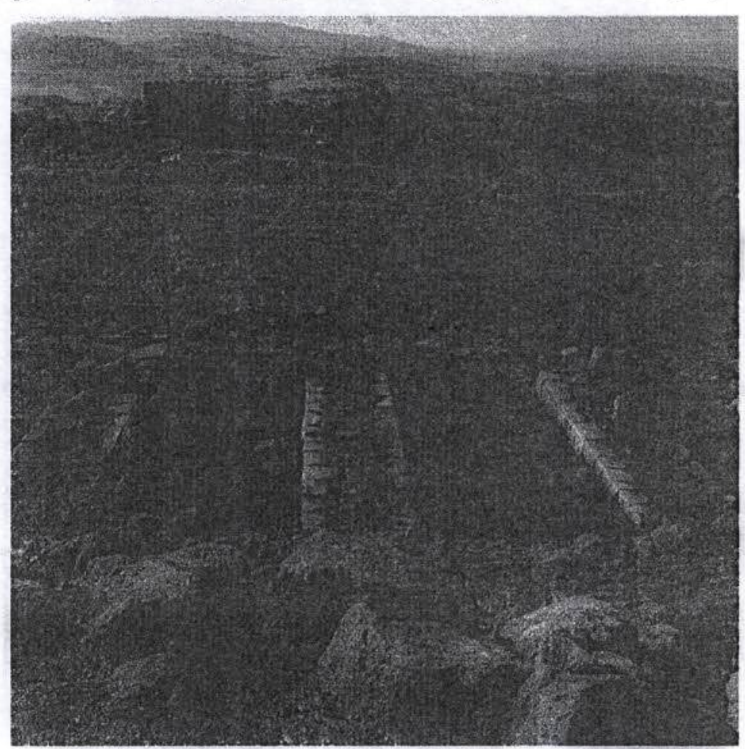
تمثال مراسم بورونزي
عائد للحضارة الحيثية



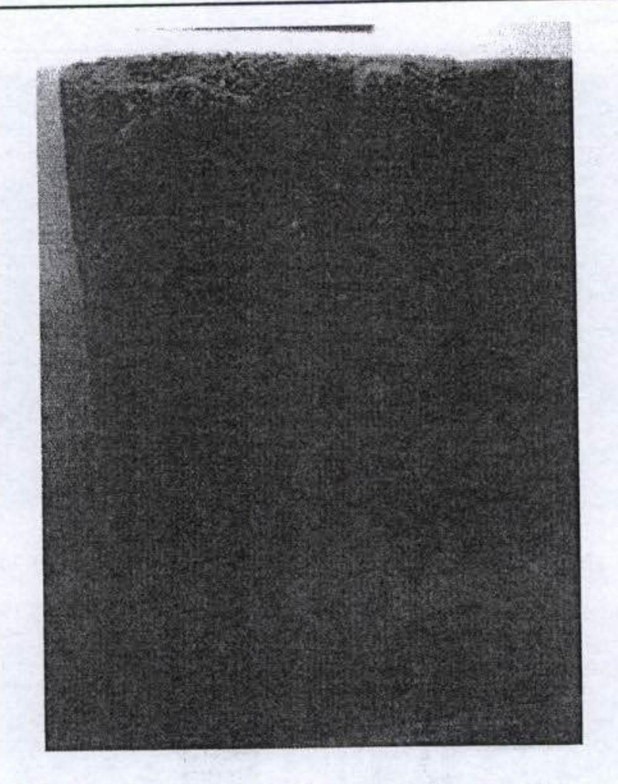
نحت يمثل الملك الحثي كاتواس
مع نقوش كتابة هيروغليفية (القرن ١٠/٩ ق.م)



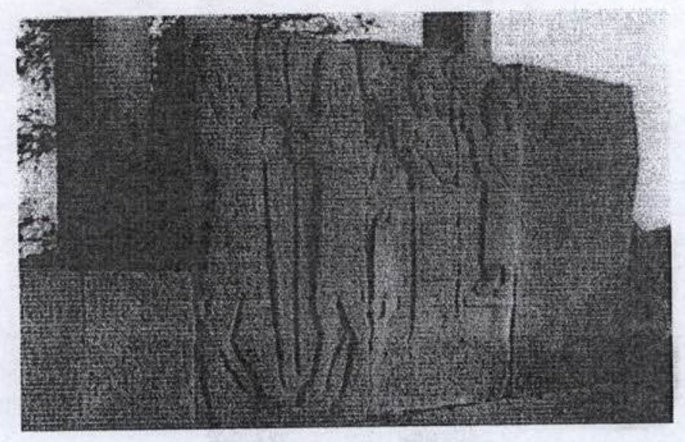
نقش من يازيليكايا، معبد في حاتوشا، يصف الآلهة الإثنى عشر للعالم السفلي.



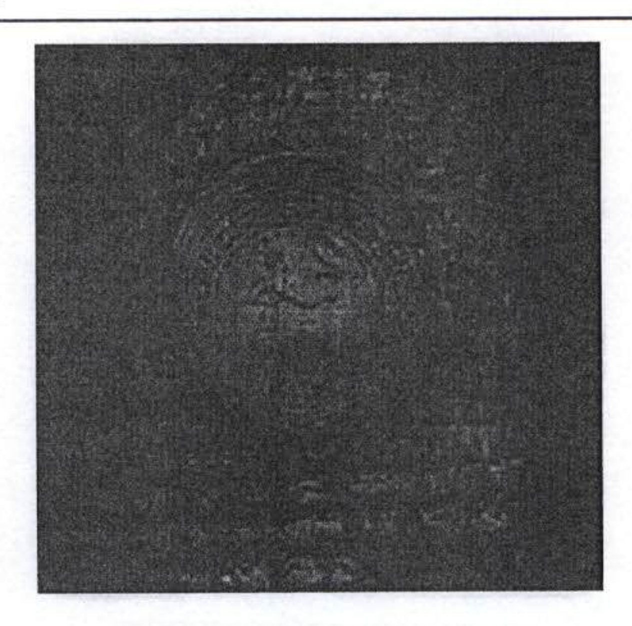
بقايا آثار عاصمة الحيثيين حاتوشا



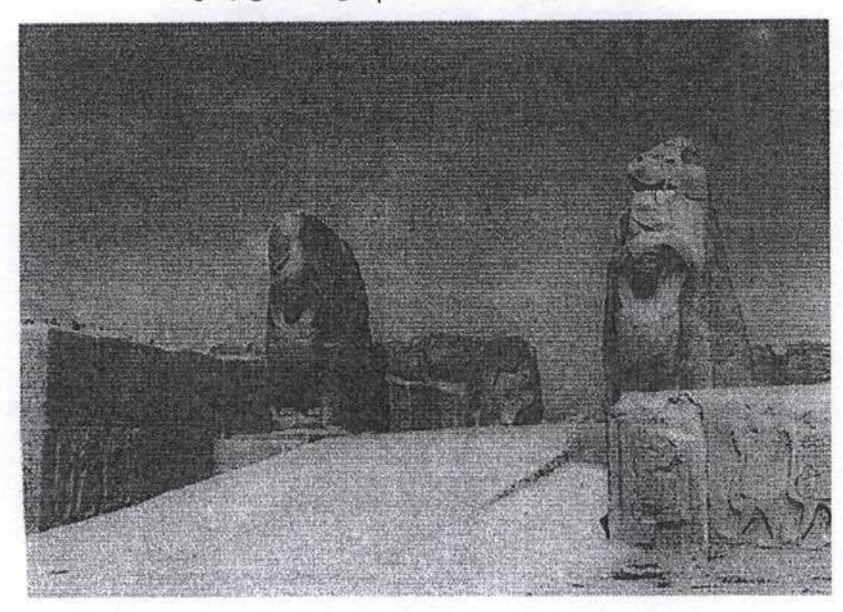
مخلوقات أسطورية، رجل برأس أسد ورجل بساقي ثور.



كشفت الحفريات في قرة تيب ، الى الشمال الشرقي من اضنة ، عن نقش بلغتين ، الحثية التصويرية والفنيقية ، مما سهل فك رموز اللغة الحثية



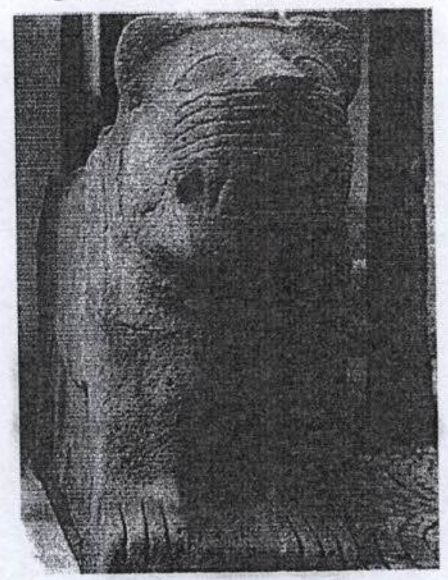
النص المسماري لمعاهدة السلام بين الحيثيين والفراعنة



د بوابة ابي الهول في الاجا هيوك في تركيا الوسطى ، نحتت تماثيل ابي الهول ، بصورة مستديرة تقريبا ، وهي امر نادر في الفن الحثي



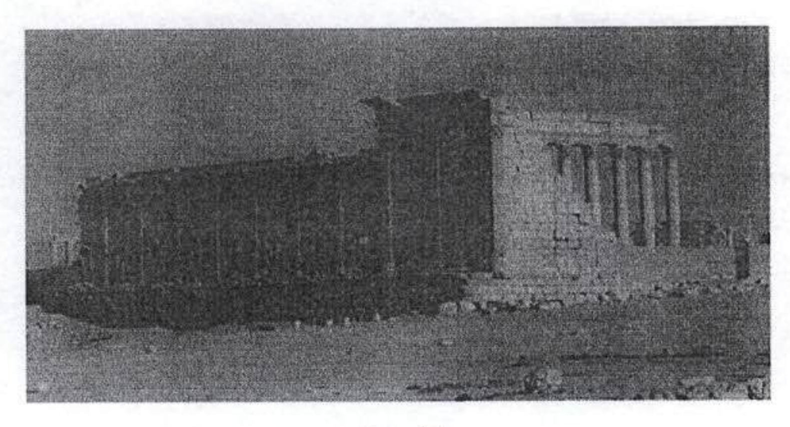
منحوتة حيثية تمثل ثوراً (متحف الحيثيين – أنقرة)



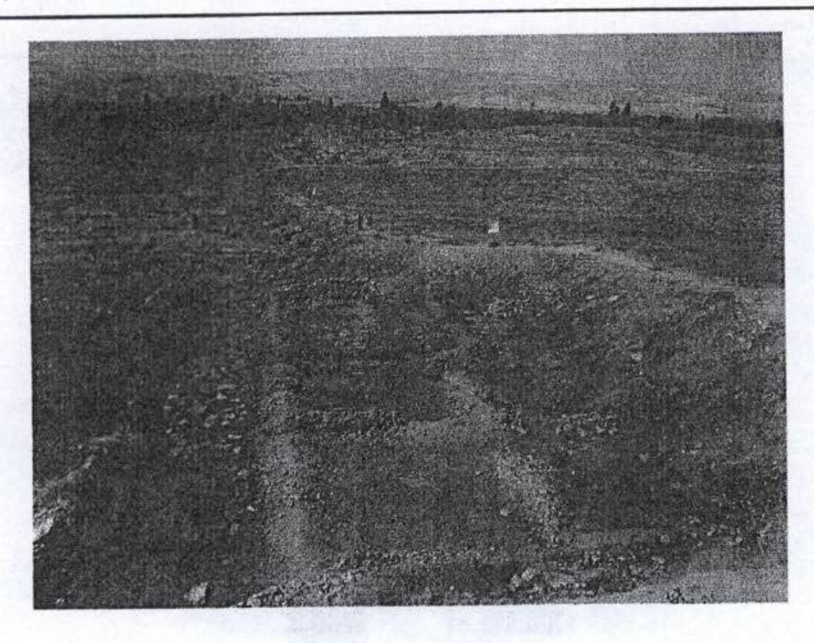
هذا الاسد المحفور في صخر من البازلت موجود في ملاطية ، ويعود على الارجح الى حوالي ١٠٠٠ ق.م ، وهو شاهد جيد على فن النحت في الحقبة الحثية الحديثة ، عندما اصبح استعمال الاسود المنحوتة من الصخر شائعا



من المعبودات الرئيسية في مجموعة المعبودات الحثية بالاناضول معبود الطقس تيتوب (ا) ومعبود الشمس الانثى ارينا (ب) . يبدو تيتوب هنا في احد تماثيل القرن التاسع ، في وضعه المألوف ، وقد امتشق ومضة البرق (التمثال موجود في متحف حلب) . خلافا لبلاد ما بين النهرين ، كان الاناضول منطقة سحاب وعواصف . كان الملك يستنجد في ساعات الحرب والخطر بمعبوده الشمس الانثى التي تبدو هنا متشحة بقلادة من عصر الامبراطورية . كانت المعبودة الشمس هي الحارس الاعلى للدولة الحثية



مدفن حيثي



بقايا آثار مدينة نيسا



يقوم هذا الرسم المحفور في الصخر قرب افريز في جبال طوروس شاهدا على النمط الارامي في النحت الحثي . كما يتبين خاصة من قبعة المعبود وخصل شعره وشعر الملك الواقف بحانبه . لقد سهل اقتران الرسوم النافرة بالكتابة التعرف على الهوية الحثية لانصاب اخرى عثر عليها عام ١٨٨٠ في امكنة مختلفة من اسيا الصغرى ، لا سيما في بوغاز كوي ويازيليكايا

الفصل الرابع

حضارة الأناضول

الأناضول رقعة جغرافية لامثيل لها كونها ملتقى الطرق بين القارات القديمة الثلاث: آسيا وأوروبا وأفريقيا.

الأناضول منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل الأراضي التركية عدا القسم الشرقي المعروف تاريخياً باسم هضبة أرمينيا. ويعرف الأناضول أيضا بآسيا الصغرى. تقدر مساحة الأناضول بحوالي ٥٠٠٠٠٠ كم^{٢} تحيط بها بحر إيجه وبحر مرمرة والبحر الأسود. ويحده من الشمال البحر الأسود ومن الجنوب سوريا، وتواجدت العديد من الحضارات في الأناضول منها الحيثيين والأرمن والإغريق والرومان والبيزنطيين وسلاجقة الروم والعثمانيين.

تقع الأناضول على ملتقى طرق الهجرة والتجارة بين القارات ولها مناخ جميل وأراضي خصبة وكانت منذ العصور الأولى منطقة سكن فيها الانسان واحتضنت حضارات عديدة. تعرضت الأناضول طوال العصور لهجرات وغزوات عديدة وجلبت معها ثقافة هذه الشعوب ناهيك عن تأثرها بحضارة مصر القديمة والحضارات الموجودة في سواحل بحر إيجه وحضارة اليونانيين القدماء. تركت حضارات الحيثيين واورارتو والليديون والسلاجقة والعثمانيون تراثاً ثقافياً غنياً ومتعدداً للغاية على هذه الأراضي.

❖ التسمية :

ترجع كلمة الأناضول إلى الكلمة الإغريقية "أناتولي" (باليونانية: ἀνατολή) والتي تعني الشرق أو مكان طلوع الشمس.

❖ ساحل البحر الأسود :

يتميز ساحل البحر الأسود في الأناضول بالمرتفعات الجبلية التي تحد سواحله، ويزيد ارتفاع تلك المنحدرات عن ١٥٢٥–١٨٠٠ متر أي ما يزيد عن ٥٠٠٣ إلى ٥٩٠٠ قدم لكن يزداد ارتفاعها عن الـ ٩٠٠٠ قدم في الشرق.

❖ إقليم المرمرة :

يتكون غالب الساحل الغربي للأناضول الواقع على بحر المرمرة من الهضاب المتموجة الخصبة التي تقوم فيها الزراعة لكثافة الأمطار على تلك الهضاب وتتلقى ما يزيد عن ٥٢ سم من الأمطار سنوياً.

❖ ساحل إيجه :

يعد الساحل الغربي للأناضول الذي يقع على بحر إيجه أكثر الأراض خصوبة في الأناضول، ويتميز بإنتاج الزيت والزيتون وفيه ثاني أكبر ميناء في تركيا وهو ميناء إزمير.

❖ المناخ :

يشبه مناخ شبه جزيرة الأناضول إلى حد ما مناخ البحر المتوسط ويتميز بالمطر الكثيف والنسيم الرطب المعتدل.

❖ الحضارة بدأت في الأناضول :

قبل ما يقرب من ١٢ ألف عام إستوطن الإنسان الأناضول. هذا التطور ارتبط بالزراعة وتربية الحيوانات وتشييد المعابد.



جبل نمرود (أديامان – كاهتا)

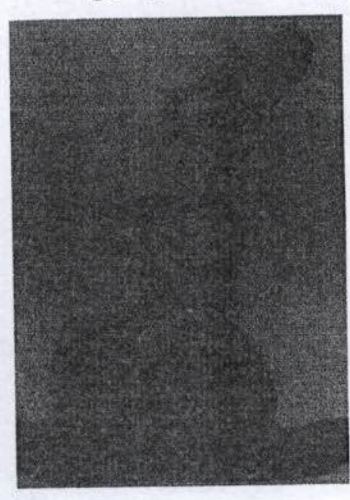
❖ آثار الأناضول :

تُعرض في كارلسروهه نسخ لا تحيد أبداً عن الأصل بكل نتوءاته وتشققاته، أشكال لحيوانات ومنحوتات ربما كانت قد صنعت من أجل طقوس وشعائر للكهنة والسحرة من قديم العهد أو لتوضع في المقابر. وبجانب هذه المنحوتات تنتصب أقدم منحوتة حجرية في العالم على شكل إنسان، ركيزة الرجال لمدينة أورفا التركية.

وفيما يلي بعض النماذج لهذه اللقى الآثرية التي عثر عليها في الأناضول والتي تعرض الآن لأول مرة في معرض متحف كارلسروهه :

♦ أقدم منحوتة حجرية في العالم :

١- تمثال يعود إلى الألف السادس قبل الميلاد .





٢- تمثال من أورفا : يعود إلى الألفية التاسعة قبل الميلاد :يقف ضخما وساكناً، متراخي الذراعين، موجهاً كفيه إلى الداخل، حيث تلتف حول عنقه العريض ياقة صغيرة يتربع عليها رأس ضخم بأنف كبير وتجويفين يشيران إلى موقع العينين. إنه أول رجل في تاريخ البشرية، لندعه آدم. إنه على أي حال أول رجل تم نحته على الحجر حجمه الطبيعي قبل اثني عشر ألف عام في أورفا التركية ليصبح خالداً إلى الأبد. هو ذا يقف الآن ساكناً في متحف كارلسروهه كشاهد على ثقافة وبدايات للبشرية تختلف عما عهدناه حتى الآن.

◄آدم وحواء في الأناضول :

كان آدم ومعه حواء قد غادرا الفردوس منذ زمن طويل. الأجيال التالية كدحت بعرق جبينيها، حارثة الأرض وآملة بالمطر لتقدر على الحصاد. رعت الغنم والماعز وكان عليها التضحية بواحد منها بين الحين والآخر، بدل التجوال ببساطة عبر المنطقة وتذوق كل ثمار الغابة كما يفعل الصيادون وجامعو الثمار.

ثم شيدوا في غوبيكلي تبه في جنوب شرق الأناضول أعمدة زاخرة بالأسرار: أعلى من أربعة أمتار على شكل حرف "T" اللاتيني، منحوتة من الحجر، وقد نقشت عليها صور حيوانات من ثعالب وغزلان وعقارب . ثم ردمت ثانية بعد حين بطريقة منتظمة، ولكن لا أحد يعرف تماماً حتى اليوم لماذا جرى فعل ذلك.

هذا المعرض الضخم الذي يقيمه متحف مدينة كارلسروهه يُلقي الضوء على نقطة حاسمة في تاريخ الحضارة : البداية.

من خلال معروضات رائعة الجمال وآية في الوضوح وتحف تدهش العين لروعتها وتأسر القلوب بجمالها، كبيرة كانت أم صغيرة نغوص في أعماق التاريخ وتظهر كيف قرر الإنسان القديم الاستقرار في مكان واحد يرعى الماشية ويزرع الغلال ويقطن البيوت.

في بداية المعرض يرى المرء نفسه في بهو كبير مفتوح يسبح في بحر من النور مطل على مشهد يمتد فيه النظر إلى البعيد ووسط دائرة صغيرة بأعمدة مصلبة تتميز بالبساطة والجمال الفتان. تحف نُحتت داخل قطعة حجرية واحدة بأدوات حجرية وحُملت من المقالع، كيف؟ لا أحد يعلم. بكل عناية زُينت بنقوش تصور حيوانات مختلفة.

بعد ما لا يزيد عن ألف عام بدأ الانسان القديم ببناء بيوت متفرقة. في "شاتال هويوك"، أكبر مجمع سكني في ذلك الوقت، "باريس العصر الحجري"، حيث كانوا يرصون البيوت الطينية ذات الأسطح المسطحة جنباً إلى جنب ليقيموا مجموعات سكنية تشبه بيوت النحل. هذا المجمع السكني غير المنظم كان يضم حوالي خمسة آلاف شخص.

◆ أمراض المدنية :

لقد واجهتهم هنا مشاكل التخلص من النفايات والفئران التي كانت تدخل المنازل، حتى رعاية الماشية لم تكن سهلة في هذا الجزء من الأرض الذي كان أصلاً صالحاً لهذا الغرض، لأن الأبقار التي كانت تُرعى في هذه المجمعات تباطأ نموها وأصبحت عرضة للأمراض، ناهيك عن الحصاد الذي لم يكن وفيراً كما كان متوقعاً، وهكذا بدأت أولى أعراض أمراض المدنية، التسوس وتكلس الأسنان وآلام المفاصل.

يقدم معرض كارلسروهه لمحة رائعة عن تلك الحقبة الزمنية التي لم يتم الخوض بها بعد: نماذج وأبنية مقلدة تبين المجمعات السكنية والبيوت، سلالم تقود إلى الطابق العلوي، مدفئة رائعة ببساطتها، أواني التموين وجماجم مزينة مغطاة بالطين ومرصعة بالأصداف. الجدران أيضاً مزينة بألواح تبرز صيادين محنطين وأشكال آلهة أو دببة.

الرسم بالألوان :

والملفت للنظر أنه حتى في ذلك الوقت دأب الإنسان على استخدام الألوان في رسوماته. لا يظهر ذلك فقط في صور الجدران الحمراء، وإنما أيضاً في

استخدام أكسيد الألمنيوم والكلس والفحم للحصول على اللون الأحمر والأبيض والأسود.

لوحات فنية كثيرة تشير إلى قدرة الإنسان القديم الفنية. إضافة إلى ذلك تدغدغ أنظارنا لوحات وأشكال أنثوية مثل لوحة المرأة ذات الوجهين، حيث تظهر ممتلئة في وجهها الأول وهزيلة الجسم من الخلف، إذ تظهر عظام الكتف والصدر. هناك أيضاً أغطية أوان على شكل رأس نسائي، وأوعية على شكل خنزير وقدور تم نحتها بأدوات حجرية مصنوعة من قطعة حجرية واحدة وهي ناعمة الملمس ومزينة برسومات مبهمة صنعت بعناية واتقان.

لقد اهتم المشرفون على المعرض بإعطاء فكرة في نهاية المعرض عن كيفية تحول حياة الإنسان إلى ما هي عليه، طارحين السؤال مرة أخرى، ذلك السؤال الذي قد يطرحه أيضاً الكثير من رواد المعرض: هل ثمة تطورات مشابهة في مكان آخر من الأرض؟ وأية أشكال اجتماعية نجمت عن ذلك؟

◆ مهد البشرية :

عادة ما يكون الجواب: لا نعرف بعد، إذ لا يزال هناك الكثير في غياهب الظلام وهو ما لم يستطع البحث العلمي بعد من تسليط الضوء عليه. إلا أن ثمة شيئاً أكيداً : لم يكن الإنسان في العصر الحجري بدائياً يلتحف فرو الحيوانات ويقطن المغارات. بل كان على درجة عالية من التنظيم مكّنه من إنجاز كل هذا العمران وبناء هذه الحضارة، ممتلكاً ملكة الفن والمهارة الحرفية. وبالرغم أن الحروف الأبجدية لم تكن موجودة حينذاك، إلا أن البشر كانوا قادرين على تنظيم نموذج اجتماعي مقنع تبنته أوروبا كلها. وهكذا تكون الأناضول حقا مهد البشرية.

❖ تاريخ الأناضول :

تاريخ الأناضول، الذي هو الآن تركيا اليوم الحديثة، يعود إلى سنة ٧٥٠٠ حتى ٥٠٠٠ ق.م، وتقع على مقربة من مدينة قونية في وسط تركيا. في ٥٥٠ ق.م غزا إمبراطور فارس المنطقة، لكن خلفائه هزموا في ٣٣٤ ق.م عندما اقتحم الإسكندر الأكبر مقدونيا وغزا تقريباً كل الشرق الأوسط. ومع وفاة الإسكندر قسمت إمبراطوريته بين جنرالاته مع وقوع العديد من الحروب الأهلية. كان السلتيون هم الغزاة التاليين وقاموا بتأسيس أنيسرا (أنقرة) عاصمة لهم، ومن هناك حكموا مدن بحر ايجه. ثم جاء الرومان بعد ذلك واستولوا على الأناضول. وأسسوا أفسس كعاصمة للمنطقة في ١٢٩ ق.م. بنى الإمبراطور الروماني ديسيوس مدينة عظيمة على موقع بيزنطة اليونانية وأعلن أنها روما الجديدة سنة ٣٣٠ م، والتي أصبحت معروفة باسم القسطنطينية. جلب الإمبراطور جستنيان لهذه الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية، قوتها العظمى بغزو إيطاليا ومصر والأناضول وشمال أفريقيا. وقام بتجميل القسطنطينية بالعديد من المباني، وكان الانتصار بكنيسة آيا صوفيا. وبعد ١٠٠٠ سنة هددت جيوش المسلمين جدران القسطنطينية.

استولت مجموعات من المحاربين الأتراك على بحر إيجه وسواحل مرمرة في القرن الثالث عشر. وتم تسمية أحد قادتها الأولين باسم عثمان والذي أسس إمارة بالقرب من بورصة القريبة، والتي كبرت لتصبح الإمبراطورية العثمانية. في عام ١٤٥٣م، تحت حكم محمد الفاتح تم فتح القسطنطينية وهكذا بدأت الفترة العظيمة للقوة العثمانية، وكان أقصاها تحت حكم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦)م. وبعدها سقطت الإمبراطورية العثمانية وبدأ تاريخ تركيا الحديث.

❖ القرون القديمة والوسطى :

جزيرة الأناضول، والتي تضم معظم تركيا الحديثة، وتعتبر واحدة من أقدم المناطق السكنية في العالم. وأقدم مستوطنات سكنية تعود إلى العصر الحجري الحديث. حيث ظهرت مستوطنة طروادة في العصر الحجري الحديث واستمرت حتى العصر الحديدي، ووصلنا من خلال التاريخ المسجل أن الأناضول قد تحدثت بلغات هندو أوروبية، والكارتفيلية، والسامية، فضلاً عن غيرها من اللغات.

جاء الحيثيون من الهند الأوروبية إلى الأناضول تدريجياً من الفترة ٢٠٠٠-١٧٠٠ ق.م. حين تم تأسيس أول إمبراطورية كبرى في المنطقة من قبلهم في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وحتى القرن الثالث عشر. استعمر الآشوريين أجزاء من جنوب شرق تركيا في وقت يرجع إلى الفترة (١٩٥٠-٦١٢)ق.م، عندما تم غزو الامبراطورية الآشورية من قبل الأسرة الكلدانية في بابل.

حكم الفيرجيون آسيا الصغرى بعد انهيار الإمبراطورية الحيثية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى انهيارهم وصعود ليديا في القرن السابع قبل الميلاد. أسست العديد من المدن الهامة من هذه المستعمرات، مثل ميلتوس، أفسس، سميرنا (ازمير حالياً)، وبيزنطة (القسطنطينية التي أصبحت في وقت لاحق اسطنبول). سميت أول دولة أنشئت في الأناضول من قبل شعوب المجاورة باسم أرمينيا. غزي الأناضول من قبل الإمبراطورية الفارسية الأخمينية خلال القرن الخامس والسادس وسقطت لاحقاً بيد الإسكندر الأكبر في عام ٣٣٤ ق.م. بعد ذلك تم تقسيم الأناضول إلى عدد من الممالك الصغيرة الهلنستية (هي بيثينيا، كابادوكيا، برغامس، والبنطس)، والتي استسلمت للجمهورية الرومانية في منتصف القرن الأول قبل الميلاد. وفي عام ٣٢٤ق.م اختار الامبراطور الروماني قسطنطين

بيزنطة لتكون العاصمة الجديدة للإمبراطورية الرومانية واطلق عليها اسم روما الجديدة (التي أصبح اسمها القسطنطينية لاحقاً وبعد ذلك إسطنبول). وأصبحت القسطنطينية مركز المسيحية الشرقية ومركز حضاري عالمي. بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية أصبحت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (الإمبراطورية الرومانية الشرقية). عقدت في تركيا أغلب المجامع المسكونية بحكم كونها عاصمة الإمبراطورية لعلّ أهمها مجمع نيقية ومجمع أفسس ومجمع خلقيدونية.

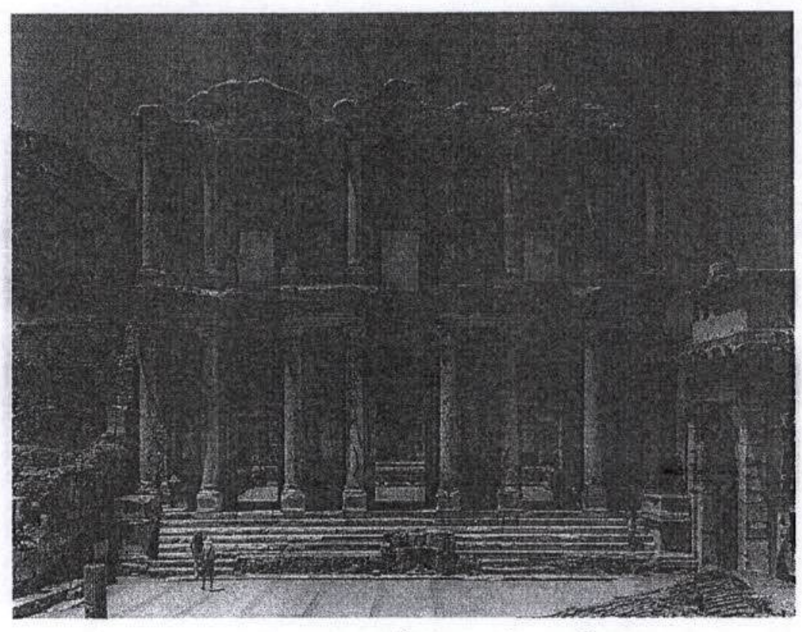
تاخمت الدولة البيزنطيّة حدود الدولة الأموية عند جبال طوروس والتي عُرفت باسم "دول الثغور" التي تناوب على حكمها الطرفين، حتى تمكن السلاجقة من احتلال أواسط الأناضول وتأسيس مملكة مُسلمة فيها، كذلك فقد تمكن خلال القرن العاشر البيزنطيون استعادة طوروس واحتلّوا أنطاكية وحلب قرابة القرن. خلال العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية خاصةً تحت حكم الأسرة المقدونية والكومنينيون ففي عهدهم مرت الامبراطورية البيزنطية نهضة ثقافية وعلمية وكانت القسطنطينية في عهدهم المدينة الرائدة في العالم المسيحي من حيث الحجم والثراء والثقافة. خلال الحروب الصليبية، تأسست مملكة قونية في جنوب تركيا الحاليّة إلى جانب إمارة أنطاكية، وتحالفت الإمبراطورية البيزنطيّة مع الوافدين غير مرّة لعل أشهرها مع مملكة بيت المقدس بهدف احتلال مصر، غير أن الحملة فشلت. يذكر أن الحملة الصليبية الرابعة قد اتجهت صوب القسطنطينية نفسها واحتلتها عام ١٢٦١ غير أن الدولة لم تعمّر طويلاً. ورغم إعادة تكوّن الإمبراطوريّة البيزنطيّة في القرن الرابع عشر لم تكن دولة قويّة ولم تكتسب مجدداً مجدها السابق. أما داخل تركيا الحالي أيْ الأناضول، كان مقسماً إلى دويلات ومقاطعات إسلاميّة صغيرة متناحرة طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، إلى أن سطع

نجم عثمان الأول محارباً البيزنطيين ومحتلاً مدناً وحصوناً تحت سيطرتهم، ثم قام وخلفاؤه بالاستدارة صوب الممالك الصغيرة المجاورة قاضماً إياها الواحدة تلو الأخرى مؤسساً بذلك الدولة العثمانية.

❖ الأماكن التاريخية :

◂مكتبة سيلسوس في أفسس :

مكتبة سيلسوس هو المبنى الروماني القديم في أفسس، الأناضول، وهي الآن جزء من سلجوق .Selçuk .كان تيبريوس يوليوس سيلسوس Tiberius Julius Celsus مواطن روماني يوناني شغل منصب عضو في مجلس الشيوخ الروماني قنصل روماني عام ٩٢ ميلادي و محافظ آسيا بين عامي ١٠٥-١٠٧ ميلادي.

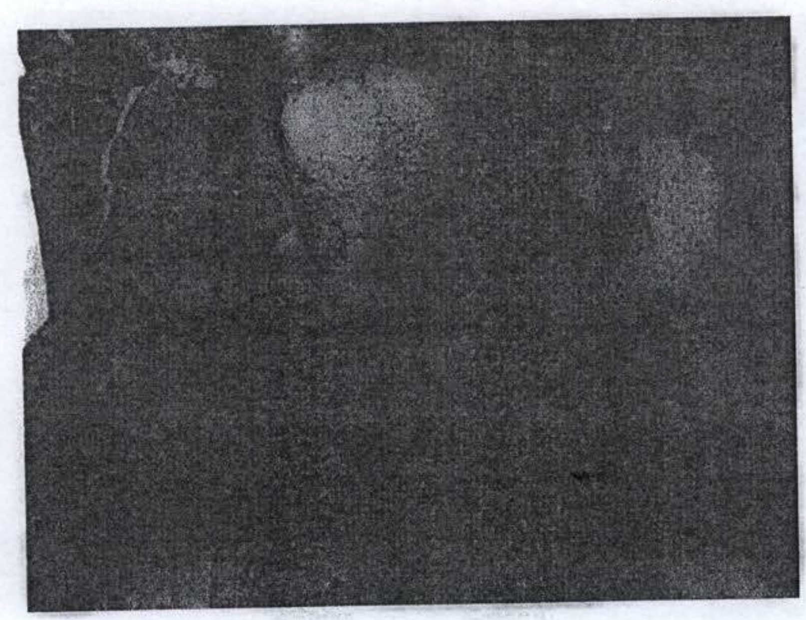


مكتبة سيلسوس في أفسس عام ١٣٥ م.

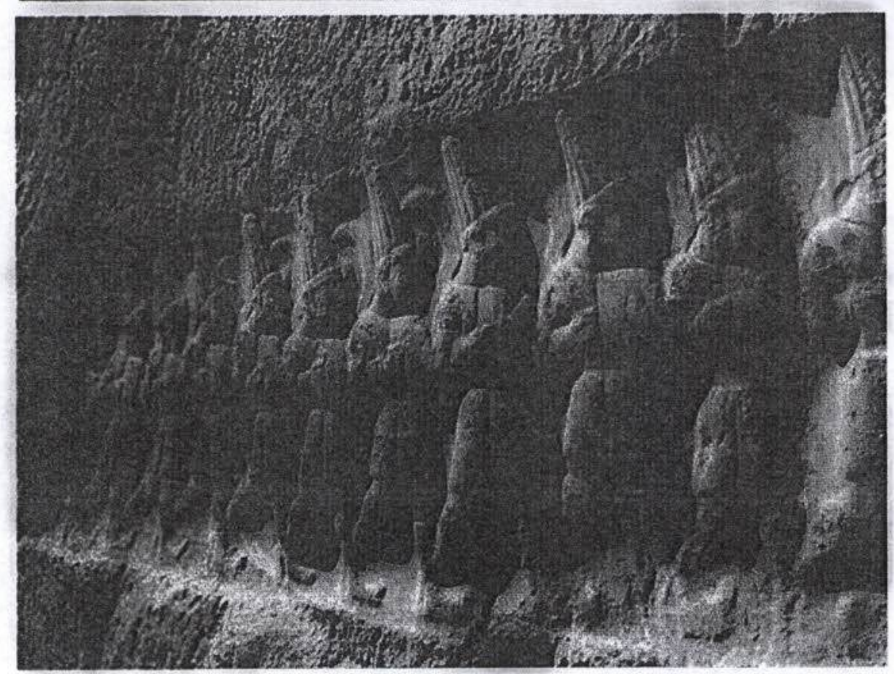
تم بناء مكتبة سيلسوس على شرفه (أنجز بناء المكتبة في عام ١٣٥ م) من قبل ابنه والذي يدعى جايوس يوليوس اكويلا **Gaius Julius Aquila** لتختزن ما يزيد عن ١٢.٠٠٠ من المخطوطات القيمة و لتكون بمثابة ضريح كبير لأبيه حيث تحوي المكتبة سرداب يفضي إلى تابوته. الجدير بالذكر أنه تم بناء المكتبة مقابل جهة الشرق مما وفر ضوء كافي لغرف القراءة !

◄ هاتوشاش (بوغازكوي) :

منذ خمسة آلاف سنة كانت أول مدينة منظمة للحيثيين وتعد (حتوشة) قلب الأناضول. أول بداية الاستيطان في تلك المدينة في العصر الكالكولينيك. واصبحت (حتوشة) مركزاً تجارياً للآشوريين وتحولت إلى عاصمة أيام الحيثيين. وبهذا فإن تاريخ البلد الفعلي يبدأ في العام ٢٠٠٠ ق.م . وأصل مركز المدينة هو مكان القلعة الكبيرة.







ويعتبر المكان الذي وجد فية المعبد الكبير هو الجهه السفلى للمدينة، ويعتبر الحجر الذي عليه كتابة وكذلك المعبد المفتوح أكثر أهم أماكن الحضارة الحيثية. كما اصبحت اللوحات التى تم الاستيلاء عليها منارة للتاريخ. وبعد الحيثيين اصبحت المدينة تحت حكم الفرقيين، المديين، الجلايتين، الروم، والبيزنطيين.

◄جبل نمرود (أديامان – كاهتا) :

(أنقاض مملكة كوماجين في جبل نمرود)

جبل النمرود يبلغ إرتفاعه ٢٠٠٠ متر وتقع أنقاض مملكة كوماجين على قمته واستمدت منه قوتها في القرن الأول قبل الميلاد ويقع الجبل على بعد ٤٠كم شمال قحطا (**Kahta**) بالقرب من آديمان (**Adiyaman**) ويعتبر جبل النمرود جزءاً من حلقة جبل الثور على ضفة نهر الفرات.



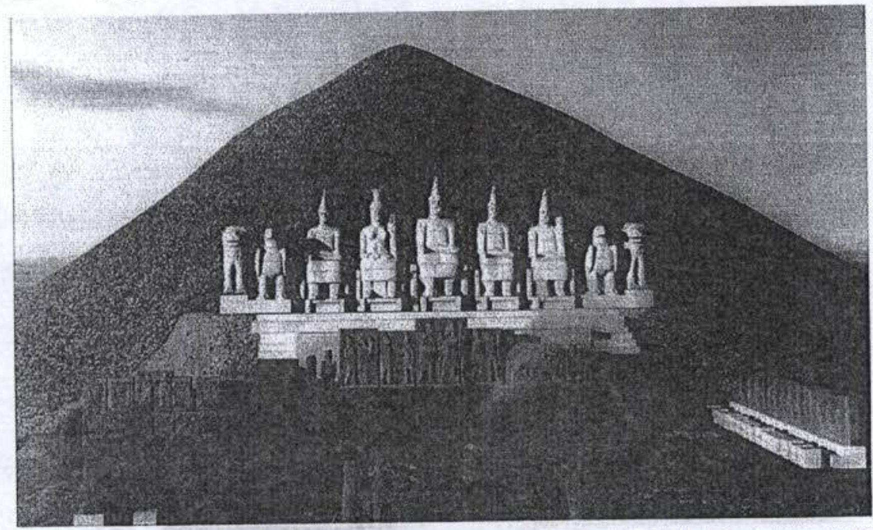
الكوماجين تعني "مجتمع الأحياء" وقد وُجدت كمملكة مستقلة عن ميثيريدس كالنكوس (Mithridates Kallinikos) الأول في بداية القرن الأول قبل الميلاد وبعد الحرب الأهلية التي دمرت خط السلوقية.

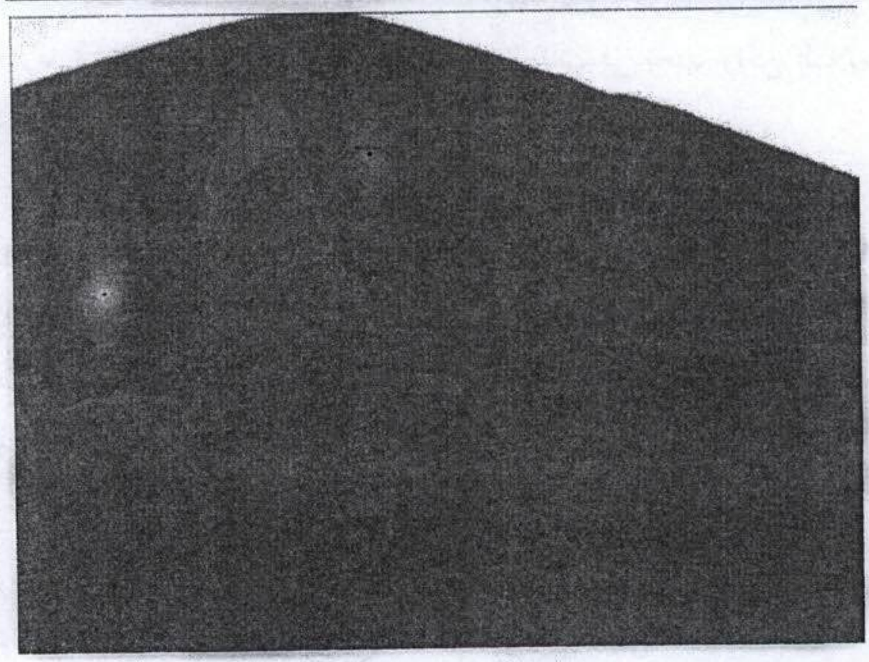
وقد ظهرت أهمية مملكة الكوماجين أثناء حكم انطيوخس إيبفانيس (Antiochus Epipanses) إبن ميثيريدس كالنكوس (٦٢-٣٢)ق.م، وفي عام ٦٢ق.م؛ تم بناء المعبد على قمة الجبل وكان يحرسه تمثالين كبيرين لأسدين وتمثالين لصقرين والعديد من الآلهة اليونانية والأرمانية والإيرانية. وكل إله كان مكتوب عليه إسمه وعندما تم إكتشاف المعبد كانت رؤوس التماثيل منفصلة عن التماثيل وملقاة على الأرض ويشير ذلك إلى أنها تضررت بشكل مُتَعمد. وقد وُجد في الموقع تماثيل أخرى يصل طولها إلى ٤٩ متر وقطرها ١٥٢متر وقد إتخذت التماثيل النظام اليوناني في نحتها ولكن الملابس كانت تبدو فارسية.

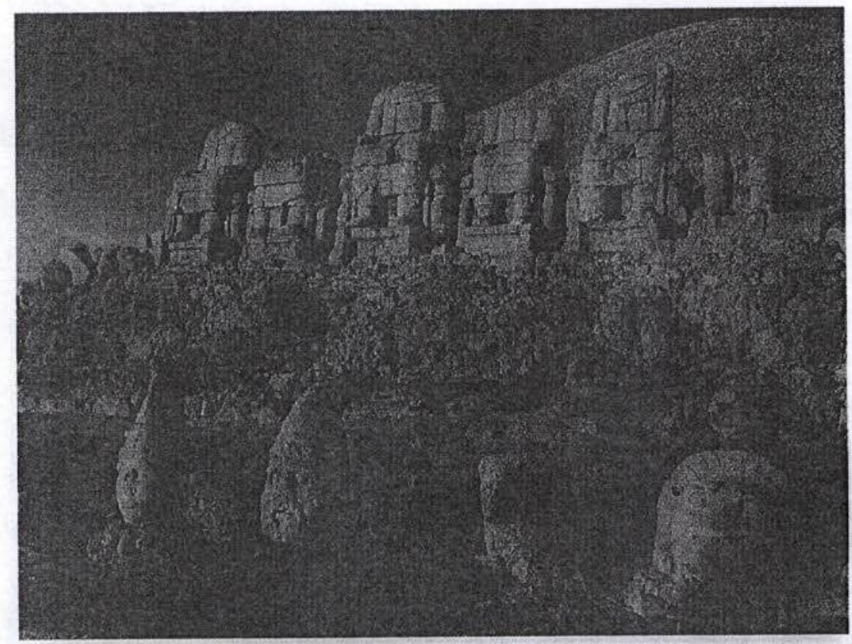
البناء المذهل يتكون من مجموعة ضخمة من الألواح الضخرية لتُكَوِّن ما يشبه الهرم، الجزئين الشرقي والغربي عبارة عن مدرجات توصل إلى معبد مفتوح وعلى هذه المدرجات توجد تماثيل هائلة لأسود وصقور، و٥ تماثيل ضخمة للآلهة التي كانوا يعبدوناه منهم ٤ رجال وإمرأة وهي أكثر الأشياء المذهلة المحفوظة في هذا المكان.

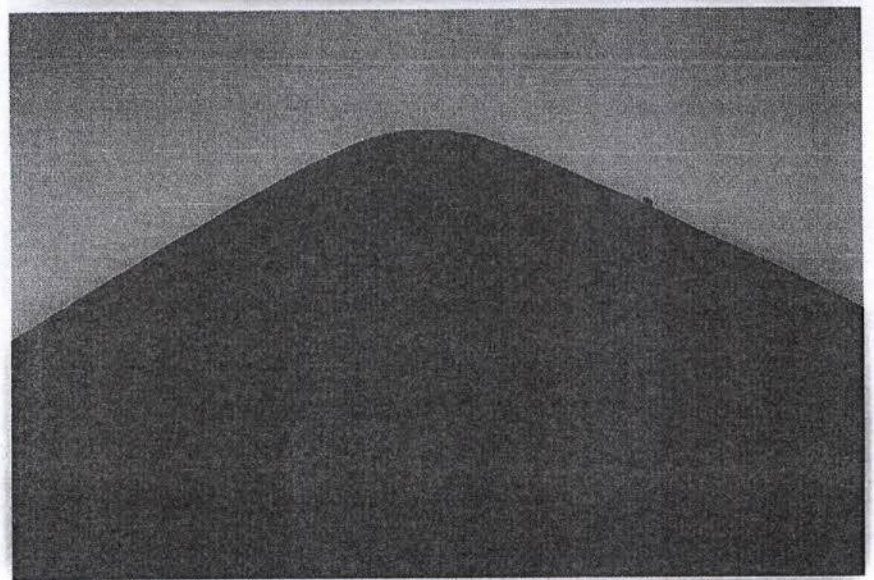
تحتوي الشرفة الغربية على تمثال كبير لأسد ويظهر بالقرب منه عرض لترتيب النجوم والكواكب (عطارد والمريخ والمشتري) ويعتقد المؤرخين أنه ربما قام هؤلاء القوم باكتشاف هذه الكواكب عندما بدأوا في العيش على قمة الجبل. أما الجزء الشرقي كان محفوظاً بشكل جيد فقد كان يتألف من طبقات من الصخور

وممر جدرانه من الصخور يربط بين الجزئين الشرقي والغربي ويمر بقاعدة الجبل ويُعتقد أن هذه الموقع كان يُستخدم لعمل الطقوس الدينية خلال الظواهر الفلكية.



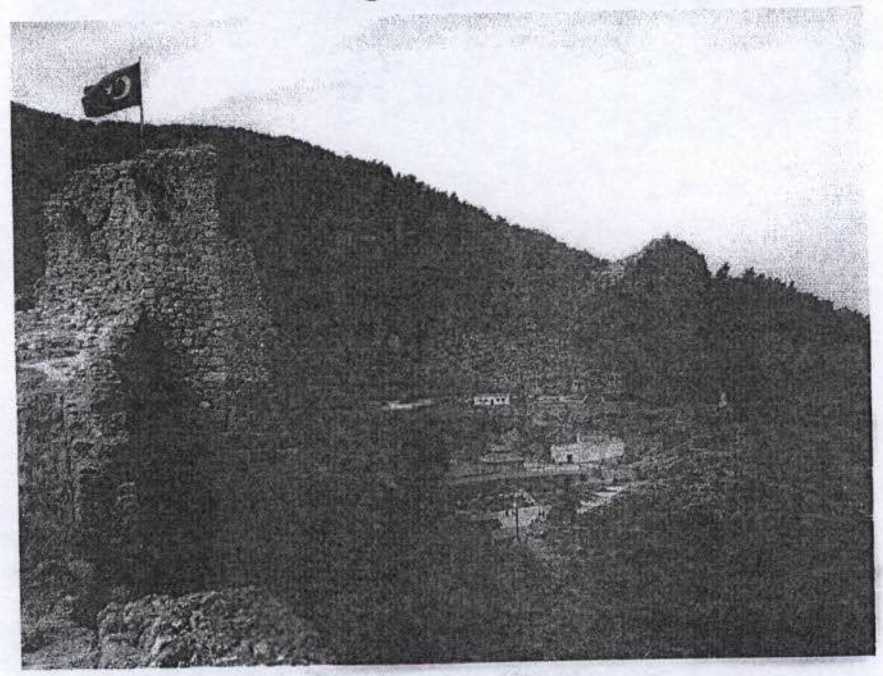






◄قلعة فتحية :

ترتفع القعلة في سماء الأجزاء الجنوبية من المدينة. تشير بعض الروايات التاريخية إلى أن القلعة تعود إلى فرسان الملك عزيز جون. وتضم قبرين صغيرين يقعان في الجهة الشرقية من التلة، بالإضافة إلى بعض الكتابات القديمة المدونة على الجدران، وخزان مائي لم يستدل على تاريخ تشييده.

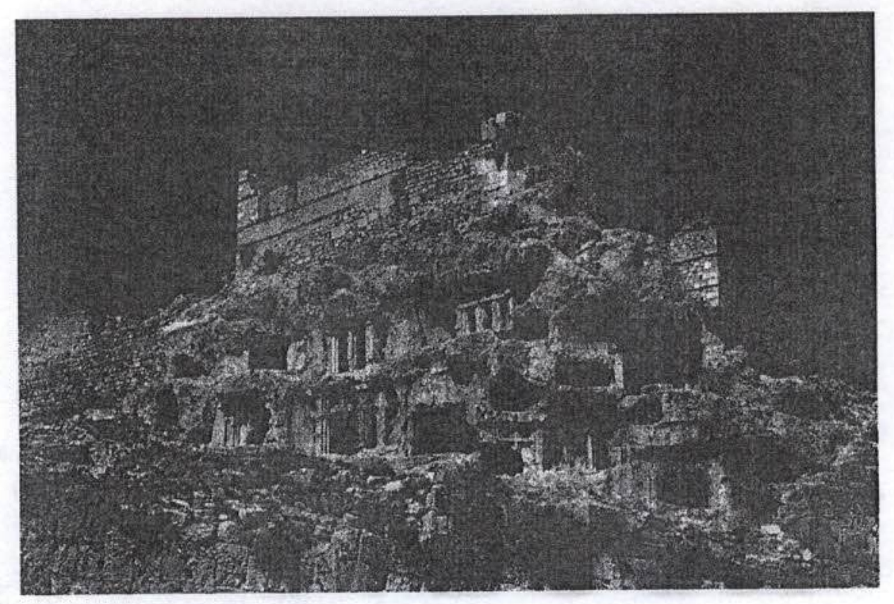


◄مدينة طلوس التاريخية :

تعود مدينة طلوس التاريخية إلى حقبة قبائل الليكيا القديمة. وتشير الأساطير أن "باللفرونتي" الذي كان يمتلك حصاناً مجنحاً كان يعيش في المدينة.

تعتبر المدينة أقدم مكان وطأت فيه أقدام البشر في منطقة ليكيا. ويعود تاريخها إلى ما قبل عام ٢٠٠٠ ق.م.

تضم المدينة بعض المعالم الأثرية القديمة مثل: المقاعد القديمة، ومسرح، وأسوار روما القديمة، وشواهد المقابر القديمة المدون عليها بعض الكتابات، وبعض المعالم الأثرية للكنائس القديمة. وترجع أهميتها بسبب اشتهارها في تاريخ الدولة الرومانية.

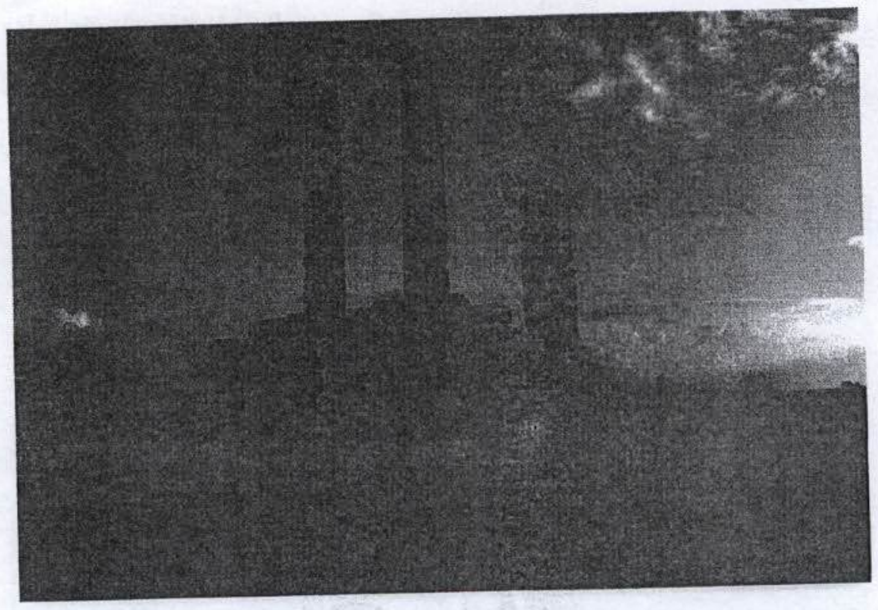


◄ مدينة ليتون :

ليتون (أنطاليا – موغلا)

يروى أن المدينة شيّدت في القرن السابع قبل الميلاد، وحملت لقب "ليتو" المرأة التي أنجبت من "زيوس" الذي كان يعده الإغريق إله الآلهة في اعتقادهم. وتشير الروايات القديمة أن ليتو قرّرت الهرب من غضب "هيرا" زوجة زيوس السابقة، بعد أن أنجبت منه توأمها أرتميس وأبوللون. واستقرت في هذا المكان.

وتشير أعمال التنقيب التي أجريت في المنطقة أن القطع الأثرية التي عثر عليها تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد.



مدينة تالمسوس التاريخية : (تيرميسوس)

تقول بعض الروايات أن اسم المدينة مقتبس من اسم "تيلميسوس" بن "أبوللون". وقد بنيت على ارتفاع ١٠٥٠ متر في جبال طوروس.

تاريخ تيرميسوس يبدأ أساساً عندما طوق الإسكندر الأكبر المدينة في ٣٣٣ ق.م، ولكن نظراً لموقعها الجبلي، لم يتمكن من التغلب عليها.

لاحظ أريانوس (مؤرخ قديم) أن حتى قوة صغيرة تستطيع الدفاع عن الحواجز الطبيعية شبه المستعصية التي تحمي المدينة. لذا فإن الإسكندر لم يحاول حتى حصار المدينة، ولكن بدلاً من ذلك توجه إلى ساغالاسوس.

لم تتمكّن المدينة من المحافظة على معالمها الأثرية العتيقة والتي تعود إلى

ما قبل عام ٣٠٠٠ ق.م، بسبب سلسلة الزلازل التي تعرّضت لها على مر العصور. وبين الأطلال القديمة يوجد أغورا، وإلى الشرق من أغورا يكمن المسرح الروماني، والذي حافظ على تصميم المسرح اليوناني. الكهف اليوناني. وبالإضافة إلى المسرح، هناك بقايا لستة معابد وكذلك مقبرة مترامية الأطراف في تيرميسوس.

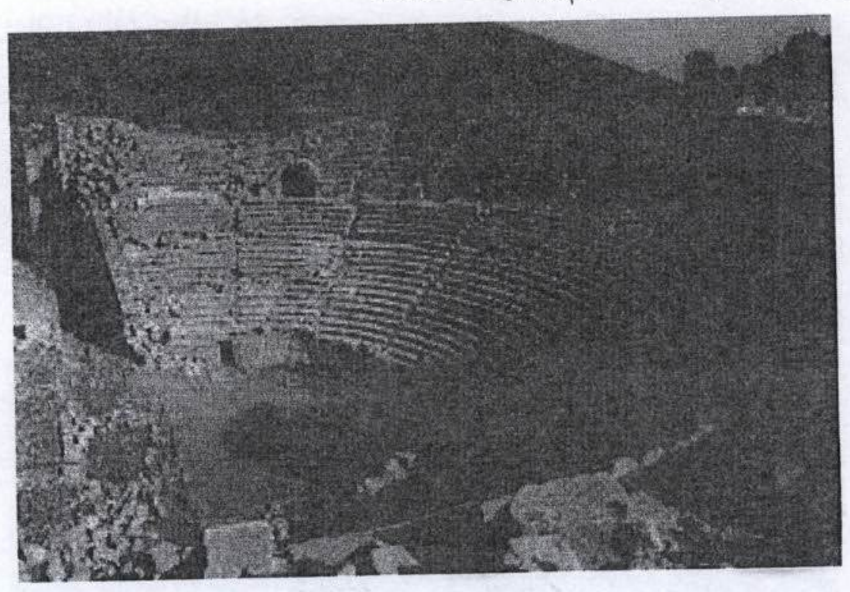


◄ مدينة باتارا :

هي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على ساحل ليكيا ، وكانت مشهورة في الأزمنة القديمة لمعبدها وكاهن أبولو .

تضم المدينة عدداً كبيراً من المعالم الأثرية. وقد عثرت بعثات التنقيب الأخيرة التي أجريت في مدينة باتارا التاريخية على مجموعة من العملات المعدنية القديمة، وبعض قطع الفخار والسراميك يعتقد أنها تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد.

تشير الأساطير إلى أن مدينة باتارا التاريخية، هي مسقط رأس أبوللو الذي يعتقد الإغريق أنه إله الشمس عندهم. كما تروي الأساطير أن بانيها هو باتاروس بن أبولو، وأن الآلهة كانت تقيم بها وقت الشتاء.



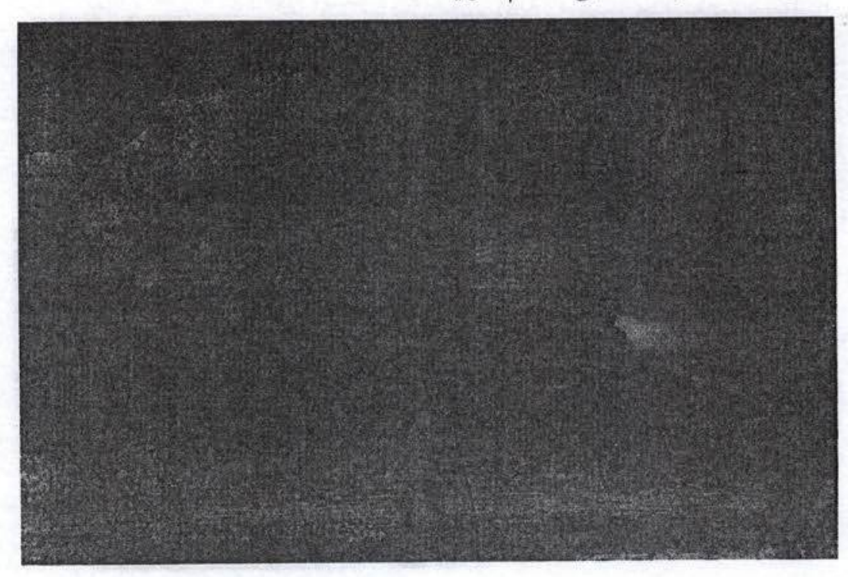
◄ مدينة جادآندا :

تقع المدينة العتيقة في منطقة أوزوملو، على بعد ٢٥ كيلومترا من بلدة فتحية. وتعرف بأنها آخر المدن المنضمة إلى اتحاد قبائل الليكيا على البحر المتوسط.

لم تتبق أية معالم أثرية للمدينة القديمة التي كانت تتميز ببعض المظاهر الفيزيائية المثيرة، وذلك بسبب بعض العوامل الطبيعية.

وقد لعبت المعالم الأثرية التي عثرت عليها بعثة التنقيب التابعة لمتحف بلدة فتحية، دوراً كبيراً في جذب الأنظار إلى المدينة العتيقة، التي تضم مسرحاً

قديماً، واستاداً بالإضافة إلى حمام أثري.



◀مقابر الصخور :

مقابر قبائل الليكيا الصخرية : تضم المدينة العتيقة عدداً من المعالم الأثرية التي تعود لقبائل الليكيا القديمة، والتي عاشت في القرن الرابع قبل الميلاد.



تضم تلك المنطقة الأثرية مجموعة من المقابر وشواهدها التي تم حفرها في الصخور، والتي تعد شعار المدينة. ويمكن رؤية المقابر بكل وضوح من السهل المنبسط أسفل المرتفع الواقعة عليه. ومع الاقتراب منها أكثر فأكثر يصاب المرء بإعجاب بسبب حجمها الكبير.

وقد دوّن في الجزء الأوسط من الصخور الواقعة على الجانب الأيسر "أمينتاس بن هرباماياس" بالأبجدية القديمة الخاصة بالقرن الرابع قبل الميلاد. ولم يتم التعرف على هوية هذا الشخص بالتحديد . وتعتبر أهم الشواهد هي التي تعود إلى قبائل الليكيا القديمة. كما يتميز القبر بمنظره المثير للدهشة والانبهار إذ تضم الواجهة الأمامية للقبر غطاءاً مستطيل الشكل ومنحوتاً مثل الأخشاب، ومنقوشاً عليه بعض الرسوم الخاصة بالحروب، بالإضافة إلى رسوم أخرى، يُعتقد أنها تتحدث عن حياة الشخص المدفون.

◄مدينة بينارا :

تبعد المدينة عن بلدة فتحية حوالي ٥٥ كيلومترا، وتقع على "الجبل الأبيض". تعتبر المدينة من أكبر مدن قبائل الليكيا.

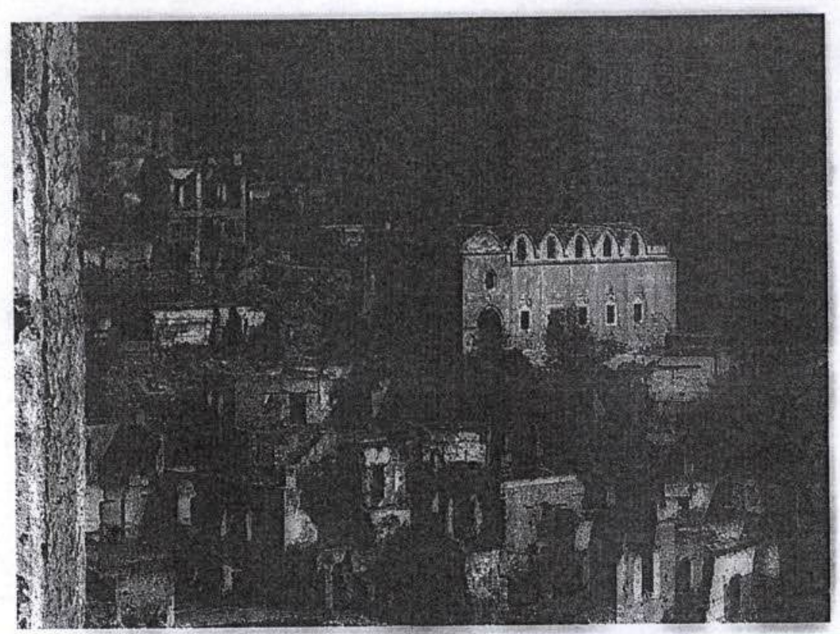


وتحظى المدينة بأهمية تاريخية كبيرة من خلال المعبد التاريخي القديم الذي يتميز بمجموعة من الخصائص المعمارية المثيرة، ويعود إلى أفروديت.

قرية كايا كوي :

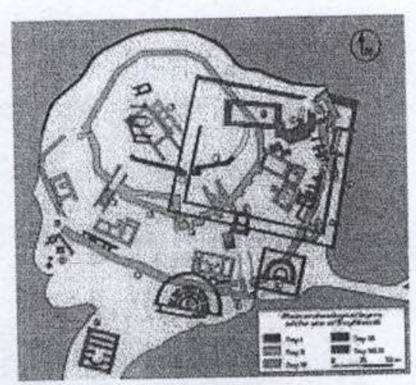
تشتهر قرية "كايا كوي" بمنازلها العتيقة المبنية بالصخور. تشير بعض الروايات إلى أن القرية كانت تابعة لمدينة "كاريملاسوس" الخاصة بقبائل ليكيا القديمة، والتي يعود تاريخها إلى ما قبل عام ٣٠٠٠ ق.م.

وقد عثرت بعثات التنقيب على شواهد قبور مدون عليها كتابات تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. بينما عاشت بعض قبائل الرومان في مدينة ليويسي الموجودة على جانب الجبل والتي تعود أطلالها الأثرية إلى الرومان الذين كانوا يعيشون في المنطقة منذ القرن السابع عشر الميلادي، إلى عام ١٩٢٣ ميلادي تاريخ إعلان الجمهورية التركية.



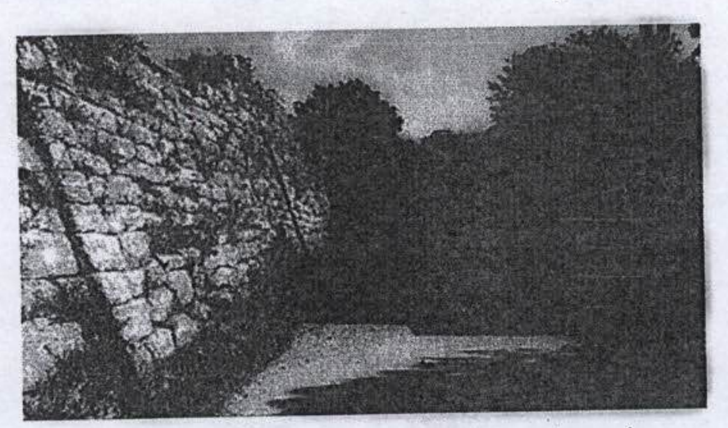
◀مدينة طروادة التاريخية (جناق قلعة) :

طروادة (باليونانية) (Ἴλιον :تروي / ترويا) مدينة تاريخية قديمة تقع في منطقة الأناضول، ازدهرت هذه المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد. وقد اشتهرت قصة حصان طروادة الخشبي الذي اختبأ داخله الجنود الإسبرطيون وتسللوا ليلاً لفتح أبواب المدينة أمام جيوش الملك مينلاوس ملك إسبرطة بقيادة أخيه أجاممنون؛ الذي حاصر المدينة المنيعة ردهاً من الزمن يقارب العشر سنوات وما كان من الممكن إسقاطها إلا بالخدعة.

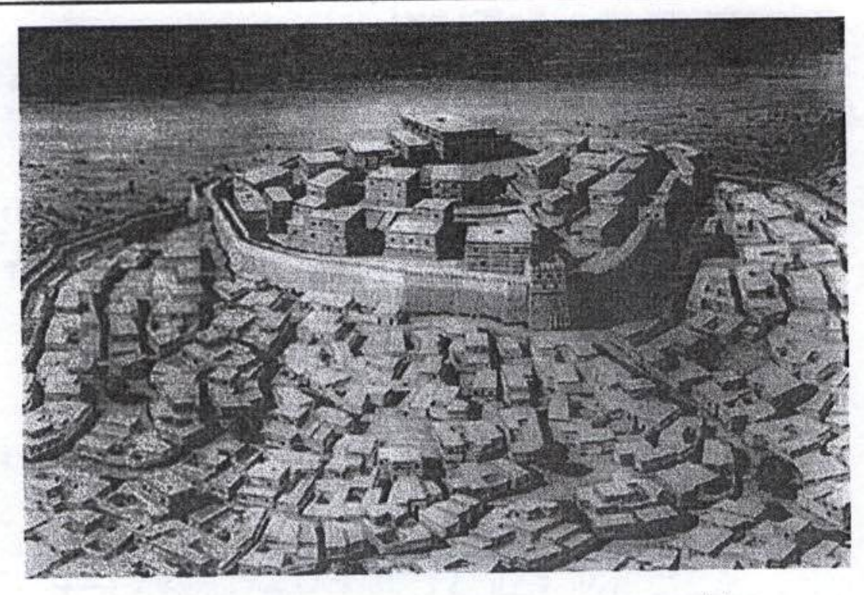


مخطط القصر





جزء من أسوار طروادة (السور السابع)، كما حدد في موقع حرب طروادة



مخطط تخيلي لمدينة طروادة (حوالي العام ١٢٠٠ قبل الميلاد).



ما تبقى من آثار مدينة طروادة

المراجـع

١. تاريخ مصر الفرعونية، الأهرام، عدد٤٥٢٢٦، ٤ أكتوبر ٢٠١٠.
٢. ألدرد، سيريل (١٩٨٨). أخناتون ملك مصر. لندن، إنجلترا: تمس وهدسون.
٣. سيرني، .(1975) Jمصر من وفاة رمسيس الثالث إلى نهاية الأسرة الحادية والعشرين في الشرق الأوسط ومنطقة بحر إيجه .c.BC كامبريدج، المملكة المتحدة: مطبعة جامعة كامبريدج
٤. كتاب وصف مصر .
٥. أحمد أمين ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ١٩٨٩
٦. كونتنيو ، جورج ، المدنيات القديمة في الشرق الأدنى ، ترجمة متري شماس
٧. تشايلد ، جوردون ، ماذا حدث في التأريخ ، ترجمة جورج حداد ، ١٩٤٢
٨. برستد ، جيمس هنري ، تاريخ مصر .
٩. دريوتون ، آتيين ، فانديبه ، جاك ، مصر ، ترجمة عباس بيومي ، ١٩٤٧
١٠. Aziz Surial Atteya, The Coptic contribution to Chriatian civilization
١١. Only after 664 BC are dates secure. See Egyptian chronology for details. "Chronology". Digital Egypt for Universities, University College London. Retrieved 2008-03-25.

الفهـــرس